

نساء فلاسفة

الكتاب  
نساء فلاسفة في العالم القديم

الكاتب  
أ. د. إمام عبد الفتاح إمام

الناشر  
مكتبة مديولى  
٦ ميدان طلعت حرب  
ت: ٥٧٥٦٤٢١

الجمع والتنفيذ الفنى  
**المركز العربى**  
للنشر والترجمة والحعاية  
ت: ٥٧٥١٨٨٤

مراجعة لغوية  
إيهاب غريب

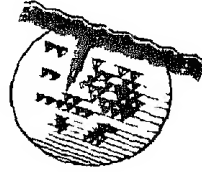
تصميم الغلاف  
محمد لطفي

سنة الإصدار  
١٩٩٦

الفيلسوف .. والمرأة

- ٤ -

# نساء فلاسفة



تأليف

أ. د. إمام عبد الفتاح إمام

أستاذ ورئيس قسم الفلسفة

جامعة الكويت

الناشر: مكتبة مدبولي

## الفهرس

١١	مدخل عام
٣٣	الفصل الأول : فيثاغورس ... ومدرسته
٣٥	أولاً : نبذة عن فيثاغورس
٤٠	ثانياً : إنشاء المدرسة
٤٣	ثالثاً : الجماعة الفيثاغورية
٤٧	رابعاً : بناء الجماعة وقواعدها
٥٦	خامساً : يوم فى حياة الفيثاغوري
٦٠	خاتمة
٦١	الفصل الثانى ، نساء ... فلاسفة من الفيثاغورية المبكرة
٦٣	تمهيد
٦٥	أولاً : ثيانو Theano
٧٢	ثانياً : أريجنتوت Arignote
٧٤	ثالثاً : مييا Myia
٧٩	خاتمة
٨١	الفصل الثالث ، نساء .. فلاسفة من الفيثاغورية المتأخرة
٨٣	تمهيد
٨٥	أولاً : إيزارا Aesara

٨٥	١ - حياتها ومؤلفاتها
٨٧	٢ - نص من كتاب «عن الطبيعة البشرية» بقلم الفيلسوفة الفيثاغورية: إيزار اللوكانية
٩٠	٣ - طبيعة القانون والعدالة
٩٣	٤ - إيزارا ... وسيكولوجيا الأخلاق
٩٦	ثانيًا : فينتس الاسبرطية
٩٦	١ - حياتها ومؤلفاتها
٩٧	٢ - الشذرة الأولى من كتاب «الاعتدال عند النساء»
١٠٠	٣ - النساء ... والفضيلة
١٠٢	٤ - النساء والعدالة في المنزل
١٠٢	٥ - الشذرة الثانية من كتاب: «الاعتدال عند النساء»
١٠٥	ثالثًا : بركتيوني
١٠٦	١ - ترجمة نص من كتاب «هارمونيا النساء»
١٠٨	٢ - الشذرة الثانية من «هارمونيا النساء»
١١٢	٣ - برجماتية الأخلاق.. والزوجة المخلصة
١١٢	٤ - الجمال الفيرقي والفساد الأخلاقي للمرأة
١١٣	٥ - المثالية في مقابل البرجماتية
١١٥	٦ - خاتمة
١١٩	الفصل الرابع : إسبازيا .. معلمة الخطابة
١٢٢	أولاً : حياتها
١٢٦	ثانيًا : خطاب بركليز الجنائزي
١٣٣	ثالثًا : إسبازيا ... ومخاطبة منيكسنوس
١٣٥	رابعًا : خطاب «إسبازيا» الجنائزي

١٣٥	١ - نبالة المحتد
١٣٦	٢ - جودة التربية
١٤٠	خامسًا : حجتان ضد مينكسنيوس
١٤٣	سادسًا : إسبازيا .. وحركة الخطابة السفسطائية
١٤٦	سابعًا : خاتمة
١٤٩	الفصل الخامس : ديوتيميا .. معلمة سقراط
١٥١	أولًا : تمهيد
١٥٢	ثانيًا : مآدبة أجاثون
١٥٥	ثالثًا : ديوتيميا
١٥٩	رابعًا : ديوتيميا . . . شخصية خرافية
١٦١	خامسًا : ديوتيميا ... شخصية حقيقية
١٦٤	سادسًا : دليل من الآثار
١٦٧	سابعًا : شهادة مكتوبة
١٧١	ثامثًا : نظريات ديوتيميا
١٧١	١ - طبيعة الحب
١٧١	٢ - مولد الحب
١٧٣	٣ - ما يؤديه الحب للناس
١٧٤	٤ - الحب .. أنواع ..!
١٧٤	٥ - كيف يعبر الناس عن الحب؟
١٧٥	أ - ولادة ما هو جميل
١٧٦	ب - علة الحب والرغبة
١٧٧	ج - المعرفة
١٧٧	د - السعى نحو الخلود

١٨٠	٦ - مدارج الروح فى طريق الخلود
١٨١	٧ - غاية الحب
١٨٣	تاسعاً : فلسفة ديوتيميا - وفلسفة أفلاطون
١٨٣	١ - الخير الجمالي
١٨٤	٢ - تصور «ديوتيميا» للخلود
١٨٥	أ - الخلود .. والهوية الشخصية
١٨٨	ب - الخلود ... ونظرية التذكر
١٨٩	ج - الخلود .. وتناسخ الأرواح
١٩١	خاتمة :

١٩٣	الفصل السادس : جوليا دونا .. أو جوليا الفيلسوفة
١٩٥	تمهيد
١٩٦	أولاً : حياتها
٢٠٧	ثانياً : جوليا .. الفيلسوفة
٢٠٩	ثالثاً : صالون جوليا الأولى أو حلقتها الفلسفية
٢١٢	رابعاً : السوفسطائيون
٢١٩	خامساً : ماهى الفلسفة التى درستها جوليا
٢٢٠	سادساً : الفلسفة التى اهتمت بها جوليا
٢٣١	خاتمة :

٢٣٣	الفصل السابع : ماكرينا
٢٣٥	أولاً : حياتها ومؤلفاتها
٢٣٧	ثانياً : ماكرينا .. والتراث الروحي
٢٣٧	١ - وجدة النفس وخلودها

٢٣٩	٢ - الزهد أو التنسك
٢٤١	٣ - الغنوصية
٢٤٣	٤ - الغنوصية.. والمسيحية ودونية المرأة
٢٤٥	ثالثاً : ماكرينا وروح المرأة
٢٥٠	رابعاً : ماكرينا والخلق، والتجسيد ، والقيامة
٢٥٠	١ - ماكرينا وتراث أفلاطون
٢٥٣	٢ - ماكرينا .. وفرزيوس
٢٥٤	٣ - ماكرينا وتراث فيلو السكندري
٢٥٦	٤ - ماكرينا .. ونظريات الجسد
٢٥٩	الفصل الثامن : هيباشيا .. فيلسوفة الاسكندرية
٢٦١	- هيباشيا : الميلاد والنشأة
٢٧٦	- أعمالها : الأنشطة التعليمية
٢٨٣	- الشروح
٢٩٤	- خاتمة
٢٩٨	خاتمة البحث
٣٠٣	مراجع البحث
٣١١	مؤلفات الأستاذ الدكتور إمام عبد الفتاح إمام

مدخل عام ...

«قالت: يا أيها الملأ أفتونى فى أمرى، ما كنتُ  
قاطعةً أمراً حتى تشهدون».

(النمل - ٣٢)

«جنس الذكر أصلح للرئاسة من جنس الأنثى، ومن ثمَّ  
فتسلط الرجال على النساء مسألة طبيعية جداً...!»

أرسطو: السياسة ١٣٥٩ - أ

## مدخل عام

هذا الكتاب - وهو العدد الرابع من سلسلة «الفيلسوف .. والمرأة» - دعوة إلى المرأة العربية لتستعيد الثقة بنفسها، وتنفض عنها غبار السنين الطويلة من الجهل والتخلف. إنه دعوة لنبذ الفكرة السانجة التي تقول «أن عقل المرأة أقل من عقل الرجل»، أو أن تفكيرها يغلب عليه العاطفة والانفعال، وأن أحكامها يسيطر عليها الاندفاع والتهور، وتنقصها الرؤية والتدبر، فلا الدين يقول شيئاً من ذلك، ولا العلم يعترف به، ولا التاريخ يشهد بصحة شيء منه!

والواقع أن هذه الفكرة السانجة قال بها أرسطو - المعلم الأول - ثم شاعت في العالمين العربى والغربى على حد سواء، وأصبحت هى الهادى والمرشد عن النساء بصفة عامة، وأصبحت المرأة «رجلاً ناقصاً» لا دور لها فى هذه الدنيا سوى الإنجاب وتربية الأولاد. وأخطر ما فى نظرية أرسطو أنه يذهب إلى أن الطبيعة «التي لا تفعل شيئاً باطلاً» هى التي جعلت المرأة على هذا القدر من الدونية، وليس للعادات أو التقاليد أو أفعال المجتمع - لا سيما المجتمع الذكورى - دخل فى تحديد هذه الدونية<sup>(١)</sup>!

---

١ - عرضنا فكرة أرسطو بالتفصيل فى كتابنا «أرسطو .. والمرأة» - العدد الثانى من هذه السلسلة - مكتبة مديولى.

والعجيب أن العالم العربى تلقف هذه النظرية الأروسطية بغبطة - حاجة فى نفسه - وراح يضفى عليها شيئاً من القداسة. وللقارئ المنصف أن يقارن بين الآية الكريمة التى صدرنا بها هذا المدخل، والتى تشهد برجاجة عقل المرأة، وسديد رأيها، وحكمتها فى تدبير شؤون الحكم، ممثلة فى صورة «بلقيس» ملكة سبأ، بعد أن جاءها كتاب سليمان الحكيم، وحوارها مع أشراف قومها - وبين عبارة أرسطو التى صدرنا بها هذا المدخل أيضاً، ليعرف كيف يضل ضلالاً بعيداً، إن هو ذهب إلى أن الدين يؤيد فكرة أرسطو الساذجة عن دونية عقل الأنثى وعجزها عن إدارة دفة الحكم! وسوف نعود إلى هاتين الفكرتين بعد قليل.

إننا إذا أثبتنا عن طريق شواهد التاريخ أن هناك امرأة واحدة تفلسفت، أو برهنت على رجاجة العقل وصواب الفكر عندها، فإننا نهدم بذلك آلاف الأمثلة الإيجابية التى يقول بها أصحاب الفكرة الأروسطية المتخلفة التى تغمض العين حتى لا ترى نماذج مضيئة لنساء راجحات العقل، صائبات التفكير، سديدات الرأى على نحو ما سنرى بعد قليل.

وها نحن أولاء نعرض عليك، فى هذا الكتاب، نماذج من «نساء.. فلاسفة» فى العالم القديم، يعقبه قريباً، بإذن الله، كتاب آخر يكمله ويتممه يعرض لنماذج من «نساء... فلاسفة» فى العالم الحديث، لكن علينا قبل كل شئ أن نتفق على فكرتين هامتين هما:

## أولاً:

- هناك قاعدة أساسية فى فلسفة العلم تقول إن الظاهرة السلبية الواحدة أهم عشرات المرات من آلاف الظواهر الإيجابية: فلو أنك

جمعت آلاف مؤلفة من قطع الحديد التى تتمدد بالحرارة، ثم عثرت على قطعة واحدة لا تتمدد مهما وُضِعَتْ فى النار، كانت القطعة السلبية الواحدة (التي لا تتمدد) أهم من آلاف القطع الإيجابية التى جمعتها؛ ذلك لأنها سوف تُبْطِلُ، فى الحال، القانون الذى يقول: «إنَّ الحديد يتمدد بالحرارة»، وقل مثل ذلك فى «غليان الماء» أو «الطفو» أو غيرها من القوانين المعروفة، إذ يتحتم عليك فى هذه الحالة أن تبحث عن قانون جديد يضم آلاف الظواهر الإيجابية مع الظاهرة السلبية التى وجدتها، وحتى ذلك الوقت سيظل «القانون» الذى يقول «إن الحديد يتمدد بالحرارة» باطلاً!

## ثانياً:

— علينا أن ننتبه جيداً إلى أننا بذلك نريد أن نستبعد العبارة التى تتردد كثيراً، والتى أُسِيءَ استخدامها كثيراً أيضاً والتى تقول «إن لكل قاعدة شواذ» — فهى عبارة يرفضها التفكير العلمى السليم، فلا شذوذ فى القانون، بل لابد أن تندرج تحته جميع الظواهر التى يقوم بتفسيرها. ويبدو أن عبارة «لكل قاعدة شواذ» ابتكرها النحاة عندما عجزوا عن إدراج كلمات معينة فى القاعدة اللغوية التى وضعوها فاكتفوا بهذه العبارة، لكن لا شئ من هذا القبيل يمكن أن تجده فى القانون العلمى، فلا تستطيع أن تقول إن الماء يغلى فى درجة حرارة ١٠٠ (طبقاً لظروف معينة معروفة) ما عدا هذه الكمية القليلة من الماء الموجودة فى بيتى لأنه ماء «شاذ» ولكل قاعدة شواذها! التفكير العلمى السليم يقول لك إن القانون لابد أن يكون كلياً، أعنى: ينطبق على كل جزئيات الظاهرة التى تدرسها. ومن هنا كانت أهمية الظاهرة السلبية الواحدة:

لأنها تهدم صفة «الكلية أو العمومية»، ومن ثم تُبطل القانون وتُوقف العمل به إلى أن تجد قانوناً أوسع وأشمل يضم الظواهر الإيجابية والظاهرة السلبية في آن معاً.

هذا تمهيد ضروري لما ننوي أن نعرضه في هذا الكتاب، فقد جرت العادة التي أصبحت أقرب إلى البدئية الواضحة بذاتها - أن نقول: إن تاريخ الفلسفة، لا سيما الفلسفات القديمة، هو تاريخ الفلاسفة من الرجال، وبالتالي: ليس من المؤلف أن يكون هناك «نساء ... فلاسفة»، بل قد يعجب القارئ إن لم يسخر في أعماقه من عنوان الكتاب! فبدايات الفلسفة الأولى المسجلة في بلاد اليونان في القرن السادس قبل ميلاد المسيح، في منطقة أيونيا، وفي مدينة ملطية Miletus على وجه التحديد - أنتجها قلة من الرجال هم ثلاثة: طاليس Thales (حوالي ٥٨٥ ق.م)، وأنكسمندر Anaximander (حوالي ٥٦٥ ق.م)، وأنكسمنس (حوالي ٥٤٦ ق.م) أعضاء المدرسة الأيونية الموقرة، إذ هم الطبيعيون الأوّل، ثم توالى موكب الفلاسفة من الرجال: هيراقليطس، وفيثاغورس ويارمئيدس، وزينون، وأنكساجوراس، وديمقريطس.. إلخ حتى نصل إلى العصر الذهبي للفلسفة اليونانية: عصر سقراط، وأفلاطون، وأرسطو .... ثم بعده يسير الركب حتى نصل إلى الحركة التوفيقية في القرن الثالث المسيحي.

ولو أنك استعرضت تاريخ الفلسفة الغربية، وما يرويه المؤرخون من أمثال فيندلبننت، وكونوفيشر، وكوبلستون، وإميل برييه، (بل حتى المؤرخون الفلاسفة من أمثال: هيجل ورأسل ... إلخ) - لوجدت أنه استعراض لأفكار الرجال ومذاهبهم، فأنت لا تجد عندهم إشارة إلى

نساء فلاسفة باستثناء امرأة واحدة من الأفلاطونية المحدثه يذكرونها سريعا - وعلى استحياء - هي: هيباشيا Hypathia فيلسوفة الإسكندرية الشهيرة التي يصعب عليهم أن يغضوا الطرف عنها، لشهرتها العريضة في تاريخ الفلسفة!

لو أنك سألت هؤلاء الرجال: لماذا لا نجد «نساء ... فلاسفة» طوال التاريخ؟ لأجابوا - في الأعم الأغلب - :لأن المرأة رقيقة، عاطفية، انفعالية، ليس لديها القدرة على التفكير المجرد، أو أن الفلسفة - في نهاية أمرها - «عقل» والنساء «ناقصات في قدراتهن العقلية» فهن لا يبلغن من الذكاء والعبقرية مبلغ الرجال<sup>(١)</sup>. وأعجب العجب أن تجد، في بلادنا، من يرد هذه الأفكار الساذجة، والآراء الخاطئة إلى الإسلام العظيم الذي قدّم لنا نماذج رائعة لنساء لا يغلب عليهن الانفعال، ولا يخضعن

---

١ - لا يجوز الاحتجاج بالآيتين الكريميتين «للرجال عليهن درجة» (البقرة ٢٢٨) و«الرجال قوامون على النساء» (النساء - ٣٤) فهي آيات لا تتحدث عن الرجل والمرأة بإطلاق، وإنما تتحدث عن علاقة الزوج بزوجته داخل الأسرة، وترتيب واجبات الإنفاق من ناحية، وتربية الأولاد من ناحية أخرى، حيث إن الأسرة مفهوم أخلاقي وليس مؤسسة «سياسية»، ولهذا كان من الخطأ الفادح الخروج بفكرة «القوامة» من حيز الأسرة (الأخلاقي) إلى مجال الدولة (السياسي). وإذا كان من الخطأ - كما قلنا في مكان آخر - الحديث عن «ديمقراطية في الأسرة»؛ حيث إننا في هذه الحالة نخلط بين الأخلاق والسياسة، فإن من الخطأ أيضاً أن يقول سائق سيارة الوزيرة أو الفراش الذي يقف على باب المديرية أن له «القوامة» عليها؛ راجع ذلك د. إمام عبد الفتاح إمام «مسيرة الديمقراطية... رؤية فلسفية» دراسة في «عالم الفكر» عدد خاص عن الديمقراطية أصدره المجلس الوطني للثقافة والفنون بدولة الكويت - العدد الحادي والعشرون عام ١٩٩٣.

للعاطفة، ولا يتصف سلوكهن بالتهور! ومن هنا تأتي أهمية الآية الكريمة التي صدرنا بها هذا المدخل على لسان «بلقيس» ملكة سبأ عندما تلقت كتاب سليمان الحكيم، فهي لا تسرع في الرد، ولا تنفعل ولا تتهور، بل تدعو علية القوم للتشاور قبل أن تقدم على اتخاذ قرار خطير يمس المملكة بأسرها «قالت يا أيها الملأ أفنتوني في أمرى، ما كنت قاطعة أمراً حتى تشهدون» (النمل - ٣٢) في الوقت الذي يصور فيه القرآن الكريم اندفاع المستشارين من الرجال وتهورهم عندما راحوا يلوحون باستخدام القوة «قالوا نحن أولوا قوة، وأولوا بأسٍ شديد، والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين..» فنبهتهم بلقيس إلى أن «الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة، وكذلك يفعلون» (النمل ٣٣ - ٣٤).

ونحن، للأسف نترك هذه الآيات المضيئة لناخذ بفكرة أرسطو التي تقول إن قدرات المرأة العقلية أقل من الرجل، وأنها لا تصلح للحكم، بل حتى ولا تستطيع أن تدبر شؤون الأسرة! ولهذا كان «جنس الذكر أصلح للرئاسة من جنس الأنثى». وهكذا يصبح تسلط الرجال على النساء مسألة طبيعية جداً...! ونحن نأخذ بفكرة أرسطو الوثني، ونغض الطرف عن آيات بينات تتحدث عن رجاحة عقل المرأة وسداد رأيها، وتتحدث بوضوح عن نساء أثبتن كفاءة في الحكم، ورجاحة العقل، وقدرة، وسعة أفق أكثر بكثير من عشرات الرجال المثل: مارجرت تاتشر في إنجلترا الملقبة بالمرأة الحديدية، و«بى نظير بوتو» في

باكستان، و«أنديرا غاندى» فى الهند، و«جولدا مائير» التى ذقنا المرء على يديها فى إسرائيل! (١).

فإذا طبقنا الفكرة التى بدأنا بها هذا المدخل، وهى القول بأن الظاهرة السلبية «الواحدة» أهم فى نظر التفكير العلمى من عشرات الظواهر الإيجابية، وكانت النتيجة العملية هى هدم الفكرة الشائعة عن ضعف المرأة، ونقص العقل عندها، وغلبة الانفعال والعاطفة عليها، وسيطرة التهور والاندفاع .. إلخ، فتلك كلها أوهام خلقها «عقل الرجل» ويبدها الواقع الحى الذى نعيشه!

الواقع أن الحملة التى تشن ضد «عقل المرأة»، والزعم بعدم قدرتها على التفلسف، والقول بأن تاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلاسفة من الرجال - هذه الحملة تتغافل الدور البارز الذى تلعبه الظروف الاجتماعية والدينية ... إلخ واستعباد الرجال للنساء وسيطرتهم عليهن طويلا، وما ترتب على ذلك كله من عدم إتاحة الفرصة للنساء للتعليم، وإظهار قدراتهن العقلية .. إلخ.

باختصار: هناك تغافل لدور «البيئة» فى قدح القدرات وإظهارها حتى بالنسبة للرجال. وما أشبه هذه الحملة بقول الغربيين «إن العقلية الشرقية أقل من العقلية الأوروبية» متغافلين أيضا الأثر السيئ للبيئة الشرقية، وغاضبين الطرف عن نماذج مضيئة من العقل الشرقى ظهرت

---

١ - ناقشنا هذا الموضوع مناقشة مستفيضة فى الخاتمة التى ختمنا بها كتابنا «أرسطو ... والمرأة» ص ١٠٩ وما بعدها - مكتبة مدبولى بالقاهرة، (العدد الثانى من سلسلة «الفيلسوف ... والمرأة»).

ونبغت وأثبتت جدارة عندما واتتها الفرصة: لقد كان مجدى يعقوب -  
نابغة الطب فى إنجلترا الآن - لا شئ فى مجتمعه، ثم أصبح كل شئ فى  
جراحة القلب، دون أن يتغير شئ سوى البيئة المحيطة بهذه العقلية  
الجبارة! وقل نفس الشئ بالنسبة لعالم آخر هو «فاروق الباز» الذى  
أصبح منارة فى مجال ارتياد الفضاء، ولو أنه ظل فى مصر ما سمع عنه  
أحد! إننا نستعذب قتل المواهب فى الرجال، فما بالك بالنساء!؟

إن القول بأن «عقل المرأة» أقل فى كفاءته من عقل الرجل، وأن  
الأنثى ليست لديها القدرة على التفلسف، يشطر العقل البشرى  
شطرين، أو يجعله نوعين منفصلين ومتمايزين، وهو قول ظاهر  
البطلان، وهو يشبه تماماً القضية التى كثيراً ما أثارها المستشرقون  
حول إمكانية «العقل العربى» وقدرته على التفلسف، وإنكارهم أن هناك  
فلاسفة مسلمين: فالكندى، والفارابى، وابن سينا، وابن رشد... إلخ إلخ  
ليسوا سوى نسخ باهتة من أفلاطون أو أرسطو، أو أنهم خلطوا بينهما،  
وهم فى جميع الأحوال ليس لديهم القدرة على الخلق والإبداع، ومن ثم  
ليست لديهم فلسفة خاصة بهم!

ولقد تصدى الأستاذ العقاد لتفنيد هذه المزاعم فقال: «من  
ضروب التجنى التى لا تُحمد من العلماء أن يقال إن العقل العربى لن

---

١ - من المفارقات الغريبة أن يكون العقاد - رحمه الله - من أنصار القضية الأولى،  
أعنى: التى تؤكد عدم قدرة المرأة على التفلسف (راجع، مثلاً، هذه الشجرة  
وغيرها) وبالتالي يجعل العقل البشرى نوعين لا نوعاً واحداً، ومع ذلك يدافع  
بحرارة عن القضية الثانية مبرهنًا على أن العقل البشرى واحد، وليس ثمة أنواع أو  
درجات تميز صنفًا من البشر عن صنف آخر!!

يستطيع التفلسف بحال من الأحوال»<sup>(١)</sup>.. وهذا الرأي يروج بين الأوروبيين بغير تمحيص ولا مناقشة؛ لأنه يعجبهم ويرضى غرورهم، ومصالحهم فى وقت واحد: يرضى غرورهم، لأنه يسوغ لهم استعمار الشرق واستغلاله، وهو يرد على هذا الافتراء بقوله: «الواقع أنه لا اختلاف هناك فى أصل الطبيعة بين العقل الإغريقى والعقل البشرى فى السلالات الشرقية، وإنما رأى السليم الذى يقبله المنطق والعلم على السواء أن موانع الفلسفة واحدة حيث كانت الأمة من مواقع الأرض، وكيفما كانت السلالة من عناصر الأجناس والأقوام، فالإغريق فى موضع العرب لا يتفلسفون، والعرب فى موضع الإغريق لا يحجمون عن الفلسفة ودراسة العلوم»<sup>(١)</sup> فلم تكن طبيعة العقل البشرى هى السبب فى عدم تفلسف الشرقيين عامة، والعرب بصفة خاصة، فما هو السبب فى رأى الأستاذ العقاد؟! يقول: «هذه البحوث (الفلسفية) كانت مباحة عند الإغريق، لأن بلادهم نشأت وتطورت، دون أن ينشأ فيها ملك قوى أو كهانة قوية، ولو قامت عندهم الدولة القوية، والكهانة القوية، كما قامت فى مصر وبابل، لكان شأنهم فى أسرار الدين والمسائل الإلهية كشأن البابليين والمصريين..»<sup>(٢)</sup>.

وخلاصة القضايا التى يثيرها الأستاذ العقاد هى:

١ - طبيعة العقل البشرى واحدة عند جميع الأجناس والأقوام،

---

١ - عباس محمود العقاد «أثر العرب فى الحضارة الأوروبية» دار المعارف بمصر عام ١٩٤٦ ص ٩١.

٢ - المرجع نفسه ص ٤٠٨٤ - المرجع نفسه ص ٨٥.

فليس ثمة عقل بشري عند فئة أو جماعة أو صنف من البشر يختلف عن فئة أو جماعة أخرى.

٢ - فكرة الاختلاف والفوارق بين عقول البشر، الخاطئة، رُوِّج لها الأوروبيون لمصلحتهم الخاصة.

٣ - السبب الحاسم في عدم تفلسف الشرقيين هو الظروف الاجتماعية والسياسية والدينية التي مرَّ بها الشرقيون، وأهمها - في نظره - طغيان الحاكم وسيطرة رجال الدين.

٤ - هناك فكرة أخيرة يثيرها الأستاذ العقاد بعد ذلك يرد بها على قول الأوروبيين أن الشرقيين لم يبدعوا جديداً في الفلسفة، وأن أقصى ما فعله المسلمون هو ترديد فلسفة أفلاطون أو أرسطو أوهما معا - والعقاد في رده على هذا الافتراء يذهب إلى أن القدرة العقلية لا تعنى إبداع الجديد فحسب، بل تعنى أيضاً «فهم» الفلسفة القائمة وشرحها وضمها، وتمثلها كذلك؛ فهذا، في حد ذاته، دليل صارخ على قدرة عقلية كبيرة، فحتى لو سلّمنا جدلاً بأن المسلمين اقتصرُوا على شرح فلسفة أفلاطون أو أرسطو فإن ذلك يُعدّ دليلاً على قدرتهم العقلية.

وهذه النقاط الأربع تنطبق تماماً على قضية عدم تفلسف المرأة عبر التاريخ، أو أننا لا نجد «نساء ... فلاسفة»، أو أن تاريخ الفلسفة هو تاريخ الفلاسفة الرجال فحسب - فلا يجوز أن يقال إن السبب هو أن عقل الأنثى يختلف عن عقل الرجال الذي «هو بطبيعته» أعلى، وأكثر تفوقاً، وأشدّ ذكاءً وعبقريّة ... إلخ، فتلك فكرة خاطئة رُوِّج لها الرجال لأنها تُرضى غرورهم، وتحقق مصلحة للرجل، بغير شك - مصلحة

فى إبقاء المرأة فى وضع أدنى لكى تخدمه، وتعطيه الوقت اللازم ليمارس هو حياته ومهامه التى يراها سامية ... إلخ؛ لهذا نراه يدافع بقوة عن الوضع المتدنى للمرأة، بل الأدهى من ذلك أن يقوم بتأصيله وتنظيره ويجعل منه «فلسفة» كاملة كما فعل أرسطو. وهنا تكمن الخطورة! فأنت ترى كبار الفلاسفة كانوا أبناء عصرهم تماماً، فتراهم يلخصون فى أفكار مجردة عادات مجتمعهم وتقاليده بالنسبة للمرأة، فيقدمون لنا نظريات فلسفية تنم عن كراهية متأصلة للمرأة، فى الوقت الذى تجدهم فيه «ثائرين» فى مجالات أخرى!

ومن هنا نستطيع أن نقول إن البيئة التى عاشت فيها المرأة طوال التاريخ، وما يشكلها من عوامل وظروف اجتماعية، وسياسية، ودينية واقتصادية... إلخ، هى التى منعت المرأة من التفلسف، وليس بسبب «نقص» أو «خلل» فى قدرتها العقلية! الظروف التى مرت بها المرأة هى التى مكنت الرجل من استعبادها ووضعها فى زاوية منعزلة من الدار، ليطلق عليها لفظ «الحريم». وعندما خضع الرجل لطغاة عبر التاريخ حرموا عليه التفلسف على نحو ما فعل الإمبراطور الرومانى «نيرون» وغيره - اختفت الفلسفة أيضاً حتى بالنسبة للرجال! ومعنى ذلك أن الرجل لو كان فى وضع المرأة، ولو مرّ بهذه الظروف نفسها، لكان هو الأدنى والأقل عقلية أو عاجز عن التفلسف!

بقيت نقطة أخيرة وهامة فى حديث «العقاد»، وهى أن مجرد «فهم» الفلسفة هو وحده دليل على قدرة عقلية متقدمة. ومعنى ذلك أننا إذا وجدنا من النساء نماذج استطاعت أن تفهم الفلسفة، وأن تناقش موضوعاتها، وأن تدلى برأى فى قضاياها - فذلك دليل قوى على

قدرتها العقلية، حتى ولو لم تبدع لنفسها فلسفة مستقلة!

الواقع أنه رغم خضوع النساء الطويل للرجال، واستعبادهن، وعزلهن عن الحياة العامة، ونقص فرص التعليم أمامهن، بل عدم إتاحة الفرصة على أى نحو للمشاركة فى ثقافة العصر – رغم ذلك كله فإنك تستطيع أن تجد هنا وهناك نساء لامعات، لهن دور فى «البحث عن الحكمة» منذ فجر الفلسفة. صحيح أنه دور صغير وبسيط، لكنه يثبت – على أية حال – قدرتهن على القيام بدور أكبر إذا ما لاحت الفرصة، وتغيرت البيئة المناوئة التى تعمل على كبت قدراتهن، وتمنعها من الظهور.

سوف نجد فى هذا الكتاب عبارات منسوبة إلى النساء الفلاسفة، فى العالم القديم – لا سيما قبل ظهور المسيحية – وهى عبارات قليلة وبسيطة، أو قل: شذرات متناثرة هنا وهناك، لكنها تعبر عن فكر ورأى وموقف، ومن ثم فهى ضرب من التفلسف لا يمكن أن يحتج القارئ بأنها مجرد «عبارات» قليلة وبسيطة، فهكذا كانت الفلسفة فى بدايتها: لم يُعرف عن طاليس – أول الفلاسفة – سوى أنه قال «الماء هو أصل الأشياء جميعاً» وأن «العالم مملوء بالآلهة»، وقال غيره إن أصل الأشياء هو الهواء، أو النار، أو العناصر الأربعة... إلخ. مجرد عبارات قليلة وبسيطة، ومع ذلك كانوا فلاسفة وأصحاب مذاهب فلسفية «طبيعية» أحياناً، و«ميتافيزيقية» أحياناً أخرى، و«أخلاقية» أحياناً ثالثة.

وكما أنك تجد أنه كان هناك كتب للفلاسفة من الرجال لكنها فقدت، ولم يبق منها سوى فقرات، فسوف تجد ذلك بالضبط مع النساء الفلاسفة، فلم يبق لنا مثلاً من كتابات «إيزارا .. Aesara» سوى

شذرات قليلة من كتابها: «عن الطبيعة البشرية .. Om Human Nature» على نحو ما سنعرف فيما بعد.

وكما أن تاريخ الفلسفة الغربية يبدأ في اليونان في القرن السادس قبل الميلاد – بالمدرسة الأيونية (طاليس ومدرسته) – فكذلك يبدأ تاريخ النساء الفلاسفة في القرن السادس قبل الميلاد بالمدرسة الفيثاغورية (وقد ولد فيثاغورس في جزيرة ساموس Samos في بحر إيجه المواجهة لمدينة ملطية)، فقد حظيت المرأة الفيثاغورية بفرص هامة مكنتها من القراءة والكتابة، وقبل كل شيء من التفكير والمناقشة وإعمال العقل، ووقفت على قدم المساواة مع الرجل. وكان الاعتقاد السائد عند «الجماعة الفيثاغورية» أنه على الرغم من أن طبيعة المرأة تختلف عن طبيعة الرجل، فإنها لا تقل عنه أبداً، لا من حيث القدرة، ولا من حيث القيمة.

ومن هنا، فقد كانت النساء الفيثاغوريات مثقفات، لهن اهتمامات فكرية وأدبية بارزة، وقد عشن إبان تأسيس المدرسة الفيثاغورية الأولى، وكانت ثيانو Theano زوجة فيثاغورس Pythagoras أشهرهن جميعاً، وقد قامت مع بناتها الثلاث: أريجنوت Arignote، وميا .. Myia، ودامو Damo، برئاسة المدرسة الفيثاغورية وإدارتها بعد وفاة مؤسسها: فيثاغورس<sup>(١)</sup>.

وقد توحى بعض الأساطير الأولى من الشذرات المتبقية، أن

---

1 - Peter Gorman: "Pythagoras: A life" Routledge & Kegan Paul 1979, p.120.

الفيثاغوريات - أول النساء الفلاسفة فى التاريخ - كتبن فقط فى الاقتصاد المنزلى، أو أن الموضوعات التى كتبن فيها تدور حول رعاية الطفل وتربيته، ودور المرأة فى المنزل والمجتمع... إلخ، غير أن القراءة النقدية الفاحصة والمتأنية لهذه الشذرات تجعل القارئ يخرج بنتيجة مختلفة: فهؤلاء النسوة من فلاسفة الفيثاغورية يحلن مفهوم «الهارمونيا .. Harmonia»، والتناغم أو الانسجام فى محاولة لبيان الطريقة التى يمكن بها تطبيق هذا المفهوم على بنية الدولة أو إدارتها، وعلى بنية الأسرة وإدارتها، بوصفها العالم الصغير بالنسبة للدولة. فإذا كان فلاسفة الفيثاغورية من الرجال قد اتجهوا بجهودهم نحو تفسير العالم الكبير Macrocosm، تفسيراً رياضياً يجعل نسيجه «العدد والنغم»، فإن فلاسفة الفيثاغورية من النساء اقتصرن جهودهن على العالم الصغير Microcosm، أعنى: على الفلسفة بالمعنى الواسع للفظ الذى يشمل الأسرة والدولة فى أن معاً، فقد ناقشن كيف يمكن للمرأة أن تطبق «مبدأ الهرمونيا» (التناغم - الانسجام) على تنشئة الأطفال، ليصبحوا فى مرحلة النضج منصفين فضلاء، وأفراداً متناغمين. كما درسوا الطريقة التى يمكن للمرأة أن تطبق بها هذا المبدأ على ميادين أخرى، فى مجالات متنوعة من حياتها اليومية. وليس فى ذلك شئ من الاقتصاد المنزلى، كما ذهب بعض الرجال الذين يريدون التهوين من شأن الدور النسائى فى الفلسفة الفيثاغورية! وإنما هو دراسة وتطبيق للنظرية الأخلاقية عند الفيثاغوريين، مع إكمالها بجوانب من علم نفس النمو الأخلاقى، فضلاً عن نظرية الالتزام الأسرى، وموضوعات أخرى كثيرة.

ولم تكن الفيثاغوريات فى المدرسة الأولى، أو فى الفيثاغورية المتأخرة، هن النساء الفلاسفة الوحيديات فى العالم القديم، بل هناك كثرة كثيرة، وقد قام جيل ميناج Gilles Menage (١٦١٢ - ١٦٩٢) - وهو محام مثقف وباحث فى اللغة والكلاسيكيات فى القرن السابع عشر - بدراسة النساء الفلاسفة فى العالم القديم، وذهب إلى أنه اكتشف منهن خمس وستين امرأة! وقد سجل هذا الاكتشاف فى كتاب جعل عنوانه «تاريخ النساء الفلاسفة»، ونشره عام ١٦٩٠م ثم عام،

---

١ - وضعه «ميناج» باللغة اللاتينية، وهى لغة المثقفين فى القرن السابع عشر، بعنوان: "Historia Mulierum Philosopharum" وكان «ميناج» «عضواً بارزاً فى معظم الصالونات الأدبية فى باريس، حتى أنه كَوّن لنفسه حلقة أدبية سميت باسم «لقاء الأربعاء» لأن أعضاءها كانوا يلتقون يوم الأربعاء من كل أسبوع، بل واصل أصدقائه ومحبيه وأعضاء حلقة اللقاء بعد وفاته، وجمعت أحاديثهم وصدرت تحت عنوان «ميناجيات. Menagrana». ولقد نشر أيضاً معجماً لغوياً عن أصول اللغة الفرنسية فى باريس ١٦٥٠م. وملاحظات حول اللغة الفرنسية فى باريس ١٦٧٢م. وفى ميدان الفلسفة كتب شروحا مفصلة لكتاب ديوجنز اللايرتى: «حياة مشاهير الفلاسفة» باريس ١٦٦٣، وقال فى مقدمة الكتاب إنه ظل طوال حياته يتمتع بتاريخ الفلسفة الذى كان يسميه «بتاريخ العبقرية»، وبعد ذلك كتب «تاريخ الفلاسفة من النساء» الذى نشره أولاً فى ليون عام ١٦٩٠م تكملة لكتاب ديوجنز اللايرتى سالف الذكر. وقامت بياتريس هـ. زدler Beatrice H.Zedler بترجمته من اللاتينية إلى الإنجليزية مع مقدمة وتعليقات عام ١٩٨٤م.

١٦٩٢ م<sup>(١)</sup>، وهو كتاب كان بالغ الأهمية فى عصره وفى عصرنا أيضاً، لأنه يشكل إسهاماً مبكراً فى جانب مُهمَل من تاريخ الفلسفة، ومن التاريخ العقلى للمرأة بصفة عامة. ولقد أصبح نقطة انطلاق فى بحوث جديدة فى هذا الموضوع<sup>(١)</sup>.

وليس فى نيتنا أن نعرض لجميع النساء الخمس والستين اللاتى درسهن «ميناج» فى كتابه؛ فليس المهم أن نقوم «بحصر» شامل لجميع «النساء ... الفلاسفة» طوال التاريخ، بل أن نقدم نماذج نهدم بها الفكرة السانجة الشائعة التى تقلل من قدرات المرأة العقلية، بهدف أن تستعيد المرأة العربية ثقتها بنفسها، وتعمل إلى جانب الرجل فى إعادة بناء مجتمعنا، إذ لا شك عندى أنه حدثت ردة فى عالم المرأة<sup>(٢)</sup> نتيجة للانغلاق الفكرى فى عهد الثورة المصرية.

لن نتحدث مثلاً عن المرأة التى يعتقد ديوجنز اللايرتى «أنها أول امرأة يمكن ذكرها فى سياق جهود الفلسفة اليونانية، واسمها كليوبولينا.. Cleobulina حوالى ٦٠٠ ق.م، وهى التى وضعت بعض

---

١ - أصدرت مارى ألن ويث ثلاثة مجلدات بعنوان «تاريخ النساء الفلاسفة»، المجلد الأول يتناول حقبة تاريخية تمتد من ٦٠٠ ق.م حتى ٥٠٠ ق.م، والثانى من ٥٠٠ م حتى ١٦٠٠ م، والثالث من ١٦٠٠ حتى ١٩٠٠ م. كما أصدرت إيثيل كيرزى كتابها «نساء فلاسفة». وأصدرت ليندا ماكليستر مجلة فلسفية نسائية بعنوان «هيباشيا»... إلخ.

٢ - انظر النماذج التى قدمها لهذه الردة، أستاذنا المرحوم د. زكى نجيب محمود فى كتابه «فى مفترق الطرق» فى ثلاث مقالات عامة بعنوان «ردة فى عالم المرأة» ١ و٢ من ص ١٣٩ حتى ص ١٦٥ دار الشروق بمصر عام ١٩٨٥.

الألغاز الفلسفية، وربما كانت هي أم الفيلسوف طاليس الذي يشير إليه الجميع على أنه أبو الفلسفة الكسمولوجية في القرن السادس ق.م .. ويشير ديوجنز إلى كليوبولينا على أنها «أحكم امرأة»<sup>(١)</sup>، وقد نقل عنه «ميناج» في كتابه هذه المعلومات، وإن كان يضيف أنها كانت موجودة عند «بلوتارك» في كتابه «مأدبة الحكماء السبعة». ولن نذكر هيبو Hippo ابنة خيرون الحكيم<sup>(٢)</sup> ولا «ميرو Myro» التي يُطلق عليها قاموس سويداس Suidas اسم «فيلسوفة رودس».. إلخ إلخ<sup>(٣)</sup>، ولا عشرات غيرهن، وإنما سوف نعرض لشخصيات أكثر أهمية.

لما كانت المدرسة الفيثاغورية هي التي أفسحت المجال لتعليم المرأة ومشاركتها في الحياة العقلية والمسائل الفلسفية، فسوف ينصب الفصل الأول في هذا الكتاب على هذه المدرسة: تأسيسها، وبنيتها، وقواعدها.. إلخ، لكي ندرس في الفصل الثاني بعض فلاسفة الفيثاغورية المبكرة من النساء. في حين ينصب الفصل الثالث على «النساء.. الفلاسفة من الفيثاغورية المتأخرة». أما الفصل الرابع، فسيكون عن امرأة خصص لها أفلاطون محاورة كاملة – وهذه المرأة هي أسبازيا، معلّمة البيان «التي سعى إليها سقراط، واعترف أنها هي التي وضعت الخطاب الجنائزي لبركليز.. والذي ألقاه في ذكرى شهداء

---

1- Diogenes Laertius: "Lives of Eminent Philosophers" Translated by R.D. Hicks, Harvard University Press 1979, P.27.

2 - G. Menages: The History of Women Philosophers P.5.

3 - Ibid.

أثينا فى حربها مع اسبرطة. وفى الفصل الخامس ندرس «ديوتيماتا.. معلمة سقراط» ونظرياتها عن الحب، وخلود النفس على نحو ما عرضها أفلاطون فى محاوره «المأدبة»، وناقش الشخصية التاريخية لهذه المرأة.

فى الفصل السادس ندرس «جوليانونا.. أو جوليا الفيلسوفة» ورعايتها للفلاسفة وعلماء الرياضه، والأطباء، ومنهم الاسكندر الأفروديسى وجالينوس الطبيب، وفلوستراتوس الفيثاغورى .. إلخ. فى حين ينصب الفصل السابع على «ماكريتا.. القديسة الزاهدة». أما الفصل الثامن والأخير، فسوف نخصصه للفيلسوفة المصرية التى ذاع صيتها فى العالم القديم «هيباشيا.. فيلسوفة الإسكندرية».

وإذا شعر القارئ أن النصوص قليلة للنساء الفلاسفة فى العالم القديم، فعليه أن يكون على بينة أن تلك هى الحال نفسها بالنسبة للفلاسفة من الرجال فى الفلسفة القديمة، وأن سقراط نفسه لم يكتب حرفاً واحداً، وأننا عرفنا آراءه وأفكاره مما يقوله تلميذه أفلاطون بصفة خاصة. لكن ذلك لا يعنى أننا لن نجد طوال التاريخ مؤلفات لنساء فلاسفة، فعندما تتاح الفرصة للمرأة سوف تكتب وتترك أثراً فلسفياً خالداً: على نحو ما نجد، مثلاً، عند سوزان ستينج -Susan Stebbing (١٨٨٥ - ١٩٤٣) الفيلسوفة وعالمة المنطق الإنجليزية، أو سوزان لانجر Susan Langer (١٨٩٥ - ١٩٨٥) فيلسوفة الجمال وعالمة المنطق الأمريكية، أو سيمون دى بوفوار Simone de Beauvoir (١٩٠٨ - ١٩٨٦) الفيلسوفة الوجودية الفرنسية التى كتبت عن «الجنس الآخر»، وكتبت عن «الأخلاق»، كما كتبت عن «الشيخوخة»،

فضلاً عن الروايات، تماماً كما فعل سارتر. ومن الألمان حته أرندت Hannah Arendt (١٩٠٦ - ١٩٧٥) الفيلسوفة الألمانية الأصل التي هربت من النازي إلى الولايات المتحدة، وأصبحت منظرة سياسية، فقد كتبت عن «أصول الحكم الشمولي» كما كتبت «عن الثورة»، كما كتبت عن العنف، وعن الحرية، وعن حياة العقل .. إلخ. وعشرات غيرهن.

إنني لأمل، بهذا الكتاب، أن يعيد القارئ النظر في الآراء الساذجة التي تنشر في مجتمعنا عن المرأة، كما أمل أن أكون قد قدمت ما يساعد المرأة العربية على أن تستيقظ من جديد، وأن تواصل عطاءها السابق قبل الثورة.

والله نسأل أن يهدينا جميعاً سبيل الرشاد

الكويت في يناير ١٩٩٦

إمام عبد الفتاح إمام



# الفصل الأول

« فيثاغورس ... ومدار لستة »

(من واجب المرء أن يكون صادقاً بغير قسم...!)

فيثاغورس

## أولاً: نبذة عن فيثاغورس:

لما كانت المدرسة الفيثاغورية هي أول مدرسة في التاريخ أفسحت المجال للنساء للالتحاق بها، كما كانت بالتالي أول مدرسة نبغت فيها النساء، وظهر فيها «نساء... فلاسفة» - فإن علينا أن نخصص لها الفصل الأول في محاولة للتعرف على فيثاغورس، والجماعة الفيثاغورية: نظامها، وفلسفتها... إلخ.

يقول ديوجينز اللايرتي Diogenes Laertius ... نقلا عن أرسطوبس القورينائي في كتابه عن «الأطباء»: «إن فيثاغورس اكتسب اسمه لأنه «نطق بالحق» كشخص معصوم من الخطأ، كما تفعل عرافة دلفي المسماة - Pythian»<sup>(١)</sup>. ويقول ول ديورانت في هذا المعنى: «إن معنى كلمة فيثاغورس هو «الناطق الفيثي» بلسان مهبط الوحي في دلفي. وكان كثير من أتباعه يقولون عنه إنه هو أبوللو نفسه»<sup>(٢)</sup>. ويزعم البعض أنه ابن مواطن له منزلته المرموقة، وهو منسارخوس .. Mnesarchos، في حين زعم آخرون أنه ابن الإله أبوللو. وسأترك

---

1- Diogenes Laertius: Lives of Eminent Philosophers Vol. II Translated by R. D. Hicks, Harvard University Press 1979, P.339.

٢ - ول ديورانت «قصة الحضارة» المجلد السادس. ترجمة محمد بدران ص ٢٩٣.  
٣ - ب. راسل «تاريخ الفلسفة الغربية» الجزء الأول. ترجمة د. زكي نجيب محمود، ص ٦١، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

للقارئ حرية الاختيار بين هذين البديلين، على حد تعبير راسل<sup>(٢)</sup>.

وتقول الروايات المتواترة أنه ولد في جزيرة ساموس.. Sa-mos في بحر إيجه المواجهة لمدينة ملطية وازدهر شأنه نحو عام ٥٣٢ قبل الميلاد، وتعزو إليه هذه الروايات أنه صرف ثلاثين عاماً في الأسفار. ويقول عنه هيراقليطس: «إن فيثاغورس كان أكثر الباحثين مثابرة..»<sup>(١)</sup>. ويبدو أن هيراقليطس يشير هنا إلى كثرة أسفاره. ذلك أنه ولد أثناء حكم بوليقراتس Polycrates طاغية ساموس، وأنه لهذا السبب هجر موطنه فراراً من الطاغية؛ فذهب أولاً إلى ملطية حيث لقي «طاليس» و «أنكسمندر»، وأخذ عنهما العلم. كما ذهب إلى سيروس Syros - إحدى جزر بحر إيجه أيضاً - ليتعلم من فيلسوفها فيريكيديس.. Pherekydes. وعن هؤلاء المعلمين الثلاثة تلقى فيثاغورس أول يقظة علمية وعقلية. وكان شاباً صغير السن عندما شرب من حكمتهم! <sup>(٢)</sup>، ويروى «ديوجينز اللايرتى أن الفيلسوف فيريكيديس كان يعيش في جزيرة ديلوس (وليس في سيروس) عندما

١ - شذرة رقم ١٧.

2 - Peter Gorman: Pythagoras: A Lif P.24.

3- Diogenes Laertius: Op. Cit. Vol. 2 P.32.

ذهب إليه فيثاغورس، حيث يقول: «كان فيثاغورس تلميذاً للحكيم فيريكيديس حكيم ديلوس Delos»<sup>(٣)</sup> ويبدو أنه ذهب إلى جزيرة ديلوس باعتبارها المكان المقدس لمولد الإله أبوللو<sup>(١)</sup>، ولعل هذا هو السبب في أن هذا الإله أصبح الرمز الأعلى للفكر الديني الفيثاغورس، كما أن هذه الجزيرة كانت المركز الثقافي الديني لأيونيا<sup>(٢)</sup>.

ثم زار فينيقيا، ومنها توجه إلى مصر حيث أقام اثنتي عشرة سنة فيما يروي يامبليخوس.. lamblichus<sup>(٢)</sup> وفي مصر رفض كهنة هليو بوليس قبوله ليكون تلميذاً يتلقى العلم على أيديهم. كذلك رفضه كهنة «ممفيس» بل رفضوا استقبال أحد «البرابرة»<sup>(٤)</sup> ليكون ضمن طلبتهم أو ليتعلم أسرارهم، ونصحوه أن يتجه شمالاً. وهكذا ظل

---

١ - أبوللو Apollo أحد آلهة الأولمب الاثنى عشر في أساطير اليونان، وهو ابن كبير الآلهة زيوس Zeus والربة ليتو Leto. وقد أخرج «زيوس» جزيرة ديلوس Delos من أعماق البحر خصيصاً لتكون محلاً لميلاد أبوللو. وتقول الأسطورة أنه تحدث فور ولادته.. إلخ. طالع قصته بالتفصيل في «معجم ديانات وأساطير العالم» د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الأول، ص ١٠١ وما بعدها. الناشر مكتبة مدبولي بالقاهرة. 2 - Peter Gorman: Pythagoras: A Life. Routledge & Kegan Paul, 1979, P.15.

٣ - يقول بطرس جورمان «إنني أعتقد أن فيثاغورس مكث في مصر عشر سنوات فحسب. وليس اثنتي عشرة سنة كما يروي يامبليخوس فقد وصل إليها عام ٥٣٥ ق.م. عندما كان في الثلاثين من عمره. وظل بها حتى عام ٥٢٥ ق.م. عندما غزا قمبيز ملك الفرس مصر فغادرها فيثاغورس مع الفرس سجيناً، وقد قضى هذه السنوات العشر في المعابد المصرية تعلم فيها الهندسة والفلك والطقوس الدينية» راجع كتابه السالف ص ٤٣.

٤ - لفظ «البرابرة» هنا كان يعنى - على الأرجح - الأمم الأخرى غير المصرية، وكان مستخدماً أيضاً عند اليونانيين ليصفوا به كل من ليس يونانياً.

فيثاغورس يتنقل بين المدن المصرية حتى وافق الكهنة عام ٥٢٥ ق.م. أن يكون تلميذاً على شرط أن يخضع لبعض الاختبارات - طبقاً لما يرويه فرفريوس - وإن كنا لا نعلم عن طبيعة هذه الاختبارات سوى أنها «طرق غريبة على الطرق الهلينية» وسوف يقوم بتطبيق اختبارات مماثلة في مدرسته بعد ذلك، ولقد كان على فيثاغورس أن يحلق شعر رأسه حتى يُسمح له بدخول المعابد المصرية، كما كان عليه أن يراعى المحرمات المصرية: فمثلاً، هناك عدد من الحيوانات والطيور مقدس عند المصريين، ومن ثم يحرم ذبحه أو أكله، كذلك كان الكهنة المصريون يمتنعون عن أكل الفول لا نيئاً ولا مطبوخاً (لأنه عسير

- 
- ١ - يذكر برتراند راسل في كتابه «تاريخ الفلسفة الغربية» بعض القواعد التي جاءت في مذهب فيثاغورس الديني على النحو التالي :-
- ١ - أن تمتنع عن أكل الفول.
  - ٢ - ألا تلتقط ما قد سقط.
  - ٣ - ألا تمس ديكاً أبيض.
  - ٤ - ألا تكسر الخبز.
  - ٥ - ألا تخطو من فوق حاجز.
  - ٦ - ألا تحرك النار بالحديد.
  - ٧ - ألا تأكل من رغيف كامل.
  - ٨ - ألا تنزع الزهر من إكليل.
  - ٩ - ألا تجلس على مكبال.
  - ١٠ - ألا تأكل قلباً.
  - ١١ - ألا تمشي في الطرق العامة.
  - ١٢ - ألا تسمح للعاصف أن تبني أعشاشاً في دارك.

2 - P. G01man: Pythagoras.P.60.

الهضم!) وربما نلّمح هنا أصل المحرمات الشهيرة عند فيثاغورس<sup>(١)</sup>، كما كان الصمت والسرية من خصال الكهنة المصريين أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ويروى فرفوريوس أن فيثاغورس تعلم اللغة المصرية القديمة حتى تمكن من قراءة كتبهم المقدسة، وأنه كان يشارك في الأسرار والطقوس التي تقام في المعابد المصرية.

ويبدو أن فيثاغورس تعلم أيضاً أشياء كثيرة على يد كهنة المجوس في فارس، ولا سيما التطهر من أدران الحياة السابقة، والطريقة التي يظل بها الحكيم طاهراً غير ملوث، كما أنه استمع إلى محاضرات عن الطبيعة تفحص المبادرة الميتافيزيقية للكون.

كما أنه عرف أشياء كثيرة عن الشر، وأنه لا يوجد شر مطلق، بل هو خير على نحو ما؛ لأنه يشكل انسجاماً جمالياً، وإن كان الشر في الكون مزعجاً، فإن السبب أنه يلوث النفس، ويصيبها بالمرض. كما زار «أبراج الصمت» الزرادشتية، ووقف على مغزاها<sup>(٣)</sup>.

---

١ - طريقة في الديانة الزرادشتية للتخلص من جثث الموتى التي كانت تحرق في الديانة الهندوسية وتحنط عند المصريين القدماء. أما في الديانة الزرادشتية في فارس فقد كانت جثث الموتى تعرض فوق «أبراج الصمت» لتلتهمها الطيور الجارحة حتى تتجنب تلوث الأرض بالدفن أو تلوث الهواء بالإحراق، راجع «معجم ديانات وأساطير العالم» د. إمام عبد الفتاح إمام، المجلد الأول، ص ٢٧٣ - مكتبة

## ثانياً: إنشاء المدرسة:

لا يروى لنا كُتّاب السير القدماء كيف استرد فيثاغورس حريته من الأسر الفارسي. «فيامبليخوس» يقول إنه كان «رهينة» ولم يكن بالضرورة عبداً، أو أنه كان سجين حرب (أى عبد مؤقت) يستطيع أن يفك أسره، وأن يشتري حريته فى أى وقت. وقد يكون فيثاغورس قد فعل ذلك، أو ربما مارس تأثيره الكارزمى Charisma. ويبدو أنهم يفضلون التفسير الأخير<sup>(١)</sup>.

عاد فيثاغورس إلى جزيرة ساموس - على اختلاف بين المؤرخين حول تاريخ العودة، وإن اتفقوا أن عودته كانت فيما بين ٥٢٩ ق.م. و٥٢٩ ق.م. وأنه كان فى ذلك الوقت فى الأربعين من عمره (ويرى البعض أنه عاد فى الخمسين أو فى السادسة والخمسين من عمره!)<sup>(٢)</sup> - ولم يلبث أن ترك ساموس وذهب إلى ديلوس وكريت، وأخيراً استقر فى كروتون.. Croton فى جنوب إيطاليا حيث افتتح مدرسته<sup>(٣)</sup>.

وعلى الرغم من أن أفلاطون كان يرغب فى إنشاء مدينة فاضلة تجمع حكاما من الرجال والنساء على حد سواء، فإنها لم تتحقق، ولم

---

1 - P. Gorman: Pythagoras., P.69.

٢ - د. أحمد فؤاد الأهوانى «فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط» عيسى البابى الحلبي عام ١٩٥٣ - ص ٧٢.

٣ - المرجع السابق فى نفس الصفحة.

تخرج قط إلى حيز الوجود رغم محاولاته المتكررة. ومغامراته الثلاث التي قام بها في سبيل تنفيذ هذا الحلم عند ديونسيوس طاغية سيراقوصه الابن ثم الأب<sup>(١)</sup> وظلت الأكاديمية الأفلاطونية مقصورة على الخاصة من التلاميذ فحسب. ثم حاول أفلوطين (٢٠٤ - ٢٧٠ م) بعد ذلك أن ينشئ في عهد الإمبراطور الروماني جالينوس Gallienus (إمبراطور روما من ٢٥٣ - ٢٦٨ م) مدينة فيثاغورية للفلاسفة، لكن الحكومة الرومانية عارضت تحقيق هذا الحلم، كما أن مجلس الشيوخ المحافظ رفض هذه الفكرة، فاكتفى أفلوطين بإنشاء مدرسة كانت تستقبل النساء أيضاً.

ومن هنا كانت المدرسة التي أنشأها فيثاغورس في كروتون بجنوب إيطاليا هي أول مدرسة تسمح باستقبال المرأة وتعليمها، مع اعترافه بوجود فروق خاصة بين الجنسين، نظراً للاختلاف الطبيعي بينهما، ومن هنا فقد كان يُعَلِّم المرأة الفلسفة والآداب، كما كان يُعَلِّمها تدبير المنزل، والأمومة، حتى اشتهرت المرأة الفيثاغورية في الزمن القديم بأنها أفضل نساء الإغريق. ولما كانت المدرسة تستقبل الرجال والنساء، على السواء، من جميع الطبقات - فقد كانت لهذا السبب أشبه ما تكون بالمجتمع المثالي<sup>(٢)</sup>.

لقد كان للمدرسة الفيثاغورية نظام من الأخوة، كأنها دير أو

---

١ - راجع القصة بالتفصيل في كتابنا: «الطاغية» ص ٨٩ وما بعدها. وكذلك «أفلاطون والمرأة» العدد الأول من سلسلة: «الفيلسوف .. والمرأة» مكتبة مدبولي بالقاهرة.

2 - Peter Gorman : Pythagoras P.70.

معبد، فجميع الطلبة يرتدون زيًا واحدًا هو الملابس البيضاء، ويعيشون معيشة واحدة هي حياة الزهد والتقشف والبساطة، ولا ينتعلون - فى الأعم الأغلب - بل يمشون حفاة الأقدام على نحو ما كان يُؤثر عن سقراط الذى كان متأثرًا - فيما يبدو - بتعاليم الفيثاغورية تأثرًا شديدًا على نحو ما يتضح فى محاوره «فيدون»، ولا يحلفون بالآلهة «لأن من واجب المرء أن يكون صادقًا بغير قسم»، كما كانوا يحاسبون أنفسهم فى نهاية اليوم على ما فعلوه طوال النهار، فيسأل كل واحد منهم نفسه عن الشر الذى ارتكبه، والخير الذى قدمه، والواجب الذى أهمل فى أدائه.

ولم يكن التعليم كتابة، بل: سماعًا، وتلقيًا، ومشاهدة من الأستاذ إلى التلاميذ، ولم يؤثر عن فيثاغورس أنه ألّف كتابًا. وكانت تعاليم المدرسة سرية يعاقب من يفشيها بالطرد؛ ولهذا التزم الأعضاء بالسرية التزامًا دقيقًا، إلى حد أن أسرارهم لم تعرف إلا فى عصر سقراط وأفلاطون، عندما كتب فيلولائوس .. Philolaus الفيلسوف الفيثاغورى فى القرن الخامس قبل الميلاد كتابًا من ثلاثة أجزاء - تحت إلحاح الحاجة إلى المال فيما يقال - واشتراه منه «ديون»، حاكم سراقوصة استجابة لنصيحة أفلاطون. كما كان «الصمت» من أداب المدرسة، حتى لقد ذهبوا إلى أن التلميذ الجديد مطالب بالصمت خمس سنوات، ويريدون بذلك قبول التعاليم بغير أسئلة أو جدال.

غير أن ذلك كله ليس سوى فكرة عامة عن مدرسة فيثاغورس التى جمعت - لأول مرة - بين الرجال والنساء فى معهد واحد، وأعطت المرأة قدرًا قليلًا من الفرص لكى تُظهر قدرتها العقلية وسط ما يسمى بالجماعة الفيثاغورية، فما هى هذه الجماعة؟ وما بنيتها وقواعدها؟ وما

### ثالثاً: الجماعة الفيثاغورية:

استقر فيثاغورس في كروتون Croton - بعد الأسر الفارسي - وهي مستعمرة يونانية في جنوب إيطاليا، ومركز تجاري هام، وميناء للتجارة الخارجية. وربما انتشرت فيها الديانة الأورفية لهذا السبب<sup>(١)</sup>. وإن كانت الحياة الدينية فيها أكثر جموداً من المدن اليونانية، إذ لم يسمعوا قط عن المذهب العقلي عند فلاسفة أيونيا، ولكن سرعان ما أصلح لهم فيثاغورس هذا النقص<sup>(٢)</sup>.

ولقد ثار جدال طويل بين الباحثين حول الجماعة التي أسسها فيثاغورس في جنوب إيطاليا عندما وصل إلى كروتون. واختلفوا في صفة هذه الجماعة: أكانت جماعة سياسية؟ وهل اشتغل فيثاغورس بالسياسة؟ لكن الواقع هو أنه يصعب القول بأن الجماعة الفيثاغورية كانت منظمة سياسية، وإنما هي بالأحرى جماعة صوفية فلسفية على غرار النحلة الأورفية التي انتشرت في اليونان وإيطاليا. وربما كانت

---

١ - الديانة الأورفية Orphism ديانة يونانية قديمة تنسب إلى Orpheus، وهو شاعر وموسيقار - ابن الإله أبوللو وكاليوبى - في الأساطير اليونانية، كان عازفاً ملهماً تطرب الآلهة والناس، والحيوانات - حتى الوحوش الضارية - والأشجار والصخور - من أنغام قيثارته. ثم أصبحت الأورفية ديانة تذهب إلى أن الروح جوهر إلهي، وأنها لا تبلغ درجات حياتها الحقيقية إلا بعد وفاة الجسد. كما ذهب إلى أن الأرواح تتناسخ، متخذة أشكالاً أدنى أو أعلى تبعاً لأعمال صاحبها في الدنيا. والأورفية تزدرى الجسد، وتمجد الحياة الآخرة، وتبحث على النقاء الأخلاقي، مركزة على مسئولية الفرد عن الإثم. وقد تأثر بها فيثاغورس في كثير من أفكاره، ونقل عنه أفلاطون.

2- P. Pythagoras, P.89.

هناك بعض النتائج السياسية لتعاليم الفيثاغورية على أعضاء الجماعة، لكنها نتائج غير مقصودة، فهي لم تسع قط إلى حكم كروتون أو أية مدينة إيطالية أخرى، ومع ذلك كله فقد ظل فيثاغورس بعيداً تماماً عن الانخراط في مجال السياسة<sup>(١)</sup>.

يقول «يامبليخوس»: «إن فيثاغورس أسس جماعته بعد وصوله إلى كروتون مباشرة».. فقد كانت مدينة كروتون أول مكان ظفر فيه فيثاغورس بعدد من التلاميذ، وتخيرنا وقائع التاريخ أنهم كانوا أكثر من ستمائة تلميذ شاركوا حياة واحدة طبقاً لتعاليمه. وكان هؤلاء التلاميذ فلاسفة، كما كان هناك مستمعون آخرون يطلق عليهم اسم Acous-matics<sup>(٢)</sup>.

ولاشك أن هذا الوصف ينطوي على كثير من المبالغة، فليس من المعقول أن يؤسس فيثاغورس جماعته فيتوافد عليه التلاميذ في الحال، لدرجة أن يظفر بعدة مئات منهم، فضلاً عن عدة آلاف من المستمعين<sup>(٣)</sup>.

---

1 - Ibid, P.113.

2- Ibid, P.114.

٣ - يروي يامبليخوس في كتابه «حياة فيثاغورس De Vita Pythagorica» أن أكثر من ألفين من أهالي كروتون استمعوا إلى حديثه فسحروهم حتى أنهم رفضوا العودة إلى منازلهم، بل بقوا مع زوجاتهم وأولادهم في مدرسة فيثاغورس!

وإن كان مما لاشك فيه أن خطبه وأحاديثه كانت ذات تأثير قوى،  
لما يتمتع به فيثاغورس من شخصية كارزمية Charismatic<sup>(١)</sup>.

والجماعة الفيثاغورية - على نحو ما وصفها يامبليخوس - هي  
جماعة دينية وفلسفية وليست منظمة سياسية. ومن هنا كانت لها  
قوانينها وقواعدها الخاصة كما لو كانت «دولة داخل الدولة»! إذ يتفصل  
أعضاؤها عن بقية سكان كروتون. والمصطلح الذي استخدم في وصف  
هذه الجماعة هو «هوماكليون .. Homukoeion»، أى: المكان الذي  
يجتمع فيه الناس جنباً إلى جنب ليستمعوا إلى آراء فيثاغورس الذي كان  
منذ البداية قائداً لهذه الجماعة.

وليس ثمة شك في أن فيثاغورس كان منذ البداية رأس هذه  
الجماعة، وأن أعضائها كانوا أتباعاً له وتلاميذاً لفلسفته، وأنهم كانوا  
يضيفون عليه صفة القداسة التي يعودون بها أحياناً إلى الإله أبوللو  
نفسه.

ويبدو أن فيثاغورس كان يقوم بتدريس ديانة فلسفية، تعتمد في  
بعض جوانبها على عبادة الإله أبوللو. وربما كان ذلك هو السبب في أن  
«كروتون» سكّت عملةً نقش عليها اسم الإله أبوللو. ولا بد أن نتذكر أن

---

١ - بطرس جورمان: فيثاغورس ص ١١٥. والكارزمية مصطلح استعاره ماكس  
ثيير (١٨٦٤ - ١٩٢٠) من الكتاب المقدس، حيث كان يعنى «عطية» أو «موهبة»  
ليعنى به القدرة التي يتمتع بها شخص ما تمكنه من التأثير في الآخرين إلى الحد  
الذي يجعله في مركز سلطة، بحيث يمنحه الواقعون تحت تأثيره حقوقاً تسلطية  
عليهم.

الإله الراعى لهذه المدينة هو «هرقل»، كما أشار فيثاغورس فى خطبته إلى الشباب<sup>(١)</sup>.

ولقد ازدهرت هذه الجماعة فى حياة فيثاغورس، لكنها تطورت أيضاً بعد وفاته. والواقع أنك لن تجد مدرسة فلسفية فى العالم القديم انتشرت بالسرعة والقوة التى انتشرت بها الفيثاغورية، والتغيرات والتعديلات فى النظريات الزصلية اندمجت فى جسد المعتقدات الفيثاغورية نتيجة لأنها تتكيف مع روح فيثاغورس الحاضرة دوماً. وفى النهاية: تشعبت التطورات واختلفت، أو قل ضاعت «الهرموني Hor-monia» القديمة فى سلسلة من المنازعات والإنشقاق داخل الجماعة، وأدت فلسفة العدد إلى نتائج مختلفة، حتى أفضى بعض الأعضاء أسرار الأستاذ وكونوا حركات خاصة بهم: فظهر ما نسميه بالفيثاغورية المتأخرة التى كان على رأسها الفيلسوف الفيثاغورى فيلولائوس، ثم ظهرت بعد ذلك مرة أخرى فى مدينة الإسكندرية... إلخ.

---

١ - خطبة طويلة ذكرها أوفيد فى مسخ الكائنات - وانظر ترجمة د. ثروت عكاشة ص ٣٢٢ وما بعدها - الهيئة المصرية العامة للكتاب - عام ١٩٨٤.

#### رابعاً: بناء الجماعة وقواعدها:

علينا الآن أن نفحص بنية الجماعة والقواعد التي كانت تحكمها. لقد كان النظام في الجماعة الفيثاغورية نظاماً هيراركياً تصاعدياً يقف على قمته فيثاغورس نفسه، ثم يسير سفلاً إلى القاعدة، وهو ينقسم إلى قسمين متميزين: الفلاسفة في جانب، والمستمعين في جانب آخر. ولا شك أن الفلاسفة كانوا قلة - قليلة في عددهم إذا ما قورنوا بالمستمعين. وأغلب الظن أنهم كانوا يمثلون الشباب القادر على دراسة رياضيات فيثاغورس. أما المستمعون فقد كان من بينهم الشيوخ وعائلاتهم. ولم يكن القبول في المدرسة مقتصرًا على الرجال، بل كان يشمل أيضاً عدداً كبيراً من النساء، ومن هنا كان من التسميات الخاطئة أن يقال عن الجماعة الفيثاغورية إنها كانت جماعة من «الإخوان» - أي الرجال الإخوان - فقد كان الفيثاغوريون - وتطويراتها من الفيثاغورية المحدثه حتى الأفلاطونية المحدثه - هي الفرقة الفلسفية الوحيدة التي أخرجت للعالم نساء فلاسفة ذائعات، ابتداءً من ثيانو .. Theano زوجة فيثاغورس وبناتها الثلاث: أريجنوت .. Arignote، ومييا .. Myia، ودامو .. Damo، اللاتي قمن برئاسة المدرسة الفيثاغورية بعد وفاة مؤسسها، حتى هيپاشيا Hypathia فيلسوفة الإسكندرية الشهيرة على نحو ما سنعرف فيما بعد. والفيثاغورية كانت المدرسة الفلسفية الوحيدة التي سمحت للنساء، على هذا النحو، بالالتحاق بها، والمشاركة في حياتها، وإعطائهن فرص التعليم.. إلخ، مما جعل باحثاً مثل إ. ليفي .. I. Levy يسعى في كتابه «بحوث حول مصادر أسطورة

فيثاغورس» إلى المقارنة بين أتباع فيثاغورس من النساء وأتباع المسيح ولاسيما النساء الثلاث المسميات باسم مريم<sup>(١)</sup>.

يقول يامبليخوس حول تقسيم الجماعة الفيثاغورية:

«... دعنى الآن أخبرك كيف كان فيثاغورس يقسم أعضاء الجماعة بعد أن تم اختيارهم لجدارتهم (وبعد اجتيازهم الاختبارات المطلوبة): لم يكن من المناسب فى رأيه أن يشترك أعضاء الجماعة بالتساوى فى نفس الأمور، ولا حتى أن يشاركوا فى جميع الأفكار ذات المكانة السامية، بينما يترك آخرون تماماً؛ لأن ذلك لن يكون عدلاً ولا إنصافاً، ولا حياة جماعية. أما توزيع حصة مناسبة من النظريات الأساسية على كل عضو، فإن ذلك يفيد الجميع بقدر المستطاع. كما أنه يمكنه من أن يستخدم الوسيلة العادلة، ويمنح كل عضو التعاليم التى هو أهل لها. ومسايرة لهذا الخط من التفكير، نراه يطلق على بعض الأعضاء اسم «الفيثاغوريين على الأصالة»، ويعتقد أن هؤلاء ينبغي أن يشاركوا فى كل شئ على المشاع، وأن يعيشوا حياة فيها قدر من الشيوعة طوال الوقت. أما الآخرون فقد سمح لهم بملكية خاصة، وأن يأتوا «فى نفس المكان للاجتماع بعضهم مع بعض»<sup>(٢)</sup>.

---

١ - راجع كتاب بطرس جورمان السالف ص ١٢٠ - وأيضاً كتابنا «الفيلسوف المسيحى.. والمرأة» وهو العدد الثالث من هذه السلسلة (مكتبة مدبولى بالقاهرة) ولاسيما الصفحات من ٤٣ حتى ٤٨.

٢ - يامبليخوس «حياة فيثاغورس» ص ٤٦ (نقلا عن بطرس جورمان فى كتابه سالف الذكر ص ١٢٠ - ١٢١).

وفضلا عن ذلك، فقد كان فيثاغورس يطلق على «الفيثاغوريين الحقيقيين» من الرجال والنساء اسم: «المنتظمين»، أما الأعضاء الآخرون فيطلق عليهم اسم «المستمعين». الفريق الأول يعيش حياة جماعية، ولا يملكون أشياء خاصة بل الملكية مشاع فيما بينهم، فى حين أن الفريق الثانى من حقه أن يملك ملكية خاصة (وتلك هى جذور الفكرة التى سيعرضها أفلاطون فى الجمهورية فيما بعد)<sup>(١)</sup> - الفريق الأول يعيش داخل المدرسة، والفريق الثانى يملك بيوتا خاصة يذهبون إليها بعد انتهاء المحاضرات (وكان المستمعون يشكلون الغالبية العظمى من الأتباع). وهكذا كان هناك فريقان أو قسمان واضحا منذ البداية فى المدرسة الفيثاغورية، ثم ظهرت بعد ذلك فئات أخرى. فقد كان بعض أتباع فيثاغورس يكرسون وقتهم للفكر النظرى، وكان كل عضو يلقب بلقب «المهيب» أو «الجليل» فى حين كان البعض الآخر يشغل وقته بدراسة شؤون البشر.

«أما الفريق الأول (الذى يهتم بالفكر النظرى) فقد كان يشغل نفسه بالرياضيات والهندسة، والفلك، ولهذا السبب أطلق عليه اسم «المنتظمين»، ولقد كان من هذا الفريق أعضاء هم تلامذة مباشرين لفيثاغورس كان يطلق عليهم لقب الفيثاغوريين... إلخ»<sup>(٢)</sup>.

وربما كانت هذه التقسيمات مقتبسة من مراحل تالية فى تطور

---

١ - راجع كتابنا «أفلاطون... والمرأة» العدد الأول من هذه السلسلة - مكتبة مدبولى بالقاهرة - ص ٥٩ وما بعدها.

2 - P. Gorman : Pythagoras..., P.120.

الجماعة؛ إذ لا شك أن تسمية تلاميذ فيثاغورس باسم الفيثاغوريين مسألة تنتمي إلى مرحلة متأخرة من تطور الجماعة بعد وفاة فيثاغورس، وتولى تلاميذه شؤون المدرسة. وقل نفس الشيء بالنسبة للفيثاغوريين السياسيين الذي اهتموا بشؤون البشر، فقد ظهرت هذه التسمية عندما بدأ الفيثاغوريون يهتمون بالسياسة. في حين أن «الوقورين» أو «المبجلين» كانوا هم قادة الجماعة في الحلقة الداخلية. فقد كانت هناك حلقة داخلية من المقربين الذين يسمح لهم أن يكونوا خلف الستار، بحيث يمكن أن يروا فيثاغورس وأن يستمعوا إليه. إذا يبدو أن فيثاغورس كان يختفى وراء ستار عندما كان يلقي دروسه على المستمعين، والمبتدئين، والأعضاء الجدد، ولم يكن مسموحاً لهم برؤيته رؤية مباشرة. أما أعضاء الحلقة الداخلية، فهم وحدهم الذين يسمح لهم برؤيته وسماعه. وعندما يجتاز المبتدئ جميع الاختبارات التي تفرض عليه يسمح له أن يجلس خلف الستار، ويصف يامبليخوس هذه الاختبارات، وعملية الترسيم<sup>(١)</sup>، على النحو التالي:—

«... لما كان فيثاغورس ينشغل، على هذا النحو، بتعليم تلاميذه، فإنه لم يكن يسمح للشباب بالالتحاق المباشر بالجماعة الفيثاغورية إلا بعد اجتياز عدد من الاختبارات»<sup>(٢)</sup>. ثم يصدر حكمه على مستواهم بعد

---

١ - الترسيم Initiation: الاحتفال بدخول عضو في سلك جماعة دينية عن طريق تادية طقوس معينة.

٢ - ربما اقتبس هذه الطريقة مما كان يفعله الكهنة المصريون، ولقد سبق أن ذكرنا أنهم اشترطوا أن يمر ببعض الاختبارات حتى يقبل تلميذاً لديهم.

ذلك . وكان السؤال الأول الذى يُوجَّه إليهم هو: ما هى الطريقة التى سوف ترتبطون بها بوالديكم، وبأقاربكم؟؟ ثم يراقبهم أثناء الإجابة عن أسئلته: هل يضحكون فى وقت لا يناسب الضحك، أم أنهم كانوا طوال الوقت هادئين ساكنين؟ هل يكثرون من الكلام؟ ثم ماذا عن الثثرة والهدر؟<sup>(١)</sup>.

ثم يسألهم فيثاغورس عن أصدقائهم، وماذا يفعلون معهم فى أوقات فراغهم؟ وماذا يفعلون: ما مسعاهم طوال النهار؟ ما هى الأمور التى تُدخل على قلبهم السرور أو الحزن؟

وهو - أثناء ذلك كله - يراقب مظهرهم، وحركاتهم وسكناتهم، وهيئة الجسم، وطريقة المشى، وجميع الإيماءات... وهو يحكم على خلق الشاب من ملامح وجهه، ويفسر خصائصه النفسية غير المرئية من صفاته الخارجية التى يلاحظها.

وكل من يجتاز هذا الاختبار يظل تحت المراقبة ثلاث سنوات، لاختبار اتزانه واستقراره، ورصانته، وحبه للعلم، ثم ليعرف: هل هذا المبتدئ لديه استعداد للانصراف عن الدنيا والزهد فى الأمور الحسية، ومنها المجد الدنيوى؟ ثم هو يفرض على المبتدئ الصمت خمس سنوات؛ ليرى مدى قدرته على التحكم فى نفسه، وضبط سلوكه، والسيطرة على تصرفاته. فقد كان فيثاغورس يعتقد أن ضبط اللسان أشد صعوبة من جميع الأنواع الأخرى لضبط النفس. وخلال هذه الفترة يقوم أتباع فيثاغورس بتحديد واجبات

---

1- P. Gorman : Pythagoras, P.122.

المبتدئ. وبعد هذه السنوات الخمس من الصمت، فإن المبتدئ يدخل ضمن الحلقة الداخلية.

والطريف أن فيثاغورس كان يحكم على المبتدئين من خلال الاختبارات التي يجريها عليهم، بغض النظر عن نبالة المولد أو وضع الأسرة في المجتمع. ومن ثم يخطئ من الكتاب والباحثين من يذهب إلى أن الجماعة الفيثاغورية كانت أرستقراطية، كما يخطئ من يظن أنها كانت جماعة من «الإخوة» أو «الإخوان» دون أن يضيف إليها الأخوات أيضاً.

لقد كانت مهمة الاختبارات أن تجعل السالك، أو المبتدئ، يتكيف مع أخلاق فيثاغورس. فالمشهور أن للجماعة قواعد صارمة منها: «السرية»، و«الكتمان»، و«الخفاء»، و«الصمت»، و«الامتناع عن الضحك»، و«الكف عن الصخب والضجيج»، و«ممارسة ضبط النفس». كما أنه ينبغي ألا يراه أحد وهو يمارس الجنس، أو وهو يقوم بوظائفه الطبيعية، أو حين يلبي نداء الطبيعة. ومن الواضح أن فيثاغورس كان يريد أن يخلق في تلاميذه «الإنسان الأعلى» أو أن يجعلهم في مستوى أعلى من الطبيعة البشرية المألوفة. فالصمت لمدة خمس سنوات (ونحن لا نعرف هل كان صمتاً تاماً وشاملاً، أم أنه كان استرخاء من القواعد) كانت له أهمية خاصة، لأنه مران للسالكين على ممارسة الاحتفاظ بنظريات المعلم سرية وفي كتمان، وعدم البوح بها لأحد مهما علا شأنه.

لقد كانت فلسفة فيثاغورس ذات مسحة دينية سرية كما لاحظ مؤرخ الفيثاغورية «يامبليخوس»، ويتجلى ذلك في التنبيه على أعضاء

الجماعة بعدم إفشاء أسرار تعاليم فيثاغورس . ولقد كانت الجماعة، من هذه الزاوية، على النقيض من المنظمات السياسية التي كان مبرر وجودها يكمن في الدعاية والإعلان عن أفكارها وانتشار الآراء التي تدعو إليها. غير أن الفيثاغورية في هذا «الصمت» تخالف حتى الديانات العلنية التي تعظ الناس وترشدتهم بأفكارها وأرائها علانية. اللهم إلا إذا قلنا إن «الصمت» يرجع إلى أن كثير من النظريات الفيثاغورية كانت ذات طابع ثوري، وأن الغالبية العظمى من الناس لن يستطيعوا فهمها. ومن ثم فإن إزاعتها وإعلانها للجميع سوف يجلب متاعب سياسية، واجتماعية، وهو ما حرصت الجماعة على تجنبه<sup>(١)</sup>.

وما أن يدخل العضو الجديد سلك الجماعة، حتى يكون عليه مراعاة قواعدها وقوانينها. وربما كانت القاعدة التي تثير مشكلات للعضو الجديد هي «المشايعه»، ولا سيما بالنسبة لأعضاء الحلقة الداخلية؛ إذ لا يجوز لهم أن يملكوا شيئاً؛ فقد كان فيثاغورس يعتقد أن الملكية أو المقتنيات الخاصة تعوق الفكر النظري والتأمل العقلي للحقائق الإلهية، ولا تجعل ذهن الفيلسوف «صافياً» نقياً، بل قد تزرع الشقاق بين الأعضاء<sup>(٢)</sup>.

سوف نعرض بعد قليل ليوم في حياة عضو الجماعة

---

1 - P. Gorman : Pythagoras, P.124.

٢ - قارن ذلك بما يقوله أفلاطون المتأثر بالفيثاغورية «شهوة التملك الجامحة هي أصل كل بلايا الدول والأفراد» الجمهورية ٢٧٣. وانظر أيضاً كتابنا «أفلاطون.. والمرأة» ص ٦٥ مكتبة مدبولي.

الفيثاغورية، وإن كانت معظم أوقاتهم مكرّسة، بصفة عام، للدراسة النظرية. فأساس فلسفة فيثاغورس هو «الرياضيات»، ومعظمها ليست رياضيات تطبيقية، بل نظريات رياضية، ومن هنا اهتموا بدراسة خصائص العدد. فقد أصبح العدد واحد Monas رمزاً للثبات والدوام في الكون. ومن الواحد يأتي كل شيء طيب في هذا العالم؛ لأن الواحد هو أصل الأعداد الفردية. أما العدد اثنان Dyad فهو رمز للنقص في الكون؛ فالعالم لا بد له من تناغم الأضداد، فلا يمكن أن نفسره بوجود الخير وحده، أعنى «الواحد»، بل لا بد من وجود عنصر الشر الذي يقاوم نشاط الخير. ويقال إن فيثاغورس استمد هذه الثنائية الكونية من ثنائية المجوس. ويقول أرسطو أن الفيثاغوريين - لهذا السبب - وضعوا قائمة من الأضداد عددها عشرة أضداد على النحو التالي:

١ - المحدود - واللامحدود.

٢ - الفرد - الزوج.

٣ - الواحد - الكثير.

٤ - اليمين - الشمال.

٥ - الذكر - الأنثى.

٦ - السكون - الحركة.

٧ - المستقيم - المتعرج.

٨ - النور - الظلمة.

٩ - الخير - الشر.

١٠ - المربع - المستطيل.

والملاحظ أنها عشرة أضداد، وأن العدد عشرة هو أكمل الأعداد<sup>(١)</sup>.

ونتيجة لدراسة الفيثاغورية لخصائص العدد أن أصبح العدد ٤ رمزاً للعدالة ، والعدد ٦ رمزاً للزواج . إلخ<sup>(٢)</sup>.

وعلىنا أن نلاحظ، فى النهاية، أن الحلقة الداخلية عند الفيثاغوريين تشبه طبقة الحراس عند أفلاطون، مع فارق واحد هو أن الفيثاغوريين لم يكن لهم دور فى السياسة، وحراس أفلاطون يهبطون من برجهم العاجى، لكى يطبقوا نظرياتهم فى الحياة السياسية والاجتماعية. وهذا ما لم تفعله الفيثاغورية الأولى - أى المبكرة.

ومع ذلك، فلم يكن الفيثاغوريون مثل رهبان العصور الوسطى، فقد تزوجوا، وكانت هناك عناصر نسائية كثيرة فى الجماعة، ولم يكرسوا حياتهم للصلاة، بل للبحث الفلسفى. وأفضل نموذج للفيثاغورية هو ما قام به أفلوطين فى القرن الثالث الميلادى، عندما جمع فى روما حلقة من أتباعه على غرار «الجماعة الفيثاغورية الشيعية»، وهكذا عاش أفلوطين وسط المدينة العاصمة فى ظروف غريبة؛ فهو يعيش فى بيوت الآخرين، ويتناول طعامهم. ومن حسن الحظ أنه كان نباتياً، فلم يأكل إلا أقل القليل، لكنه كان يرى أطفالهم!

---

1 - Peter Gorman : Pythagoras, P.141.

2 - Ibid: P.127.

## خامساً: يوم فى حياة الفيثاغورى:

كان فيثاغورس هو قائد الجماعة، فهو الذى يوجه سلوكها، ويضع لها الخطط، كما كان على جميع الأعضاء أن يمتثلوا لأوامره وتعليماته. فكيف أعد لهم فيثاغورس يومهم؟!\*

\* تستيقظ الجماعة عند الفجر. ويقوم كل عضو، بمفرده، بجولة فى أماكن تكون هادئة أو ساكنة بطبيعتها، أعنى يلفها الصمت التام، وذلك بأن يسير مثلاً حول المعابد، أو يتجول فى الأيكات المقدسة؛ والسبب أنه لا ينبغى عليه أن يقابل أحداً فى الصباح الباكر، أو الالتقاء بالناس، إلا عندما يتهياً ذهنه لذلك. فسكون الفجر وهدوء الأماكن المتطرفة تنسجم مع الحالة الذهنية الجيدة، فى حين أن الانخراط فى دنيا الناس، والانغماس وسط الجماهير بعد اليقظة مباشرة، إنما يكون مزعجاً للنفس. ولهذا فمن الأفضل للفيثاغورى باستمرار أن يختار فى هذا الوقت المبكر من الصباح الأماكن المقدسة التى يمنع فيها الضجيج والصخب، ويستحب الهدوء والصمت، وينتهزون هذه الفرصة لتثبيت دعائم الفضائل الأخلاقية.

\* يعود العضو الفيثاغورى من هذه الجولة الصباحية التى اعتنى فيها بالنفس ليقوم بالعناية بالجسد، فبعضهم يقوم بمسح جسمه بالزيت ويجرى قليلاً، فى حين يقوم البعض الآخر بألعاب المصارعة فى حديقة المدرسة، بينما يقوم البعض الثالث بالقفز... إلخ. وهم بصفة عامة يمارسون التمرينات الرياضية التى تقوى البدن.

\* بعد ذلك يتناول العضو طعام الإفطار المكون من الخبز والعسل، ويحرم عليه تناول النبيذ أثناء النهار. وبعد الإفطار يكرس وقته لدراسة المسائل الاقتصادية والسياسية.

\* ثم يقوم الأعضاء بجولات المشى، لكن فى جماعات هذه المرة، وليس فرادى على نحو ما كانت نزعات الفجر! فالجماعة الصغيرة قد تتألف من عضوين أو ثلاثة، وهم يستعيدون دروسهم ويستذكرونها أثناء المشى.

\* بعد عودتهم من جولة المشى الجماعية يستحمون، ويلتقون بعد الاستحمام فى غرف ضيقة - لا تتسع الغرفة الواحدة لأكثر من عشرة أشخاص- بهدف الدراسة، حتى يتم دعوتهم للمشاركة فى الوجبة العامة، وجبة الغداء، فيقومون أولاً بحرق البخور وتقديم القرابين إلى الآلهة من الحيوانات، ثم يذهبون لتناول طعام الغداء- وعليهم أن ينتهوا منه قبل غروب الشمس- ولهم أن يتناولوا النبيذ، وفطيرة من الشعير والنباتات الطازجة والمطبوخة، وهم قليلاً جداً ما يأكلون السمك، ثم يسكبون الخمر تكريماً للآلهة. ويأتى بعد ذلك موعد القراءة، وقد جرت العادة أن يقوم أصغر عضو بالقراءة، أما أكبر الأعضاء فهو الذى يختار الموضوع الذى ينبغى قراءته والطريقة التى تتم بها هذه القراءة.

وعندما يأتى موعد رحيل الأعضاء إلى بيوتهم، فإن أكبر أعضاء الجماعة يتلو العبارة الآتية، وهى أشبه بالتعليمات والتحذيرات :

«عليك ألا تؤذى أحداً، ولا تقتلع نباتاً مزروعاً، ولا تخرب شجرة من أشجار الفاكهة، ولا تؤذى حيواناً لا يكون هو نفسه مؤذياً للبشر،

وفضلاً عن ذلك فإن عليك احترام الآلهة، وأن تتخذ منهم موقفاً نبيلاً، وكذلك لا بد أن يكون هذا هو موقفك تجاه الأبطال، ومن الوالدين والمحسنين، كما أنه ينبغي عليك مساعدة القانون، ومحاربة الخارجين عليه»<sup>(١)</sup>.

وبعد أن تتلى هذه العبارة، يذهب كل عضو إلى بيته وهو يرتدى الملابس البيضاء النظيفة الطاهرة (ويبدو أن هذا الزي هو ما كان يرتديه الكهنة المصريون). أما في منازلهم فلا بد أن تكون لهم أسرة بيضاء نظيفة، ويكون فراشها من التيل؛ إذ لا يسمح لهم باستخدام الصوف<sup>(٢)</sup>.

هذا هو وصف المؤرخ الفيثاغورى يامبليخوس ليوم في حياة العضو الفيثاغورى. لكن يبدو أن هذا الوصف ينطبق على فئة المستمعين من طبقة الفلاسفة في الجماعة الفيثاغورية؛ لأن طبقة الفلاسفة لا يأكلون اللحم ولا يشربون الخمر، وليس عليهم استذكار دروسهم، كما أنهم يعيشون معاً داخل المدرسة الفيثاغورية، على خلاف المستمعين الذين يجتمعون أثناء النهار، ثم يعودون إلى بيوتهم أثناء الليل<sup>(٣)</sup>.

ولهذا كان من الصواب أن نقول إن الوصف السابق ليوم في حياة العضو الفيثاغورى إنما يقتصر على المستمعين فقط دون الفلاسفة

---

1 - P. Gornan : Pythagoras. P.129.

2- Ibid.

3- Ibid.

الذين كانوا يعيشون حياة فكرية وروحية أفضل من ذلك، ويقومون بالنزهات الفردية ليتأملوا ما أنجزوه من أعمال فى اليوم السابق، وليتدبروا نظريات المُعلِّم. وربما التقوا بعد ذلك لمناقشة تعاليم فيثاغورس، ولتناول طعام الإفطار من العسل والخبز (لأن فيثاغورس كان مغرماً بالعسل) كما كانت التمرينات الرياضية جانباً هاماً من برنامجهم اليومي، كما كانوا يتناولون الطعام فى صالات فسيحة، وهى فكرة اقتبسها فيثاغورس من الاسبرطيين والكريتيين. وبدلاً من تقديم القرابين من الحيوانات يبدو أن الفلاسفة كانوا يقتصرون على البخور الذى كان فيثاغورس مغرماً به أيضاً، فيستخدمه كوسيلة – كما يقول فرفوريوس – للوحى والتنبؤ. وكانت الوجبة الرئيسية لهؤلاء الفلاسفة نباتية، فلا يسمح حتى بلحوم الضحايا والقرابين. وبعد انتهاء اليوم يظل الأعضاء فى المدرسة، حيث يكون كل شئ بينهم مشتركاً. ومن ثم فإن الوصف السابق هو وصف لطبقة المستمعين، وربما انطبق أيضاً، مع تصحيح بعض التفاصيل الدقيقة، على المنتظمين<sup>(١)</sup>.

---

1- P. Gorman : Pythagoras. P.130

## خاتمة:

بعد هذه الجولة العامة فى المدرسة الفيثاغورية، لابد لنا أن ننتبه جيداً إلى ما يأتى:

١ - كل ما سبق أن ذكرناه عن «العضو» الفيثاغورى ينطبق على الرجال والنساء معاً.

٢ - تشير المصادر القديمة إلى أن النساء كن نشطات للغاية فى المدرسة الفيثاغورية، وقد لعبن دوراً أساسياً فى تطور الفيثاغورية الأولى.

٣ - يشير ديوجينز اللايرتى فى كتابه عن «حياة مشاهير الفلاسفة» إلى تأثر فيثاغورس ببعض الشخصيات النسائية، فضلاً عن تأثره بالمدرسة الأيونية، ثم بالمصريين والفرس على نحو ما سبق أن ذكرنا بالتفصيل - يقول فى ذلك:-

« يؤكد أرسطونكسوس Aristonexus أن فيثاغورس قد استمد الجزء الأكبر من نظرياته فى الأخلاق من ثمستوكليا-The mistoclea<sup>(١)</sup> التى كانت تعمل كاهنة للإله أبوللو فى دلفى...<sup>(٢)</sup>».

وسوف نتبين فى الفصل القادم دور النساء الفيثاغوريات فى المرحلة الأولى أو المبكرة، ثم ندرس فى الفصل الثالث نساء الفيثاغورية المتأخرة.

---

١ - يعتقد ديوجينز اللايرتى فى كتابه، وسويداس فى قاموسه، أنها شقيقة فيثاغورس.  
2-Diogenes Laertius: Lives of Eminent Philosophers, Trans.by R.D. Hicks  
Vol. II P. 327 - Loeb Classical Library 1925.



# الفصل الثانى

«نساء.. فلاسفة من الفيتاغورية

المبكرة»

- ثيانو .. Theano

- أريجنوت .. Arignote

- مييا .. Myia

(لأن تكونى فوق ظهر حصان جامح، خيرٌ لكِ من

أن تكونى امرأة لا تفكر...!)

ثيانو .. Theano

## تمهيد :

سوف نعرض فى هذا الفصل لثلاثة من النساء الفلاسفة من الفيثاغورية المبكرة أو الأولى أو الأصلية التى ظهرت فى القرن السادس قبل الميلاد وهى:-

– ثيانو .. Theano

– أريجنوت .. Arignote

– مييا .. Myia

حاولت الأولى أن تفسر عبارة فيثاغورس «العالم عدد ونغم» التى

أساء

العالم اليونانى فهمها، حتى ذهبوا إلى القول بأنها تعنى خلق الأشياء المادية من الأعداد! وهو قول ظاهر البطلان فى رأيها؛ لأن فيثاغورس كان يعنى أن الأشياء خلقت على غرار الأعداد، ومن ثم اهتمت بتصور «المحاكاة» الذى سيهتم به أفلاطون أيضاً فيما بعد.

أما الثانية «أريجنوت» فقد حاولت دراسة طبيعة العدد، أو الماهية الأزلية للعدد التى هى العلة الأولى لما يوجد فى الأرض والسماء وما بينهما. لكن العدد هنا لا يعنى سوى الهرمونيا أو الانسجام بين الأشياء، أو قل العلاقات أو النسب الرياضية بين الأشياء، فهى التى تمكننا من التمييز بين الأشياء والتفرقة بينها، ومن ثم كان «العد» أو «الإحصاء»!.

أما الثالثة «ميا» فقد حاولت تطبيق الهرمونيا نفسها فى عالم الأسرة ولاسيما فى تربية الطفل، وهى الفكرة التى لخصتها فى تصور «الاعتدال» أو «الوسط»، فرأت أننا فى تربيتنا للطفل ينبغى أن نراعى الوسط فى كل شئ فى مأكله، وملبسه، وفى درجات الحرارة... إلخ، وهذا واضح من رسالتها إلى «فيتس» التى تسودها نغمة قوية من الاعتدال العملى، وكأنها تستبىق فكرة أرسطو الشهيرة فى ميدان الأخلاق، والتى سميت بالوسط الذهبى أو القاعدة الذهبية التى تقول: خير الأمور الوسط .. Nothing too Much فلا إفراط ولا تفريط، أو أن الفضيلة هى وسط بين رذيلتين». وكانت «ميا» تشرح فكرتها فى بساطة، وتطبقها على مثال عملى حى هو كيفية العناية بالوليد الجديد.

## أولاً: ثيانو Theano (حوالى ٥٠٠ ق.م)

أول فيلسوفة فيثاغورية نعرض لها هي «ثيانو» التى التحقت بمدرسة فيثاغورس طالبة تدرس الفلسفة مع زميلاتها وزملائها ثم، أصبحت زوجة للمعلم، كما أصبحت هي نفسها معلمة في المدرسة ومديرة لها بعد وفاة زوجها المفاجئ أثر حريق شب في بيت ابنتها مييا Myia.

كانت ثيانو ابنة «برونتئوس Brontinus» وهو أرسطقراطي أورفى من مدينة «كروتون» وهبت نفسها لدراسة الفلسفة الفيثاغورية وشرحها والتعليق عليها. ويبدو أنها كتبت شيئاً عن «التقوى» لم يبق منه سوى شذرات قليلة. ولقد عالجت في هذا الكتاب التطورات الميتافيزيقية عن «المحاكاة» و«المشاركة»، وهى الأفكار التى أصبحت بالغة الأهمية بعد ذلك عند أفلاطون – ولقد ترجمت فيكى هاربر Vicki Harper النص المتبقى على النحو التالى:

«بلغنى أن كثيراً من اليونانيين يعتقدون أن فيثاغورس ذهب إلى أن كل شئ (فى العالم) نشأ من العدد. غير أن مثل هذا القول يثير مشكلة هي على النحو التالى: كيف يمكن للأعداد التى لا توجد (على نحو حسى) أن ينشأ عنها شئ ما..؟ غير أن فيثاغورس لم يقل أبداً إن الأشياء (الحسية) نشأت عن الأعداد، أو إنها مصنوعة من العدد، وإنما ذهب إلى أن الأشياء صُنعت وفقاً للعدد، على اعتبار أن النظام بمعناه الأولى إنما يوجد فى العدد، وأنه عن طريق المشاركة فى الأعداد فإن الأشياء التى ظهرت أولاً ثم ظهرت ثانياً وما تلاها – قد تعينت بأنها

يمكن أن تُعد...»<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن «ثيانو» فى هذا النص تحاول أن تشرح فكرة فيثاغورس التى تقول: «إن العالم عدد»، فهى لا تعنى أن الأشياء خرجت من الأعداد، على نحو ما خرج العالم من الماء عند طاليس – فذلك يثير صعوبة بل مشكلة حادة هى صلة الأعداد بالأشياء الحسية، فهل تقوم هذه الصلة على أساس المحاكاة imitation، أم أن الأشياء متحدة مع الأعداد، أم أنها مباطنة لها؟

وإذا كان أغلب المفسرين قد رجحوا أن تكون الصلة بين الأشياء الحسية والأعداد هى صلة المحاكاة فهى أسبق من صلة الاتحاد أو المباطنة، «فإنهم قد استندوا فى ذلك إلى ما تقوله ثيانو Theano زوجة فيثاغورس التى ينسب لها رسالة ذكرت فيها أن الإغريق قد رواوا عن فيثاغورس أنه قال إن الأشياء مصنوعة من الأعداد، فى حين أن ما قاله هو أن الأشياء مصنوعة وفقاً للأعداد»<sup>(٢)</sup> أو على غرار الأعداد فحسب.

وتواصل «ثيانو» شرح الفكرة نفسها بقولها: «عندما تسأل عن طبيعة الشئ ففى استطاعتنا أن نجيب إما بتخطيط رسم يشبه الشئ، أو بتعريف هذا الشئ». ولقد أراد فيثاغورس، بعبارة السابقة، أن يعبر – فى رأى ثيانو – عن التشابه بين الأشياء والأعداد. وهذا هو التصور الميتافيزيقى للمحاكاة أو «التشابه»، فالأشياء «تشبه» أو «تحاكى»

---

1- Quoted by: Mary Ellen Waithe: A History of Women Philosophers, Vol. I

١ - د. أميرة حلمى مطر «الفلسفة عند اليونان»، دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٨٦ م. ص ٧٢.

الأعداد. والشئ يشارك فيما يوجد فى العالم من نظام وتناغم أو «هارمونيا»، فإنه سواء أكان مادياً أم غير مادي، يمكن أن يتعاقب فى ترتيب ونظام مع غيره من الأشياء الأخرى، ويمكن أن نعهده. وإذا كان من الممكن عد الأشياء أو إحصاؤها طبقاً للعدد «فإن المعنى الأول لذلك هو أنها منظمة، وأنها تشارك فى النظام العام الموجود فى الكون».

ويبدو أن أرسطو لم يكن يعلم شيئاً عن النصوص التى اكتشفت عن «ثيانو» زوجة فيثاغورس؛ لأنه يقول عن الفيثاغوريين إنهم:

«ركبوا الأجسام الطبيعية من الأعداد، فالأشياء الثقيلة والخفيفة قد خرجت من أشياء لا هى خفيفة ولا ثقيلة..»<sup>(١)</sup>.

ولو أننا قرأنا بدقة شروح «ثيانو» وتفسيراتها للأفكار الأساسية فى الفلسفة الفيثاغورية، لتبين لنا بوضوح أن ما تقصده هذه المدرسة لم يكن القول بأن الأشياء المادية أو الفيزيائية قد نشأت أو خرجت إلى الوجود من الأعداد ذاتها، لأن الأعداد - فى نهاية الأمر - ليست مادية، بل إن العدد هو بالأحرى الذى يمكننا من التمييز بين شئ وآخر، وعن طريق إحصاء الأشياء أولاً، وثانياً، وثالثاً... إلخ، فإننا نستطيع أن نزعم أننا قادرون على تحديد الجوانب الثابتة فى الشئ، فهو يبدأ هنا وينتهى هناك، وبين البداية والنهاية يوجد موضوع واحد. وهكذا نجد أننا عندما نحصى الأشياء فإننا نصفها ونحدد معالمها كذلك. وفى استطاعتنا أن نقول عن شئ ما إنه موضوع؛ لأن من الممكن عده<sup>(٢)</sup>.

---

1- Mary E. Waithe : op. cit. P.13.

2 - IBID.

غير أن «ثيانو» لم تقتصر على شرح وتفسير الفلسفة الفيثاغورية وموقفها من الرياضيات والعالم، بل هناك أيضاً عبارات تنسب إليها تتعلق بنظريتين معروفتين عن الفيثاغورية:

\* الأولى : خلود الروح.

\* الثانية : تناسخ الأرواح.

تذهب «ثيانو» إلى أن الفيثاغوريين يؤمنون بوجود «عدالة إلهية» في الحياة الأخرى، كما يؤمنون «بتناسخ الروح» بعد الموت في جسد جديد قد لا يكون بالضرورة جسداً بشرياً.

وهذه الأقوال تعطينا صورة مبسطة لعملية التناسخ التي يستعيد الكون بواسطتها «الهرمونيا»، أو التناغم الذي فقده. عندما يقوم الفرد بإفساد هذا التناغم بعصيانته للقانون الخلقى طوال حياته.

وهكذا تقوم «ثيانو» بالربط بين الأخلاق على نحو ما تظهر في عالم الإنسان، والكسمولوجيا وما فيها من نظام – الأساس في هذا الربط هو التأكيد على خلود الروح. وتقول ثيانو:-

«مالم تكن الروح خالدة فسوف تكون الحياة مجرد وليمة لمرتكبي الشر، أولئك الذين يموتون بعد أن يكونوا قد عاشوا حياة جائرة غير شريفة...»<sup>(١)</sup>.

وترى ثيانو أن كل شيء في الكون منظم ومرتب، فلكل شيء

---

1 - Quoted by: Mary E. Waithe. op. cit, P.14.

مكانه المحدد، ودوره المرسوم، ووظيفته التي يقوم بها طبقاً لقانونٍ ما، في كون «متناغم» تسوده «الهرمونيا» وتحكمه قوانين الطبيعة، والمنطق، وقوانين الأخلاق والدين. أما الشر أو الأفعال اللاأخلاقية فهي تعارض هذه القوانين، وهي تسبب اضطراباً وشقاقاً في العالم.

وعند ثيانو «أننا لو قلنا إنَّ الروح ليست خالدة، ولو أنها كانت تفتنى بفناء الجسد، لكان معنى ذلك أن أولئك الذين يتسببون في الاضطرابات، ويفسدون النظام بسوء سلوكهم أثناء حياتهم، لا يعاقبون على ما ارتكبوه، بل يجنون ثمار رحلة مجانية في حياتهم، لكنهم أيضاً يمزقون نظام الكون. ولو أننا أردنا استعادة «الهرمونيا» أو التناغم بين الأشياء، والتوازن بين ظواهر الكون، فلا بد من البرهنة على خلود الروح، فليست المسألة أخلاقية فحسب، بل كسمولوجية أيضاً. إننا نستطيع أن نستعيد النظام و«الهرمونيا» لو تم أنذاك توقيع العقاب على العاصي للقانون الخلقى، أو الأثم في حق غيره، أو الشخص اللاأخلاقى عموماً. والعقاب هنا يعنى أن يولد من جديد لكن لا تتقمص روحه أو تتجسد هذه المرة في جسد بشرى، بل تتناسخ في موجود أدنى من الموجودات البشرية كالحيوان مثلاً، وهكذا يكون عليه أن يعيش في الحياة الأخرى عيشة دنيا كما يقضى قانون الأخلاق<sup>(١)</sup>.

وفضلاً عن ذلك فهناك عبارات أخرى بقيت لنا من أقوال ثيانو تكشف عن موقف الفيثاغوريين من

---

1 - M. E. Waithe : Op. Cit. P.13.

المرأة يمكن أن نوجزها فى النقاط الآتية<sup>(١)</sup> :

١ - إن النشاط الجنسى للمرأة ينبغى أن يقتصر على إمتاع الزوج، ومن ثم فلا ينبغى أن يكون لها عشاق آخرون.

٢ - ينبغى ألا تتحد العفة والفضيلة - أثناء الزواج - مع التقشف أو الإمساك عن ممارسة الجنس، فهذا تأويل خاطئ للعفة.

٣ - ذات يوم سألت امرأة فيثاغورية المعلمة «ثيانو» : كم يوماً لابد أن يعقب المعاشرة الجنسية للمرأة حتى تعود «طاهرة» مرة أخرى؟! أجابت ثيانو: إذا ما كانت المعاشرة الجنسية مع زوجها فهى تظل «طاهرة» على الدوام، لكن إذا مارس الجنس مع شخص آخر فإنها لا تعود طاهرة أبداً.

٤ - وذات يوم سألتها امرأة أخرى: ما هى الواجبات المفروضة على المرأة المتزوجة؟!

أجابت ثيانو: «إمتاع زوجها، وإسعاده».

٥ - تذهب «ثيانو» إلى أن الحب الرومانسى ليس شيئاً أخسر سوى «الميل الطبيعى لنفس خالية جوفاء».

والواقع أن عبارات «ثيانو» الأخلاقية، وأقوالها عن فضائل الزوجة وعلاقتها بزوجها - ربما فهمت على نحو أفضل على ضوء أقوال: «نساء ... فلاسفة» من الفيثاغورية المتأخرة، أمثال: فينتس Phintys.

---

1- Ibid. P.14.

وثيانو الثانية، وبركتيونى Perictione، وإيزارا اللوكانية... إلخ، فمن كتاباتهم يتبين لنا أن النظريات الفيثاغورية قد طبقت على الحياة العائلية والشخصية. فإذا كانت الفضيلة المناسبة للمرأة هي العفة، فإن عليها تقع مسئولية دعم القانون، وتأكيد العدالة، وتحقيق الهرمونيا (أو القناغم) داخل المنزل وبين أعضاء الأسرة. وطبقاً لما تقوله إيزارا اللوكانية، فإن المنزل هو العالم الصغير ... Microcosm بالنسبة للدولة، ومن ثم فإن المرأة تتحمل مسئولية هائلة لخلق الظروف المواتية التي تحقق الهرمونيا، والنظام والتآلف والقانون، والعدالة في الدولة. ولا شك أن المرأة التي لا تعي جيداً هذه الحقيقة، فإنها تشارك في الفوضى والاضطرابات، والشقاق وإحداث العماء Chaos في الكون. يكفي أن نختتم هذا القسم بعبارة توجهها «ثيانو» إلى المرأة، وهي دعوة لكل أنثى أينما كانت:—

« لأن تكونى فوق ظهر جوادٍ جامع، خيرٌ لكِ من أن تكونى امرأةً لا تفكر!! ».

## ثانياً : أريجنوت ... Arignote

فيلسوفة فيثاغورية (حوالى ٥٠٠ ق.م) يروى «ميناج - Menag es» فى كتابه «تاريخ النساء الفلاسفة» أنها ابنة فيثاغورس من ثيانو. تعلمت فى مدرستها فى كروتون Croton بجنوب إيطاليا. وهو يروى أنها ألّفت العديد من الكتب من بينها: «أقوال مأثورة عن الإلهة سيرس Ceres»<sup>(١)</sup>، وكذلك «أسرار الإله باخوس»<sup>(٢)</sup>، وأيضاً عن «ديونسيوس». وطبقاً للاعتقاد الفيثاغورى الذى يرى أن طبيعة الكون فى جوهره رياضية، وأنه منظم ومرتب ومتناغم - فقد راحت «أريجنوت» تبحث جوهر هذا العالم تقول:

«الماهية الأزلية للعدد هى العلة الأساسية للسماء والأرض وما بينهما، كما أنها هى الجذور الأولى للوجود المتصل للآلهة والأرواح، ولجميع الرجال المقدسين أيضاً...»<sup>(٣)</sup>.

وشرح أريجنوت لماهية العدد يتسق مع الشروح التى سبق أن ذكرتها أمها «ثيانو»، من حيث إن كل ما هو موجود، وكل ما هو واقعى يمكن أن نفرق بينه وبين غيره من الأشياء عن طريق العد؛ ذلك لأن الماهية الأزلية للعدد ترتبط كذلك - على نحو مباشر - بوجود الأشياء المختلفة ولكنها متناغمة. وفى استطاعتنا أن نعبر عن هذا

---

١ - إلهة القمح عند الرومان، وهى نفسها الإلهة ديمتر عند اليونان.

٢ - إله الخمر عند اليونان، وهو نفسه ديونسيوس.

3 - Quoted by Mary E. Waithe op. cit. P15.

التناغم بالعلاقات الرياضية. وبهاتين الطريقتين يتبين لنا أن الأعداد هي  
علة كل شيء؛ فبدونها لا نستطيع «العد» ولا «الإحصاء» ، ولا نتمكن من  
العدد ولا من الوصف، أو التخطيط، أو تحديد ملامح الشيء، أو التمييز  
بين الأشياء، فهي تعبر على نحوٍ منتظم عن العلاقات بين الأشياء<sup>(١)</sup>.

---

4 - Ibid.

## ثالثاً: مييا ... Myia

فيلسوفة فيثاغورية (حوالى ٥٠٠ ق.م) يذكر «ميناج» فى كتابه تاريخ النساء الفلاسفة أنها كانت إحدى بنات فيثاغورث وثمانو .. تزوجت أحد الأبطال الرياضيين «ميلو Milo» الذى يشار إليه أحياناً باسم «ميلون Mylon»، وهو بطل كرتون الرياضى.

كتبت «مييا» كغيرها من النساء الفلاسفة فى الفيثاغورية عن الهرمونيا Harmonia، أو التناغم والتآلف فى حياة المرأة. ولقد كتبت رسالة طويلة إلى فيليس Phyllis تناقش فيها أهمية التناغم، وكيف أنه ينطبق على رعاية الطفل وتربيته، وأهمية تلبية حاجات المولود الجديد طبقاً لهذا المبدأ. ويبدو أن النقطة الهامة التى أشارت إليها هى أن المولود الجديد يرغب - بطبيعته - فيما يتلاءم مع حاجاته، وما يحتاج إليه هو الاعتدال أو الوسط: لا الكثير ولا القليل من الطعام، ولا الخفيف ولا الثقيل من الثياب، ولا من الحرارة أو البرودة أو الهواء... إلخ.

والواقع أن ما نجده ممتعاً حقاً فى رسالتها هو تصورهما للمولود المعتدل الذى لا يرغب فى شئ فيه زيادة أو نقصان، وكان المولود الجديد يطلب الاعتدال فى كل شئ، ويرغب فى الحد الأوسط من كل شئ، ولهذا السبب فإن الأم - حديثة العهد بالأمومة - عليها أن تعهد برضيعها إلى مرضعة أو مربية معتدلة أيضاً فى سلوكها، فعلى هذه المربية ألا تكون مسرفة لا فى النوم، ولا فى الأكل، ولا فى الشراب... إلخ، كما أنها لابد أن تقلل من الممارسة الجنسية مع زوجها (ربما لأن الحمل سوف يمنع الرضاعة وسوف يقلل من إدرار اللبن)، وباختصار:

إنَّ عليها أن تقوم بكل شئ على نحوٍ جيد، وفى وقته المناسب، كما أنها لا بد أن تعمل ما فيه صلاح الطفل، ولا بد أن تخفف من حاجاتها حتى تُسهم تغذيتها للمولود الجديد فى تنشئته وتربيته تربية جيدة.

نصوص من رسالة مييا Myia إلى فيليس Phyllis.

« من مييا إلى فيليس ... »

تحياتى

اسمحي لى أن أقدم لك النصيحة الآتية بمناسبة أنك أصبحت أمًا:

« عليك أن تختارى للمولود الجديد مرضعة أو مربية تتسم بالنظافة، وحسن النية، ولا تريد له سوى الخير. اختارى امرأة تكون متواضعة، بل أكثر النساء تواضعًا، فلا تُسرف فى نوم أو شراب. وامرأة من هذا النوع سوف تكون أفضل من تأتمنين على تنشئة أطفالك بطريقة مناسبة لمراحل العمر، بشرط أن تكون، بالطبع، لديها اللبن الكافى لتغذية الطفل الرضيع، كما ينبغى أن تكون امرأة غير مغلوبة على أمرها مع زوجها بحيث تشاركه الفراش كلما أراد؛ إذ لا شك أن المربية تلعب دوراً هاماً فى هذه المرحلة الأولى من حياة الطفل مما يؤثر فى حياة الطفل بأسرها، فالمفروض أن تقوم بتغذيته، وفى ذهنها أن ينشأ على أفضل صورة ممكنة، فلا تقوم بتغذيته وفقاً لمقتضى الحال، بل طبقاً للروية والتدبر وإعمال الفكر، وبذلك تقود الطفل إلى الصحة والعافية، ولا ينبغى عليها أن تستسلم عندما يداعب النوم جفونها، وإنما عندما يرغب المولود فى الراحة. ولا ينبغى أن تكون حادة الطبع، سريعة الغضب، ثرثرة كثيرة الكلام. ولا ينبغى عليها أن

تكون شرهة فى تناولها للطعام فتأكل أى شئ وكل شئ، وإنما عليها أن تكون منظمة فى أوقات التناول معتدلة فى كمية الطعام، وحبذا أن تكون يونانية لا أجنبية لو أمكن ذلك. ومن الأفضل أن تجعل الرضيع يخلد إلى النوم، بعدما تناول الرضاعة، وشبع من لبنها؛ لأن الراحة، عندئذٍ ستكون متعة له. وسيكون من السهل هضم الغذاء، وإذا كانت هناك أنواع أخرى من الغذاء، فعليها أن تقدم له الطعام البسيط بقدر الإمكان، أو أن تخلطه بلبن المساء. وعليها ألا تقوم باستمرار بجعل الطفل يستحم، فالاعتدال فى الاستحمام هو الأفضل. وإلى جانب ذلك كله فإن الهواء لابد أن يكون معتدلاً، لا هو حار ولا هو بارد، كما أن المنزل ينبغي ألا يكون مفتوحاً على مصراعيه، ولا مغلق تماماً، كما أن الماء ينبغي ألا يكون ساخناً ولا بارداً، وملابس النوم ينبغي ألا تكون خشنة، بل أن يتقبلها الجلد بقبول حسن. وفى جميع هذه الأمور تميل الطبيعة إلى ما هو مناسب وملائم ومعتدل، لا إلى ما فيه إسراف أو مبالغة.

تلك هى الأشياء التى يبدو لى أنه من النافع، ومن المفيد أن أكتب لك اليوم عنها، وأن تقومى أنت بالبحث عن مربية أو مرضعة حسب هذه المواصفات. وبعون من الله فإننا سوف نقدم لك مذكرات مناسبة، وإرشادات سهلة تتعلق بتنشئة الطفل فى مراحل أخرى مقبلة من عمره...»<sup>(١)</sup>.

---

1 - Mary E. Waithe : Op. Cit. P.16.

وربما اندهش القارئ من قدرة «مييا Myia» على تطبيق فكرة الاعتدال على هذا النحو فى مجال التربية، فهى تختتم رسالتها بهذه العبارة:

«تلك هى الأمور التى يبدو من المفيد أن أكتب لك عنها فى الوقت الحاضر، ويكفى ما قلت، فهناك اعتدال حتى فى تقديم النصيحة...!» لكنها وعدت بالكتابة إليها مرة أخرى، عندما تجد أنه من المناسب أن تذكر فيليس Phyllis بتفصلات أخرى عن الهرمونيا والانسجام فى تربية الطفل!

وهذه العبارة الأخيرة تلخص ما كانت النساء الفيثاغوريات تقمن به، بالفعل، من خلال الرسائل والنصوص. وهناك فكرة معينة توجه رسائل «مييا» التوجيه الصحيح – وتلك هى الحال نفسها فى رسائل ثيانو الثانية، وكذلك شذرات بركتيونى الأولى، وفيينتسى Phintys – هى أن من واجبهن كنساء فلاسفة، أن يُعملن بقية النساء الأخريات ما يحتجن إليه، وأن يرشدنهن فى أمور التربية، وأن يعرفنهن كيف يمكن «أن يعيشن حياتهن فى هرمونيا وتناغم». أو كما ستقول «إيزارا» فيما بعد: «كيف يخلقن العدالة والانسجام والتناغم فى أرواحهن، وفى بيوتهن».

وكذلك فإن مهمة الفلاسفة من الرجال أن يعلموا الرجال الآخرين ما يحتاجون إلى معرفته؛ لكى يعيشوا حياة متناغمة ويخلقوا العدالة، والانسجام، والتناغم فى أرواحهم وفى دولتهم. وتلك هى المهمة التى تفسر فى جانب منها – كما تصف فى جانب آخر – مبرارات المنظور «الواقعى» للفلسفة الخلقية عند نساء الفلاسفة الفيثاغوريات، والمنظور

«المثالي» الذى أخذه الرجال. فقد اتخذ كل فريق منظوراً مختلفاً؛ لأن طبيعة النساء تختلف عن طبيعة الرجال. وهو ما تعترف به الفيتاغورية دون أى تقليل من أهمية المرأة، أو إلغاء لدورها، أو حط من قيمتها.

## خاتمة :

لابد أن ينتبه القارئ جيداً فى ختام هذا الفصل إلى عدة أمور هامة، ربما أجابت عما يعتمل فى داخله من أسئلة:

١ - إننا الآن فى القرن السادس قبل ميلاد المسيح حيث لا نجد كُتُبا ولا مؤلفات للفلاسفة، بل نجد فقط شذرات هى كل ما تبقى لنا من فلسفاتهم.

٢ - إذا تساءل القارئ: لكن هل تُعد هذه العبارات البسيطة فلسفة؟ كان جوابنا ذا شطرين:

أ - إن فيثاغورس نفسه عبّر عن فلسفته فى عبارات بسيطة مثل: «العالم عدد ونغم»... إلخ.

ب - إن المدرسة الأيونية (طاليس ومدرسته) لم يتبقّ لهم سوى عبارات غاية فى البساطة مثل: «الماء هو أصل الأشياء»، أو «الهواء هو المبدأ الأول لكل شئ»... إلخ.

٣ - عندما تقوم «ثيانو» بتوضيح وشرح وتفسير عبارة زوجها «الأشياء نشأت من العدد»، وتزيل ما فى هذه العبارة من لبس، لتنفى أنها تعنى «خلق» الأشياء المادية من الأعداد، التى هى موجودات عقلية غير حسية، وتذهب إلى أن ما يريده «فيثاغورس» هو أن الأشياء صنعت على غرار الأشياء، أو وفقاً لها، أو أنها تحاكيها... إلخ فليس ذلك مجرد عبارات عامة وعابرة، وإنما هى فلسفة بمعنى الكلمة.

٤ - عندما تمد «ثيانو» فكرة «الهارمونيا» أو الانسجام من الكون إلى عالم الإنسان، وتذهب إلى أن الإنسان الشرير إنما يهدم نظام العالم ويدخل فيه الفوضى، فهي تعبر بذلك عن ميتافيزيقا شاملة تجمع الطبيعة والإنسان في فكرة أساسية واحدة.

٥ - حاولت «ثيانو» أيضاً أن تقيم «خلود الروح» على أساس الفكرة نفسها، فمن الضروري أن تكون النفس خالدة أو الروح خالدة لا تفنى بفناء الجسد؛ حتى يعاقب الآثم ونستعيد بذلك النظام أو «الهارمونيا» إلى العالم، وهي التي أفسدها بعصياته للقانون الخلقى.

٦ - إذا كانت النفس خالدة، وإذا كان الهدف هو معاقبة الآثم العاصى، فلا بد أن نسلم بتناسخ الأرواح، أى انتقالها بعد الموت من جسد إلى جسد آخر، فالمجرم يمكن أن تتعذب روحه بأن تنتقل بعد موته إلى بدن كلب مثلاً!

إذا لم تكن هذه فلسفة كاملة تجمع بين الطبيعة، والإنسان والدين، وإذا لم تكن صاحبها «فيلسوفة»، فيماذا نسميها إذن؟!



## الفصل الثالث

«نساء.. فلاسفة من الفيثاغورية المتأخرة»

- إيزارا اللوكانية .. Aesara of Lucania

- فينتس الإسبرطية .. Phintys of Sparta

- بركتيوني الأولى .. Perictione

(إذا قمنا بتحليل النفس، فسوف نفهم القانون،

والعدالة على المستوي الفردي، والأسري،

والاجتماعي)

إيزارا .. Aesara

## تمهيد:

سوف نعرض في هذا الفصل لثلاثة من النساء الفلاسفة من الفيثاغورية المتأخرة التي ظهرت بعد نحو قرنين من الفيثاغورية المبكرة. وهى:

١ - «إيزارا اللوكانية» التى مدت فكرة القانون الطبيعى ليشمل ثلاثة مجالات هى: مجال الفرد، ومجال الأسرة، ثم مجال المؤسسات الاجتماعية. كما أننا سوف نستعرض بعض النصوص من كتابها «عن الطبيعة البشرية» لنرى محاولتها لتطبيق القانون الأخلاقى فى المجالات الثلاثة السابقة معتمدة على التقسيم الثلاثى للنفس البشرية.

٢ - كما أننا سنعرض أيضاً لفيثاغورية أخرى هى «فينتس الاسبرطية» التى ألقت كتاباً عن «الاعتدال عند النساء» لم يبق لنا منه سوى شذرتين - كما يحدث فى كثير من الحالات بالنسبة للفلاسفة الرجال الذين فقدت كتبهم ولم يبق منها سوى شذرات قليلة - وهى تهتم فى الشذرات المتبقية من كتابها بتوجيه المرأة إلى الاعتدال فى كل شئ سواء فى الطعام، أو الشراب، أو اللياقة البدنية، أو حتى فى الطقوس والشعائر الدينية.

٣ - والفيثاغورية الثالثة هى «بركتيونى الأولى» التى كتبت كتاباً بعنوان «هارمونيا النساء»، وهى غير «بركتيونى الثانية»

التي كتبت كتاباً بعنوان «سوفياس Sophias» أي عن الحكم، وربما كان الموضوع الرئيسي في هذا الكتاب هو واجبات المرأة في الأسرة ولاسيما تجاه والديها أو زوجها وأولادهما ... إلخ.

وقد يندهش القارئ من إقرار النساء الفيثاغوريات الفلاسفة لوضع المرأة المتدنى الذي كان قائماً في المجتمع اليوناني، من خضوعها للرجل، وتغاضيها عن «هفواته» حتى أصبحت المرأة الفيثاغورية «نموذجاً للزوجة المثالية، والمرأة الفاضلة عموماً، لكن ربما تزداد الدهشة لو قلنا إن أرسطو وافق أيضاً على الوضع المتدنى للرجل عندما وضع نظرية «عن الرق»، ولم يمنعه ذلك من أن يكون أعظم فيلسوف في العالم القديم.

إن الهدف من استعراض هذه النماذج هو بيان قدرة المرأة على التفلسف، بغض النظر عن الموضوع الذي تجعله موضوعاً لتفكيرها. وفي اعتقادي أن القارئ سوف يلمح ما لدى المرأة - حتى في هذه الأوضاع المتردية - من قدرة عقلية. ويكفي أن نقول إن «بركتيوني الثانية» كانت تدعو في كتابها عن «الحكمة» إلى التأمل النظري في الكون. كما أن ثيانو الثانية كانت تقرأ محاورات أفلاطون وتناقشها مع زميلاتهن، ولاسيما محاورة «بارميندس» البالغة الصعوبة.

## أولاً: إيزارا Aesara

### ١ - حياتها ومؤلفاتها:

فيلسوفة فيثاغورية يونانية (حوالى ٤٠٠ - ٣٠٠ ق.م) ولدت فى لوكانيا Lucania وهو إقليم قديم فى الجزء الجنوبى من إيطاليا، خضع لسيطرة اليونان قبل أن يغزوه اللوكانيون فى القرن الخامس قبل الميلاد. وتقول الحفريات الحديثة إن هذا الإقليم بلغ شأواً فى الحضارة غير يسير.

لا نعرف شيئاً عن حياتها، وكل ما نعرفه أنها ألّفت كتاباً بعنوان «عن الطبيعة البشرية On Human Nature» لم يبق لنا منه سوى شذرات قليلة، وإن كانت هذه الشذرات تزودنا بمفاتيح هامة لفهم فلسفات: فينتس الاسبرطية، وبركتيونى، وثيانو الثانية.

تأخذ «إيزارا» بنظرية حدسية فى القانون الطبيعى، تذهب فيها إلى أننا عندما نستبطن أنفسنا، أو عندما نتأمل، داخلياً، طبيعتنا البشرية، ولاسيما طبيعة «النفس» البشرية، ففى استطاعتنا أن نكتشف لا فقط، الأساس الفلسفى لكل القانون البشرى، بل فى استطاعتنا كذلك أن نتعرف على البنية الأخلاقية، وعلى القانون الوضعى، والطب.

ونظرية القانون الطبيعى عند «إيزارا» تدور حول القوانين التى تحكم مجالات ثلاث هى: مجال القانون الأخلاقى، بالنسبة للفرد أو ما يسمى بالأخلاق الخاصة، ومجال القانون الأخلاقى فى نطاق الأسرة،

ومجال القانون الأخلاقى الذى يحكم المؤسسات، فسوف نفهم طبيعة القانون، وطبيعة العدالة، على المستوى الفردى، والأسرى، والاجتماعى.

وسوف نعرض فيما يلى النص الذى تبقى من كتابها.

## ٢ - نص من كتاب «عن الطبيعة البشرية»

### بقلم الفيلسوفة الفيثاغورية

#### «إيزارا اللوكانية»

«يبدو لى أن الطبيعة البشرية تزودنا بمعايير عن القانون والعدالة فى أن واحد فى مجال المنزل والدولة. فمن يبحث داخل ذاته فإنه سوف يكتشف القانون بداخله، وسيعرف أن العدالة بداخله أيضاً، فهذا القانون هو الترتيب المنظم للنفس. ولما كانت النفس البشرية ثلاثية الجوانب، فإنها ترتب طبقاً لوظائف ثلاث هى : وظيفة العقل أوالذهن Mind، وهى التى تختص بالحكم والتفكير، ووظيفة الروح العليا التى تختص بالقدرة والمقدرة، وأخيراً وظيفة الرغبة، وهى التى تختص بالحب والعطف. وقد رتبت هذه الوظائف بحيث تكون الوظيفة الأفضل هى التى تأمر أو تكون حاكمة، فى حين تكون الوظيفة الأدنى مأمورة أو محكومة. أما الوظيفة التى توضع فى مكان وسط فتكون حاكمة ومحكومة فى ذات الوقت.

وهكذا نجد أن الله خلق هذه الوظائف ورتبها طبقاً لمبدأ يكمل المقام البشرى؛ لأنه أراد للإنسان وحده أن يكون هو الذى يتسلم القانون والعدالة دون غيره من الموجودات والحيوانات الأخرى. إن وحدة الترابط المركبة لا يمكن أن تظهر من شئ مفرد، ولا من أشياء متعددة على نمط واحد. (إن طالما أن الأشياء مختلفة، فلا بد أن تكون أجزاء النفس مختلفة أيضاً، كما هى الحال فى البدن، حيث نجد أن

أعضاء اللمس، والبصر، والسمع، والذوق والشم مختلفة؛ لأن هذه الأعضاء ليست لها علاقة واحدة بكل شئ آخر).

كلا، ولا يمكن لهذه الوحدة أن تظهر من أشياء غير متشابهة - كيفما اتفق - بل بالأحرى من أجزاء تشكلت طبقاً لملائمة كل منها للكل بأسره، وانتظامها معه، وإكمالها له. وليست النفس وحدها هي التي تتركب من أجزاء متعددة غير متشابهة، بل إن ذلك يحدث متطابقاً مع الكل. وفضلاً عن ذلك فإن هذه الأجزاء لا تترتب عشوائياً، أو كيفما اتفق، بل طبقاً لوعى عقلى.

ذلك لأنه لو كان لهذه الأجزاء نصيب متساوٍ من القوة والشرف، رغم أنها هي نفسها غير متساوية - فجزء منها أدنى، وجزء أعلى، وجزء ثالث يقف في الوسط - أقول على الرغم من أن أجزاء النفس غير متساوية على هذا النحو، فإن الترابط بينها لا يمكن أن يكون متكافئاً أبداً. لكن حتى لو كان لكل منها نصيب غير متساو، بحيث يكون للأسوأ وليس للأفضل النصيب الأكبر - فسوف يؤدي إلى إحداث اضطراب في النفس، وحتى إذا ما كان للجزء الأفضل النصيب الأكبر، والجزء الأدنى النصيب الأقل، لكن إذا لم يحدث ذلك بنسب سليمة فلن يكون ثمة إجماع ولا صداقة ولا عدالة داخل النفس. وطالما أنه حين يرتب كل عضو بالنسب المناسبة، عندئذٍ أستطيع أن أؤكد أن مثل هذا النوع من الترتيب سوف يحقق العدالة.

والواقع أن هناك إجماعاً معيناً واتفاقاً في المشاعر يصاحب هذا الترتيب. وقد يطلق على هذا النوع من الترتيب اسم «النظام الخير» وهذا حق، بسبب أن الجزء الأفضل من النفس يكون حاكماً، والجزء

الأدنى يكون محكوماً، وسوف تنبت الصداقة، والحب، والعطف، من هذه الأجزاء؛ لأن الفحص الدقيق يظهر على أن العقل يقنع، والرغبة تحب، والروح الأعلى مليئة بالقدرة والقوة، وهى ما أن تستخدم بالبغض حتى تصبح عدوة للرغبة» .

يتضح لنا من هذا النص أن بنية النفس ثلاثية عند «إيزارا»، والأجزاء الثلاثة التى تتألف منها هى: العقل، والحيوية أو الهمة، والرغبة، والعقل مهمته التفكير والحكم، ولا بد أن تفهم كلمة التفكير هنا بمعنى تحليلى خالص، لا أثر فيه للعاطفة أو الانفعال، أما الحيوية أو الهمة ففيها القوة والقدرة والمقدرة، فى حين أن الرغبة ترتبط بالحب والعاطفة والرقعة. وهذه الأجزاء الثلاثة تشكل «وحدة ترابطية مركبة»، ولقد أراد الله لهذه الأجزاء الثلاثة من النفس أن تعمل معاً طبقاً لمبدأ عقلى، وهو مبدأ التناسب الملائم، ويعتمد هذا التناسب فى جزء من أجزاء النفس فى ملائمته لجزء آخر - على نوع المهمة التى بين أيدينا، أعنى أنه يعتمد على ما تسميه «إيزارا» الأعمال المختلفة المتنوعة التى يكون علينا القيام بها. وهذا المبدأ - بما هو كذلك - ليس مبدأ رياضياً ولا عقلياً أو إلهياً فحسب، وإنما هو أيضاً مبدأ وظيفى.

### ٣ - طبيعة القانون والعدالة ...

ما الذى يمكن أن نستنتجه عن طبيعة القانون وبنيته، وكذلك عن طبيعة العدالة، من تحليل إيزارا «لطبيعة النفس وبنيتها..»؟!

١ - فى استطاعتنا أن نصل إلى أن القانون والعدالة هما نتاجان لمبدأ عقلى رياضى إلهى وظيفى هو «مبدأ النسبة والتناسب».

٢ - القانون والعدالة هما معاً ثلاثيان فى بنيتهما، وهى بنية تناظر بنية النفس البشرية .

لقد ذهبت «إيزارا» فى البداية إلى القول بأن المبدأ الذى يسم بسماته بنية النفس، وطبيعة القانون والعدالة هو مبدأ بالغ البساطة؛ فليس ثمة جزء من أجزاء النفس (ولا من أجزاء القانون والعدالة) يمكن أن يسود وحده.

وترى «إيزارا» أن مبدأ «النسبة والتناسب» يلغى أى مبدأ جزئى آخر. خذ مثلاً قانون «ضريبة المساكن» وما إلى ذلك من قوانين متعلقة بالضرائب، تجد أنه يقوم على أساس أن على جميع السكان أن يتحملوا بالتساوى نفقات الحكم. ومعنى ذلك أنه يقوم على أساس مبدأ يقول: إن على القانون أن يراعى أيضاً الحاجات الخاصة للأفراد، ويضعها فى اعتباره عندما يوافق على القول بأن على الأفراد أن يتحملوا نفقات أو تكاليف الحكم. والمبدأ الكامن وراء ذلك كله هو «النسبة والتناسب» الذى يقضى بأن يقوم نظام الضريبة على مبدأ لا يؤدي - على المدى

البعيد- إلى شقاق أو نزاع بين المواطنين. تلك هي القضية الأولى التي تنادى بها «إيزارا»<sup>(١)</sup>.

أما القضية الثانية فهي تقول بأن القانون والعدالة هما ثلاثيان البنّية، وأن هذه البنّية تناظر بنية النفس البشرية. والقانون والعدالة تستغرقهما فكرة القانون الخير، والعدالة الحقّة تنظر بعين الاعتبار إلى جميع الأفكار والحجج والمبادئ المناسبة، وفضلاً عن ذلك فالقانون الجيد أو الخير، وخصوصاً العدالة الحقيقية، صائبان في حكمهما: فهما يصدران القرارات حول أمور الواقع، وموضوعات الإلزام، ومسائل الواجب. وهذه السمات الخاصة بالاستغراق في التفكير والحكم الصائب بالنسبة للقانون والعدالة، تناظر عند «إيزارا» القدرة العقلية.

إن قوة القانون وتأثير النظام القضائي، مثل قواعد ونظام الأسرة، والمبادئ الشخصية، والضمير - تناظر الجزء الخاص بالهمة والحمية من النفس عند «إيزارا». إذ يمكن للقانون أن يكون محركاً قوياً، أو عائقاً قوياً أيضاً. فهو يمكن أن يكون محركاً قوياً عندما يعبر عن الهرمونية أو التناغم والاستقرار، فيعمل على دعم القيم، والفضائل عند الفرد، وفي الأسرة، وفي الدولة. ومن ثم كان القانون والعدالة، كالجزء الخاص بالحمية والهمة من النفس البشرية - مؤثرين ومحركين، وقد يكونا عائقين، وقد يكونا مرشدين للسلوك. ولهذا كله فإننا نستطيع أن نقول إن القانون والعدالة يفسران ويدعمان قيم

---

1- Mary Ellen Waithe: A history of Women philosophers. Vol.P.22.

2- Ibid, P.23.

الشخص وفضائله، وكذلك القيم والفضائل فى الأسرة والمجتمع<sup>(٢)</sup>.  
وفضلاً عن ذلك فإن القانون الاجتماعى، والقانون الأسرى،  
والقانون الأخلاقى تتسم جميعاً بسمة الحب، سواء فى صورة الشفقة  
على الآخرين أو الرحمة بهم، والعطف عليهم، أو فى صورة احترام  
الإنسان لنفسه. وهذا الحب يشبه - فى نظر إيزارا - ما ينتجه الجزء  
الثالث من النفس وهو الرغبة. هذا العامل المؤثر فى القانون والعدالة  
منصف، وهو يراعى مشاعر الآخرين، كما يراعى الحاجات  
والاهتمامات، فالعدالة رحيمة ومتسامحة، وهى تؤمن بأن الفرد مُقدم  
على الجماعة، بمعنى أنها تضع فى اعتبارها الظروف والملازمات  
والأعداء المختلفة التى تجعل الفرد يخرج عن طاعة القانون أو يرفض  
الامتثال له. وقل مثل ذلك فى حالة الأسرة التى تسودها الهرمونية أو  
الانسجام، فهى تتسم بسمة «الإجماع والاتفاق فى المشاعر» وهى  
أسرة منصفة وتراعى مشاعر الأعضاء وحاجاته الخاصة، وهى أيضاً  
رحيمة ومتسامحة. أما على المستوى الشخصى فإن الفرد الذى لا  
يعانى من انفصام فى الشخصية، فإنه يتسم كذلك بسمة «الإجماع  
والاتفاق فى المشاعر» ومثل هذا الشخص يضع لنفسه معايير أخلاقية  
تتناسب وقدراته العقلية. ومثل هذه الشخصية تسامح نفسها، ولا  
تكتنفها الوسواس حول نقائصها الأخلاقية. ومرة أخرى تقول: إن  
القانون الاجتماعى، وقانون الأسرة، وقانون الأخلاق الشخصية تتسم  
جميعاً بسمة الحب، سواء فى صورة الرحمة بالآخرين والشفقة عليهم

---

1- Ibid

أو احترام الذات. وهذا الحب يشبه ذلك الذى ينتجه الجزء الثالث من النفس، وأعنى به: الرغبة<sup>(١)</sup>.

#### ٤ - إيزارا ... وسيكولوجيا الأخلاق:

توصى الشذرة المتبقية من كتابها «عن الطبيعة البشرية» باستبطان النفس، وتمتدح التأمل الذاتى لطبيعة النفس البشرية. على اعتبار أن ذلك هو الطريق للكشف عن المجالات الثلاثة التى يطبق فيها القانون البشرى وهى: مجال الأخلاق الفردية وقوانين الأخلاق الشخصية، ومجال القوانين التى تعبر عن الأساس الأخلاقى للأسرة، والقوانين التى تعبر عن الأساس الأخلاقى للمؤسسات الاجتماعية. وفى استطاعتنا أيضاً أن ننظر كيف حللت «إيزارا» بنية النفس، وكيف رأت أن ذلك يسهم فى فهم قوانين «سيكولوجية الأخلاق البشرية»، وقوانين الطب الفيزيقي. فمثلاً قد يكون من المناسب أن ننظر إلى العقل أو جانب الذهن فى النفس البشرية عند «إيزارا» على أنه يناظر - فى شئ من الغموض - فكرة الأنا Ego فى علم النفس الحديث. فالعقل عند «إيزارا» يفكر، ويقسم، ويكشف عن المبادئ، ويدعم الحجج ويساندها، كما أنه يقوم بعمليات الاستقراء والاستنباط معاً. والجزء الخاص بالحمية والهمة فى النفس البشرية عند «إيزارا» يشبه الإرادة فى التحليل النفسى، فهو ينتج ما تسميه «بالشجاعة»، والباعث على الفعل. والرغبة نفسها، يمكن أن تكون مرادفة لغريزة اللذة التى تتجسد فى الحب بأشكاله المختلفة، بما فى ذلك ما تسميه إيزارا «بالعطف» و«الصدقة» و«الرقعة»... إلخ، غير أننا ينبغى ألا نبالغ فى بيان

أوجه التشابه بينها وبين «فرويد»، وربما كان الأدنى إلى الصواب أن نقارن بين تقسيمها الثلاثي للنفس، وتقسيم أفلاطون لقوى النفس الثلاث: النفس الشهوانية ومقرها البطن تحت الحجاب الحاجز، وهي غارقة في صفات الحس من شره وجشع، وميل إلى الشهوة وممارسة الغريزة.. إلخ، ثم «النفس الغضبية» ومقرها الصدر، وتغلب عليها الحمية والانفعال، وتميل إلى الاندفاع نحو حماية المقدسات والقيم... إلخ، ولهذا كانت فضيلتها «الشجاعة»، أما الثالثة - وهي أعلى الأنفس جميعاً - فهي النفس العاقلة ومقرها الرأس، وهي مصدر الاتزان والتعقل والفهم والحكمة.

والغريب أن أفلاطون أيضاً يمد هذا التقسيم الثلاثي إلى المجتمع فيقسمه ثلاث طبقات: الطبقة المنتجة أو الطبقة العاملة أو «مجتمع الشهوة»، ثم طبقة الجند الذين يدافعون عن الدولة ويتميزون بالشجاعة والإقدام، وأخيراً طبقة الحكام الذين يتميزون بصفات الفلاسفة ويعرفون مثال العدالة ويطبقونه في المجتمع<sup>(١)</sup>. وإن كان الاختلاف بين نظرية «إيزارا» في التقسيم الثلاثي للنفس وانعكاسه على الحياة الاجتماعية، وبين نظرية أفلاطون - كبيراً في حقيقة الأمر.

غير أننا لا بد أن نقول في النهاية إن لنظرية القانون الطبيعي عند «إيزارا» مضامين نسائية. فلو أننا افترضنا - كما يقول الفيتاغوريون عادة - أن النساء يتحملن مسئولية خلق الهرمونيا، والعدالة في البيت، في حين يتحمل الرجال مسئولية إحداث الهرمونيا في المدينة أو

---

١ - د. إمام عبد الفتاح إمام «أفكار... ومواقف» ص ٦٨٢ - ٦٨٣ مكتبة مدبولي بالقاهرة.

الدولة - لكان عمل البناء هو المرادف الأخلاقي لعمل الرجال؛ وذلك لأن العدالة فى المجالين تحمل نفس الأساس الطبيعى الذى يضرب بجذوره فى طبيعة النفس البشرية. إن المدن (أو الدول) التى تسودها العدالة والانسجام (الهرمونيا) تحتاج إلى رب المنزل العادل الذى يسود الانسجام جوانب شخصيته أيضاً. ومن ثم فإن العدالة الاجتماعية تعتمد على النساء اللاتى يقمن بتربية الفرد العادل المنصف الذى يسود الانسجام شخصيته. وتذهب الفلسفة الفيثاغورية إلى أن المرأة ليست هامشية بالنسبة للعدالة الاجتماعية، بل إنها هى التى تجعلها ممكنة<sup>(١)</sup>.

---

1- Mary Ellen Waithe: A history of Women philosophers., Vol. 1, P.26.

## ثانياً : فينتس الاسبرطية .. Phintys of Sparta

### ١ - حياتها ومؤلفاتها:

فيلسوفة فيثاغورية يونانية (حوالى ٤٠٠ ق.م) لا نعرف عن حياتها سوى أنها ابنة أحد قادة الأسطول اليونانى الذى مات فى المعركة عام ٤٠٦ ق.م على نحو ما يروى ثيوكديدس، وبلوتارك، وهذه المعلومات هى التى جعلنا نقول إنها من اسبرطة. ويروى المؤرخون أنها ألقت كتاباً عنوانه «عن الاعتدال عند النساء» لم يبقَ لنا منه سوى شذرتين. وهاتان الشذرتان تجسدان تصورات المدرسة الفيثاغورية عن النساء والرجال. وعلى الرغم من أن هناك عناصر مشتركة بين هاتين الشذرتين، فإنه يوجد بينهما بعض الاختلافات الجوهرية.

## ٢ - الشذرة الأولى من كتاب «الاعتدال عند النساء» :

«لابد أن تكون المرأة على الدوام منظمة وخيرة، وهى لن تصبح كذلك قط بدون امتياز أو فضيلة. والفضيلة المناسبة لكل شئ هى التى تجعل من يتلقاها فى وضع أعلى: الفضيلة المناسبة للعينين تجعلهما عينين على الأصالة، والمناسبة للسمع تجعل ملكة السمع حادة، والمناسبة للحصان هى التى تجعله حصاناً أصيلاً، والمناسبة للرجل هى التى تجعله رجلاً تام الرجولة. وقل مثل ذلك فى الفضيلة المناسبة للمرأة هى التى تجعلها امرأة ممتازة، والفضيلة المناسبة للمرأة هى: الاعتدال؛ لأنها عن طريق هذه الفضيلة سوف يكون فى استطاعتها أن تحترم زوجها، وأن تحبه.

وربما ظن كثير من الناس أنه ليس من المناسب للمرأة أن تتفلسف، كما أنه ليس من المناسب لها أن تمتطى ظهور الخيل، أو أن تتحدث فى جمع من الناس، أو تخطب فى الجمهور علانية. لكنى أعتقد أن هناك أشياء خاصة بالرجل، وهناك أشياء خاصة بالمرأة، وأشياء تنتمى للمرأة أكثر من الرجل. أما ما هو مناسب للرجل أكثر، أو يخص الرجل على الأصح فهو الاشتراك فى المعارك، والانخراط فى العمل السياسى، والخطب العامة للجمهور. أما ما هو خاص بالمرأة أكثر فهو البقاء فى المنزل، والترحيب بزوجها ورعايته. لكنى أعتقد أن الشجاعة، والعدالة، والحكمة هى أمور مشتركة بينهما، كما أن فضائل البدن تناسب الرجل كما تناسب المرأة، وقل مثل ذلك فى فضائل النفس. وكما أنه من المفيد للبدن عند كل منهما أن يكون سليماً من

الناحية الصحية، فكذلك من المفيد لكليهما أن تكون النفس سليمة. وفضائل البدن هي: الصحة، والقوة، وحدة الإدراك، والجمال. وبعض هذه الفضائل من المناسب للرجل أن تكون لديه أكثر من المرأة مثل: تكوين بدنه، قوة روحه، في حين أن ما يناسب المرأة أكثر - من هذه الفضائل - هو: الاعتدال.

ولذلك يستطيع المرء أن يكتشف طبيعة المرأة التي تمرست على الاعتدال، ويعرف عدد الأشياء ونوعها التي أضفت هذا الخير على المرأة. وأنا أقول إن ذلك يأتي من خمسة أشياء هي على النحو التالي:-

أولاً : احترام فراش الزواج.

ثانياً : مراعاة اللياقة في جسدها.

ثالثاً : السير في ركاب أولئك الذين هم من أهل بيتها.

رابعاً : ألا تنغمس في الطقوس السرية، والاحتفاء بعيد الإلهة سبيل Cybele<sup>(١)</sup>.

خامساً : أن تكون عابدة قانتة ورعة، وأن تقوم بتقديم القرابين الصحيحة للآلهة.

تلك هي أسباب الاعتدال والمحافظة عليها، والمرأة التي تحققها لا

---

١ - إلهة الأرض، أو الإلهة الأم. وقد عرفت بهذا الاسم عند اليونان والرومان وفي آسيا الصغرى حتي القرن الخامس قبل الميلاد، ثم عرفت بأسماء أخرى كثيرة منها: عناة، وعشتار، وإيزيس.. إلخ. د. إمام عبد الفتاح إمام «معجم ديانات وأساطير العالم» المجلد الأول ص ٢٧٦ مكتبة مدبولي بالقاهرة.

يمكن لزواجها أن يفسد، أو أن تخالط رجل غريب. والمرأة التي تبغى أو تتجاوز حدودها فإنها تقوم بالتجديف على آلهة جنسها، وتجلب لأسرتها ولبيتها حلفاء مزيفين، كما أنها تقوم أيضاً بالتجديف على آلهة الطبيعة الذين تقسم بهم، كما أنها تؤذى أسلافها وعشيرتها، ومشاركتها في الحياة العامة، وإنجاب أطفال شرعيين. كما أنها تؤذى وطنها... كما أنها سيكون من رأيها ارتكاب الخطيئة، والإقدام على الأعمال الشائنة من أجل اللذة وحدها، ولن تستحق أدنى رحمة. غير أن انتهاك القانون لا بد في النهاية من تدميره.

### ٣ - النساء والفضيلة ...

تذهب فينتس إلى أن هناك فضائل مشتركة بين الرجال والنساء، بينما هناك فضائل أخرى ينفرد بها هذا الجنس أو ذاك. فالشجاعة، والعدالة، والحكمة هي فضائل مشتركة بين الجنسين، رغم أنها ترى أن الشجاعة والحكمة تناسب الرجال أكثر من النساء. وليس واضحاً تماماً ما تعنيه فينتس بذلك. ربما كانت تعنى بعبارة «تناسب الرجال أكثر» أنها «تناسب ذلك النوع من النشاط الذى يخطر فيه الرجال. وتبين لنا «فينتس» لماذا تحتاج النساء إلى حقائق وضعهن الاجتماعى عندما يمارسن الفلسفة الأخلاقية كما يمارسها الرجال، ويضعن النظريات عن الدولة المثالية أو الدولة الكاملة. وتسلم فينتس بأن النظام الاجتماعى قائم على ما هو عليه. وتطرح سؤالاً هو: أى النظريات الأخلاقية تتبع؟ أكون من مسئوليتنا الأخلاقية أن نعيش حياتنا تبعاً للنظرية الأخلاقية التى تراعى ظروفنا الخاصة أفضل من غيرها؟.. وتقول «فينتس»: «إننا إذا أخذنا بنوع الحياة التى يسير عليها الرجال فى الأسواق، وفى الأماكن الحكومية، فإن الشجاعة والحكمة ستكونان هما الفضائل الأخلاقية الأساسية فى هذه الحالة؛ لأن هذه الفضائل إذا لم تمارس فسوف يعانى المجتمع من موجات العنف ومن الصلف، والخداع سواء من جانب المدن الأخرى أو من جانب أعضائه أنفسهم. ومن ناحية أخرى إذا ما أخذنا بنوع الحياة الضيقة التى تعيشها النساء فى المنازل، حيث تكون عليهن مسئولية شخصية فى تنشئة الذكور الذين سيدعمون الانسجام (الهرمونيا) فى المدينة (الدولة)، ومع جيرانهم - كانت الفضائل

الأساسية هنا هي: الاعتدال وضبط النفس، إذ بدونها لن تكون النساء صبوراً مع الأطفال، ولن يبذلن الكثير من الجهد والطاقة في رعاية الآخرين<sup>(١)</sup> .

لكن هناك رأياً آخر تعرضه «ماري ويت» إذ تقول إن فينتس عندما ذهب إلى أن العدالة والحكمة تناسب الرجال أكثر «فربما كانت تقصد أن غرس فضائل العدالة والحكمة في نفوس النساء محدود؛ بسبب الدور الاجتماعي المسموح لهن القيام به في المجتمع. وتعكس تلك الأدوار الاجتماعية فهماً كلياً عاماً (في تلك الثقافة) يذهب إلى أن نفوس النساء لها هذه الطبيعة، أما نفوس الرجال فلها تلك الطبيعة. فالمجتمع يبني أطواره بتلك الطريقة التي لا تتيح للرجال الفرصة لمعرفة الكثير عن تطوير الفضائل في النساء، والعكس صحيح أيضاً<sup>(٢)</sup> .

---

1 - Mary Ellen Waithe: op. it. P.28.

2 - Ibid, P.19.

#### ٤ - النساء والعدالة فى المنزل:

تصف «فينتس» كثيراً من ألوان الأذى التى تحدثه المرأة غير المخلصة، إذ المفروض أنها تقسم يميناً عند زواجها مع والديها وأقاربها. والقسم موجه إلى آلهة جنسها، وإلى آلهة الطبيعة؛ وذلك بغرض حماية الأسرة. ثم تأتى الخيانة - أو عدم الإخلاص عموماً - لتعرض هذه الحماية للخطر، وبالتالي، تعرض الأسرة للهلاك أو الضياع، وفضلاً عن الأذى الذى تلحقه هذه المرأة بالأسرة عندما تعرض حمايتها الإلهية للخطر، فإنها ترتكب جريمة مدنية ضد الدولة. فالزواج ينقل وصاية المرأة من والديها إلى زوجها، ثم تأتى المرأة بخيانتها لتنتهك هذه الوصاية، وتلك جريمة أسوأ من الجرائم التى تكون عقوبتها الإعدام. فلا يمكن للمرأة الخائنة أن تأمل فى الرحمة، لأن الباعث الذى دفعها إلى الخيانة هو أسوأ الدوافع، ألا وهو: اللذة.

#### ٥ - الشذرة الثانية من كتاب «الاعتدال عند النساء»...

تقول فينتس Phinty فى كتابها سالف الذكر:

«لا بد للمرأة أن يتدبر هذه النقطة أيضاً، وهى أن المرأة لن تجد علاجاً مطهراً لتلك الغلطة، بحيث تُعد عفيفة ومحبوبة من الآلهة بعد أن دنست المعابد والمذابح. ففى حالة هذه الخطيئة - ربما أكثر من غيرها - فإن الروح القدس لا يكون رحيماً قط، بل فى غاية القسوة. إن أعلى مجد للمرأة المتزوجة، وأنبل شرف، أن تأتى بشهود على فضيلتها

واحترامها لزوجها من خلال أطفالها كلما كانوا يحملون خاتم الشبه مع أبيهم. وذلك هو معنى الاعتدال بخصوص الزواج.

أما موضوع الاعتدال بخصوص اللياقة البدنية فرأى فيه هو على النحو التالي:

على المرأة المعتدلة أن ترتدى ملابس بيضاء بسيطة ونظيفة، فلا ينبغي عليها أن ترتدى الملابس الشفافة أو المزركشة أو المطرزة بالحريز، بل الثياب البسيطة المحتشمة، والنقطة الأساسية أن تكون محتشمة، وأن تتجنب مظاهر الترف والبهرجة. وعلى هذا النحو فإنها لن تثير الغيرة أو الحقد أو الحسد عند النساء الأخريات. وهى بالطبع لن تزين نفسها بالذهب والزمرد؛ لأن ذلك يعنى أن يبدو عليها مظاهر الثراء والعجرفة تجاه النساء العاديات.

أما المدينة المنظمة تنظيماً حسناً، فسوف تنظم نفسها من منظور الكل، بحيث يقوم التنظيم على التعاطف والإجماع. بل إن عليها أن تحرم وجود الحرفيين فى المدينة، الذين يقومون بصناعة الزينة والزخارف، فالمرأة المعتدلة ينبغي عليها أن تزين نفسها لا بزينة أجنبية مستوردة بل بالجمال الطبيعى للجسد، وبالنظافة والاستحمام بالماء. لا بد أن تتحلى بالتواضع لا بهذه الزخارف. وها هنا تجلب للرجل الذى تعيش معه وتشاركه حياته، الشرف والاحترام، وكذلك لنفسها أيضاً.

كما أن على المرأة أن تشارك فى الاحتفالات التى تبدأ من البيت لتقديم القرابين للإله المؤسس لمدينتها؛ وذلك لصالح زوجها وأهل بيتها. فضلاً عن ذلك فعندما يظهر نجم المساء - وليس فى

الظلام الحاد - فإن على المرأة أن تعد نفسها للذهاب إلى المسرح، وكذلك يمكنها القيام بشراء السلع وأدوات منزلها، وعليها أن تقوم بذلك بطريقة محتشمة، ومن الأفضل أن تصحبها إحدى وصيفاتها.

« كما أن عليها أن تقوم بتقديم الصلوات للآلهة، وإن كان عليها الامتناع عن الطقوس السرية في المنزل والاحتفال بالإلهة «سبيل ... Cybele». إن القانون الشائع يمنع النساء من الاحتفال بهذه الشعائر؛ لأن مثل هذه الممارسات الدينية تؤدي إلى السكر والخيل، في حين أن ربة الدار لا بد أن تكون معتدلة، ومقتصدة في كل شيء...»<sup>(١)</sup>.

«وهكذا يكون في استطاعة المرأة أن تحقق مبدأ الانسجام (الهرمونيا ... Harmonia) بممارسة فضيلة الاقتصاد والاعتدال في كل شيء: ملابسها، ومظهرها وسلوكها العام، وممارساتها الدينية؛ فالترف، والبهرجة، والتكبر، والعجرفة، والظهور بمظهر الثراء كلها أمور ينبغي تجنبها؛ لأنها تهدد الانسجام في المدينة وتخلق الغيرة والحسد في النساء الأخريات، والتباهي باختلاف الطبقات. ولا بد للمرأة المعتدلة أن تعي مدى تأثير المدينة ككل بثيابها ومظهرها غير المعتدل. وحتى الحرفيين الذين يقومون بصناعة الزركشة والزخارف التافهة على ملابس النساء، ينبغي منعهم من القيام بهذه الأمور في المدينة، بل ينبغي أن تمنع مظاهر التباهي بالفروق بين الطبقات، بأن تستعرض المرأة مجموعة من الخدم في صحبتها، وهي تسير في شوارع

---

1 - Mary E. Waithe : Op. Cit, P.30.

### ثالثًا : بركتيونى .. Perictione

فيلسوفة يونانية فيثاغورية حوالى عام ٣٠٠ ق.م). لا بد لنا من التفرقة بين سيدتين تحملان نفس الاسم، ولهذا يُطلق عليهما المؤرخون عادة بركتيونى الأولى، وبركتيونى الثانية. الأولى كتبت كتاباً بعنوان «هارمونيا النساء .. Harmony of Women». بينما ألّفت الثانية كتاباً جعلت عنوانه «سوفياس .. Sophias» أى «عن الحكمة». ولقد بقيت لنا شذرات من الكتابين. وهناك روايات تذهب إلى أن بركتيونى الأولى هى أم أفلاطون، وإن كانت الأدلة ليست قاطعة، مع الاعتراف بأن بركتيونى الأولى عاشت فى أثينا زمن أفلاطون.

لكن المتفق عليه أن الشذرات المتبقية من الكتابين تنسبان إلى سيدتين مختلفتين. لقد كانت بركتيونى الأولى تشجع النساء على التفلسف، فإذا مارست النساء الحكمة وضبط النفس، كان فى استطاعتهن استلهام الفضائل الأخرى بما فى ذلك العدالة والشجاعة. ويبدو أن هذه الفيلسوفة كانت تأخذ بمنظور نفعى تجاه الفضيلة: فالمرأة يمكن أن تمارس فضائل معينة لتكون قادرة على تطوير فضائل أخرى، وفضائل أعلى، عندئذٍ سوف تجلب هذه الفضائل بدورها السعادة والانسجام لهذه المرأة ولأسرتها.

## ١ - ترجمة نص من كتاب «هارمونيا النساء»<sup>(١)</sup>.

«لا ينبغي للمرأة أن توجه إلى والديها كلاماً نابياً، ولا أن تسبب لهما أذى، بل أن تطيعهما في جميع الأمور الصغيرة والكبيرة، في كل خلجات النفس وحركات البدن، في الحياة الداخلية، والحياة الخارجية، في الحرب والسلم، في الصحة والمرض، في السراء والضراء، في المواقف العامة والخاصة، ينبغي أن تكون المرأة معهما ولا تهجرهما أبداً. ذلك هو طريق الحكمة، والاستقامة والشرف. لكن إذا ما احتقرت المرأة والديها، وركبها شر من أى نوع، فسوف تلعنها الآلهة، وترميها بارتكاب الخطيئة حية وميتة، وسيكرهها الجنس البشرى إلى الأبد، مع الأشرار الراقدين فى باطن الأرض، وستهاجمها الشياطين المكلفة بهذه الأمور.

فمنظر الوالدين مقدس ومحبوب، وكذلك توقييرهما ورعايتهما. ولا يمكن أن تقارن طلعتهم لا بالشمس، ولا بنجوم السماء، ولا بما يمكن أن يتخيل المرء أنه أعظم من ذلك. ولهذا كان من الضروري احترامهما أحياء أو أمواتاً. ولا يمكن أن تكون هناك خطيئة أفظع من إهانة المرء لوالديه...»<sup>(٢)</sup>.

هذا واحد من النصوص التى بقيت لنا من كتاب «بركتيونى» «هارمونيا النساء» تعرض فيه لمبدأ أخلاقى هو واجبات المرأة تجاه

---

١ - قامت بترجمة هذا النص إلى الإنجليزية: فيكي لين هاربر Vicki Lynn Harper.  
2- Mary E. Waithe : Op. Cit. P.38.

والديها. وتنبهها إلى أن هذا المبدأ يُخرق ويُنتهك لو أنها عصتهما، أو لم تبد نحوهما الاحترام والتوقير الواجبين. أما إبداء شيء من البغض أو التذمر أو التلفظ بكلمات نابية، فذلك أمور لن تغفر أبداً. غير أن الطاعة العمياء ليست مطلوبة، فإذا ما ضل الوالدان فإنه يمكن لها أن تحثهما نحو الطريق الصحيح والفعل الحق. وفي جميع الحالات فعصيانهما، وعدم الوفاء نحوهما يقلب موازين الهرمونيا (الانسجام) رأساً على عقب، ويجعل الانسجام الأزلى بين الأجيال منعدماً، وذلك شيء لا يمكن أن تغفره الآلهة ولا الناس<sup>(١)</sup>.

والواقع أن هناك وشائج قريى بين كتاب «فينتس» «الاعتدال عند المرأة» الذى سبق أن تحدثنا عنه، وبين كتاب بركتيونى «هارمونيا النساء» فهما معاً يركزان على الأوضاع الاجتماعية، والأمور الأخلاقية للنساء فى المجتمع. وهما معاً يعترفان بالوضع القائم فى المجتمع، ويجعلانه المصدر الأساسى للإلزام الأخلاقى عند المرأة، فالإنسان يولد فى أسرة لها دين، وفى مدينة لها دستور. وتلك هى العلاقات التى لا سيطرة للمرء عليها، ومع ذلك فهى تصلح كمصدر للواجب تجاه الوالدين، والآلهة، ثم يتزوج الإنسان ويشكل أسرة، ويخلق علاقات جديدة يكون له عليها بعض السيطرة، وها هنا تضاف إليه مسئولية أخلاقية جديدة. وهناك الإلتزامات الأخلاقية والاجتماعية التى تلحق بجميع هذه العلاقات، وهى واجبات على المرء أن يراعيها إذا أراد لهذه العلاقات أن تكون منسجمة، أو إذا شاء أن يحدث الانسجام، وتعم الهرمونيا جميع جوانب المجتمع.

---

1- Ibid P.39.

## ٢ - الشذرة الثانية من «هارمونيا النساء» :

«لابد للمرء أن يتخيل أن المرأة التى يسودها الانسجام، وتحقق عندها الهرمونيا، لابد أن تكون مليئة بالحكمة وضبط النفس، ولابد أن يزداد وعى النفس بالخير حتى تكون امرأة حكيمة شجاعة منصفة تتحلى بامتلاء النفس، وتنفر من الآراء التافهة الفارغة. إن الأشياء القيمة تأتى إلى المرأة من هذا المصدر: من نفسها، ومن زوجها، ومن أولادها، ومن بيتها، وربما أيضا من مدينتها، لو أن مثل هذه المرأة حكمت المدينة أو القبيلة على نحو ما نرى فى المدن الملكية.

وعندما تسيطر المرأة على شهوتها، ومشاعرها العنيفة، سوف تكون امرأة مستقيمة تسودها الهرمونيا، ولن تشدها أية رغبات غير مشروعة، بل سوف تحتفظ بحبها لزوجها ولأولادها ولبيتها بأسره. وعندما تصبح المرأة عشيقة لرجل غريب فإنها تصبح، فى الحال، عدوة لآل بيتها جميعاً، وللطبقات العليا والدنيا فى المجتمع على حد سواء. ومثل هذه المرأة تخلق الأكاذيب، وضروب من الغش والخداع لزوجها حول كل شئ، فى محاولة لتبدو متفوقة وذات إرادة خيرة، ورغم أنها تحب الكسل، فإنها تريد أن تظهر وكأنها تحكم بيتها.

ولابد للمرأة أن تدرب نفسها على المعايير الطبيعية للغذاء، والملابس، والاستحمام، ومسح الجلد بالزيت، وتصفيف شعرها، ووضع زينتها من الذهب والأحجار الكريمة. إن المرأة التى تبالغ فى الطعام، والشراب، وتسرف فى الملابس، والتحلّى بكل زينة، تكون جاهزة لارتكاب الخطيئة، وممارسة كل رذيلة، سواء بالنسبة لفراش

الزوجية، أو بقية الأفعال الخاطئة الأخرى، لكن من الضروري فحسب تخفيف حدة الجوع والعطش حتى لو تم ذلك بأرخص الوسائل، فقد تكتفى فى حالة البرد بثوب خشن، أو حتى بجلد الماعز.

إن ارتداء العباءات الأرجوانية الفاخرة، ذات الألوان الفاقعة، حماقة لا حد لها. لكن فى حالات الجهل البشرى ترى المرأة تسرع إلى العبث والمبالغة. ومن هذه الزاوية لا ينبغى على المرأة التى يسودها الانسجام أن تقيد نفسها بالذهب والأحجار الكريمة الآتية من الهند أو غيرها من البلدان، ولا أن تدهن جسمها بالطيب الآتى من بلاد العرب، ولا أن ترسم وجهها بالأبيض والأحمر، ولا أن تسود حواجبها أو رموشها، أو أن تصبغ شعر رأسها. إن الجمال الذى يأتى من الحكمة، وليس من هذه الأمور، هو الذى يرضى المرأة الأصيلة ويشبعها.

لكن المرأة ينبغى عليها ألا تظن أن نبالة المحتد، أو الثراء، أو القول بأنها أتت من مدينة كبيرة - هى أمور ضرورية أو لازمة لها، أو لأصدقائها، أو للآراء الطيبة من الرجال المرموقين عنها، ولو فعلت ذلك فلن يصيبها أى أذى، وإن لم تفعل فإن روحها لن تسعى إلى ما هو عظيم، إن هذه المسائل فى الواقع تضرها أكثر مما تنفعها، وتجرحها إلى سوء الحظ، وإلى الخيانة، والحسد، وسوء الطوية، ومثل هذه المرأة لن تكون أبداً صافية النفس.

لا بد للمرأة أن تحترم الآلهة، وأن تطيع قوانين الأسلاف وقواعدهم. وبعد احترام الآلهة فإن عليها احترام الوالدين وتوقيرهم، فهما من حيث التأثير، يتساويان مع الآلهة، بالنسبة للنسل.

أما بالنسبة لزوجها فلا بد لها أن تعيش معه حياة مشروعة

ومحترمة، ولا تنظر لأية شئ على أنه خاص، بل عليها أن تحافظ على زواجها، وأن تصونه. وعلى المرأة أن تتحمل ظروف زوجها حتى ولو كان غير موسر، ولو سقط نتيجة للجهل فى عادة الشراب، أو طريح الفراش، أو كان يعاشر نساء أخريات، فإن هذا الخطأ يمكن أن يغفر للرجال، لكنه لا يغفر أبداً للنساء. إن عليها أن تحافظ على القانون، وألا تحسد الرجال على ذلك. كما أن عليها أن تتحمل غضب زوجها أو بخله، أو هفواته، أو ألفاظه التى يتفوه بها أحياناً، أو غيرته، أو شتائمها، أو معاملته السيئة، أو أية صفة أخرى تكون فيه بحكم الطبيعة، إذ يجب عليها أن تكون متحفظة وكتومة، وأن تعالج جميع صفاته بطريقة تسعده، فإذا ما أحببت المرأة زوجها وفعلت ما يرضيه، وعملت على إسعاده، سادت الهرمونيا وتحقق الانسجام... فإذا لم تحبه فإنها لن تجد الأمان لا فى بيتها، ولا لأطفالها، ولا لخدمها، ولا لممتلكاتها، بل ستصبح كما لو كانت العدو الذى يسعى إلى الخراب، بل ربما راحت تصلى للآلهة ليموت زوجها على أساس أنه رجل كريه، ولتجد لنفسها الأعذار لتعاشر رجالاً آخرين... بل إنها سوف تكره كل ما يسعده، ويدخل السرور على قلبه.

لكنى أعتقد أن المرأة يمكن أن تحقق الهرمونيا إذا امتلأت بالحكمة، وأظهرت ضبط النفس، وذلك لن يفيد زوجها فحسب، بل أطفالها أيضاً أو عبيدها، وأقاربها، والبيت بأسره بما فى ذلك الأصدقاء والضيوف - وببساطة سوف تحافظ على بيتها، فلا تسمع ولا تقول إلا ما هو عدل ومتصف. وأن تطيع زوجها فى حياتهما المشتركة، وتمتدح من الأقارب والأصدقاء من يمتدحهم هو، وتفكر فى الأشياء حلوها

ومرّها على نحو ما يفكر - وإلا فسوف تصبح ناشدًا فى علاقتها  
بالكل...».

ونحن فى هذا النص نجد أن بركتيونى - مثل ثيانو الثانية  
وفنتس الاسبرطية - تتخذ - فى النظرية الأخلاقية - منحىً مختلفاً عن  
الفلاسفة الرجال، فهى لا تهتم بالنظريات المثالية، ولا تفحص ما الذى  
ينبغى أن يكون عليه المجتمع، بل إننا نجد الفلسفة الأخلاقية  
عندها مغروزة فى البرجماتية، فهى تسلم أن المجتمع قائم على نحو ما  
هو عليه، وبالتالى تبحث فى الطريقة التى تستطيع بها المرأة أن تحقق

مبدأ الهرمونيا.

### ٣ - برجماتية الأخلاق ... والزوجة المخلصة:

لقد طبقت بركتيوني برجماتيتها الأخلاقية على الخيانة الزوجية بالنسبة للنساء، فهي مثل الفيلسوف الواقعي الذي يذهب إلى أن مفتاح التشريع هو ما تفعله المحاكم بالفعل، فإن بركتيوني تشير إلى الأحكام التي يصدرها المجتمع فعلاً بوصفها قواعد لا بد أن تعيش المرأة الفاضلة طبقاً لها، بالغاً ما بلغت نتائجها التي تعارض تحرر المرأة. فنحن نجد أنها نتجت من مقدمة فلسفية تقول بأنه يجب تطبيق مبدأ الهرمونيا المعيارى على ظروف الحياة البشرية. وعلى الرغم من أن آراءها (وكذلك النساء الفيثاغوريات الأخريات) تعرض دور المرأة على نحو يرفضه معظم المفكرين المعاصرين، فلا بد أن نفهم أن نظرتها هي استجابة برجماتية لمشكلة المسؤولية الأخلاقية في مواجهة الوضع القائم وما فيه من تجاوزات.

### ٤ - الجمال الفيزيقي والفساد الأخلاقي للمرأة:

لا شك أن فى آراء بركتيوني عن المرأة نغمة واضحة تساير أوضاع المرأة التي كانت موجودة فى ذلك الوقت، بمعنى أن تكون تابعة للرجل تماماً ومخلصة له، متبينة آراءه عن العلاقات الاجتماعية بحلولها ومرها. ولهذا نراها تحذر المرأة من أن الإفراط فى العناية بجمالها الفيزيقي - أو جمال الجسد - قد يسهم فى الفساد الأخلاقي عند النساء؛

ذلك لأن الجمال الحقيقي ينبع من الحكمة، لا من الزينة أو الملابس أو المجوهرات، إذ تقف البساطة في معارضة الغرور، والعناية بالمظهر، واللياقة في مقابل الإفراط في المأكّل والملبس. وربما استنتج القارئ من آراء بركتيوني أنها كانت تملك العديد من الجوارى والخدم. والواقع أن النص بأسره يحمل لهجة مألوفة تماماً لمعايير الحياة التي كانت قائمة في ذلك الوقت. ومن ثم كان وقوع المرأة في شبك المظاهر هي الخطوة الأولى نحو الخطيئة، ونحو ارتكاب كل رذيلة. ولهذا كان الاعتدال أو ضبط النفس هما الفضائل التي تسعى إلى تطوير جميع الفضائل الأخرى، وعدم الاعتدال هو الرذيلة التي تفتح الباب - على مصراعيه - أمام جميع الرذائل الأخرى.

## هـ - المثالية في مقابل البرجماتية<sup>(١)</sup>:

لقد كان هدف بركتيوني - في الواقع - كما تكشف عنه الشذرات المتبقية من كتابها هو أن تحدد المطلوب من المرأة في المجتمع القائم بالفعل، لكي يمتدح الناس أخلاقياتها. ولم تستهدف أبداً الكشف عن الدور الذي يمكن أن تقوم به النساء في مجتمع مثالي، أو افتراضي، أو حتى يختلف اختلافاً واسعاً عن المجتمع الموجود فعلاً. وإن كانت قد ذكرت في إشارة عابرة أن الأوضاع يمكن أن تكون مختلفة، فالخيانة

---

١ - هذا التعليق كتبه فيكي لين هاربر Vicki Lynn Harper مترجمة الشذرات المتبقية من كتاب بركتيوني «هارمونيا النساء». راجع مثلاً كتاب «ماري إلين ويث» «تاريخ الفلاسفة من النساء»، المجلد الأول ص ٣٧.

الزوجية يمكن أن تغفر بالنسبة للرجل، لكنها لا يمكن أن تغفر للمرأة أبداً. وها هنا نرى بركتيوني تعلق قائلة: «إنه من الضروري للنساء أن تأخذ بهذا القانون دون أن تحسد الرجال على ما لهم من حرية أعظم». ويتضمن هذا الرأي وصفاً حياً للمعاملات السيئة، التي كان على المرأة أن تتحملها. لكن من الواضح أيضاً أن المجتمع الذي كانت تعيش فيه المؤلفة كان يحد من الطرق التي تستطيع المرأة أن ترضى عن المبدأ المعياري للهرمونيا. ولا تتأمل بركتيوني، نظرياً، ما يمكن أن يكون عليه حال المرأة في مجتمع مفترض أو مثالي، أو حتى يختلف اختلافاً واسعاً عن المجتمع القائم، بل هي بالأحرى تنظر في أوضاع المجتمع الحالي والطريقة التي تستطيع المرأة بواسطتها أن تحقق الانسجام أو الهرمونيا.

## خاتمة:

عرضنا فى هذا الفصل لثلاث نساء هن «إيزارا اللوكانية»، و«فيينتس الاسبرطية»، و«بركتيونى الثانية». ولاشك أن تحليل النصوص أو الشذرات المتبقية يكشف عن أمرين هاميين:

١ - القدرة العقلية على التفلسف، ومحاولة لتطبيق مبدأ الإنسجام الفيثاغورى على الفرد، والأسرة، والمجتمع. كما يكشف لنا عن المرأة الفيثاغورية أو النموذج الحى «للمرأة الفاضلة» التى كانت تعد «المثل الأعلى» للمرأة فى العالم القديم، إذ كان يضرب بها المثل للزوجة المثالية. وهذا واضح من الشذرات التى تتحدث عن اهتمام المرأة بتربية الطفل، وعلاقتها بزوجها، وبالمجتمع بصفة عامة.

٢ - إن النساء الفلاسفة من الفيثاغورية كانوا أكثر واقعية، وأشد إلتصاقاً بمشكلات الحياة، فلا تجد عندهن التحليق النظرى فى عالم المثل، بل الوقوف على أرض الواقع الصلبة، والعناية بالأخلاق العملية مثل: الاعتدال عند المرأة، والقدرة على ضبط النفس، والعفة، والربط بين الجيل الحالى وبقية الأجيال المقبلة، والماضية... إلخ. حتى أننا نجد باحثة مثل مارى إلين ويث تعتبرها نزعة «برجماتية»، فى حين يعتبرها غيرها فلسفة واقعية.

بقى أن نقول أن هذه نماذج من النساء الفلاسفة فى الفيثاغورية،

وليس حصراً لكل النساء فى ذلك الوقت، وإلا ففى استطاعتنا أن نذكر «ثيانو الثانية Theano II» وهى غير «ثيانو الأولى» زوجة فيثاغورس، وقد عاشت فى زمن متأخر، ربما عام ٣٠٠ ق.م (أى بعد ثيانو الأولى بثلاثة قرون) وقد بقى لنا منها عدة رسائل أرسلتها لأم شابة توجهها إلى تربية أطفالها فى غير ترف؛ حتى يشبوا على الفضيلة، والاعتدال عند البلوغ. ومن الطريف أن هناك رسالة ترشد فيها ثيانو الثانية امرأة شابة تدعى كاليسكو Kallisto للطريقة التى تعامل بها عبدها، وهى لا تزال فى بداية زواجها.

غير أن الأطراف من ذلك كله رسالتها إلى امرأة تدعى رودوبى Rhodope للطريقة التى تبدأها بقولها «من ثيانو إلى رودوبى الفيلسوفة..» وهى تسألها فيها عما إذا كانت غاضبة منها لأنها «لم ترسل لها كتاب أفلاطون المسمى بارميندس»!! ومن الخطاب نفهم أنه كانت هناك قراءة لمحاورات أفلاطون، بل «لمحاورات بارميندس»، التى تعتبر من أصعب محاوراته. وهذا يدل مرة أخرى على قدرة عقلية عند المرأة فى العالم القديم... فإذا ما أتيحت لها الفرصة فى العالم الحديث، فإنها سوف تشكل فلسفة كاملة على نحو ما سنعرف فى الكتاب القادم.

هناك أخيراً «بركتيونى الثانية II Perictione» التى ألفت كتاباً عنوانه «عن الحكمة .. sophias» والشذرة المتبقية لنا من هذا الكتاب تبدأ بقولها: «لقد ظهر الجنس البشرى إلى الوجود لكى يتأمل مبدأ طبيعة الكل. إن وظيفة الحكمة هى امتلاك هذا المبدأ، ولكى يتأمل الإنسان الغرض من وجود الأشياء. صحيح أن الهندسة والحساب، وبقيّة

العلوم تدرس الأشياء الموجودة، لكن الحكمة تدرس أجناس الأشياء جميعاً، إذ تتعلق الحكمة بكل ما هو موجود، تماماً كما يتعلق البصر بكل ما هو مرئي، والسمع بكل ما هو مسموع... إن من اختصاص الحكمة أن ترى وتتأمل الخصائص التي تنسب إلى الأشياء على نحو كلي، أما ما يتعلق ببعضها فقط فذلك ما تختص به العلوم الطبيعية... فالحكمة تبحث عن المبادئ الأساسية لكل شيء، في الوقت الذي تبحث فيه العلوم الطبيعية عن مبادئ الأشياء الطبيعية. والهندسة والحساب والموسيقى تختص بالكم وبالهرمونيا.<sup>(١)</sup> وهذه الفقرة الموجزة مليئة بالأفكار الفلسفية، بل وتفرق بين الفلسفة وغيرها من العلوم الجزئية، وفقاً لمجال الدراسة.

---

1 - Mary E. Waithe : Op. Cit. P.55-56.

# الفصل الرابع

«إسبازيا ... معلّمة

الخطابة»

(تُبرهن المرأة على أُمومتها بأن تُرضع صغارها ..  
كذلك تبرهن بلادنا على أُمومتها بأن تنتج  
لأبنائها القمح والشعير...!)



أرشميدس، القبيادس، أنكساجوراس، أفلاطون، إسباسيا، بركلييس، سقراط

بولينوس، ايتكس، أنتستين، سوفكلييس، قيداس

صالون إسباسيا

## أولاً: حياتها

لا نعرف شيئاً عن ميلادها، لكنها ماتت على الأرجح عام ٤٠١ ق. م. وهى مواطنة من ملطية فى أيونيا، وصلت إلى أثينا حوالى عام ٤٥٠، وافتتحت فيها مدرسة لتعليم البلاغة والفلسفة، وأخذت تشجع بجرأة عظيمة - فيما يقول ول ديورانت - خروج النساء من عزلتهن، واختلاطهن بالرجال، وتربيتهن تربية عالية، والتحقّت بمدرستها كثيرات من فتيات الطبقات العليا، وأرسل كثير من الأزواج زوجاتهم ليدرّسن معها<sup>(١)</sup>.

ويبدو أنها كانت تلقى محاضرات كان يستمع إليها الرجال أيضاً، ومن بينهم بركليز، وسقراط، وأكبر الظن أن انكساجوراس نفسه، ويوربيدس، والقبيادس، وفيدياس المثال كانوا يستمعون إليها، أو كانوا يحضرون صالونها الأدبى - كما تدل الصورة التى سوف نتحدث عنها بعد قليل. وحين التقى بركليز بإسبازيا كان قد مضى على زواجه زمن طويل، وكانت هى من ذلك الطراز الذى تحاول خلقه فى بلاد اليونان، طراز النساء اللاتى أصبح لهن - بعد قليل من الوقت - شأن كبير فى الحياة الأثينية<sup>(٢)</sup>.

---

١ - ول ديورانت «قصة الحضارة» المجلد السابع، ترجمة الأستاذ محمد بدران، لجنة التأليف والترجمة والنشر ص ١٨.  
٢ - المرجع السابق ص ١٩.

ويروى «ديورانت» أن بركليز وجد الفرصة سانحة أمامه للارتباط بإسبازيا، «إذ أحببت زوجته رجلاً آخر، فلم يكن منه إلا أن عرض عليها أن تستمتع بحريتها نظير استمتاعه هو بحريته، فرضيت بذلك، وجاء بركليز بإسبازيا إلى بيته، غير أن القانون الذى سنّه بركليز نفسه عام ٤٥١ يحرم على الأثينى الزواج من أجنبية حتى ولو كانت يونانية»<sup>(١)</sup>.

ويروى المؤرخون أن بيتها كان منتدى للشخصيات الكبيرة فى أثينا، حتى أن شعراء الكوميديا كانوا يسمونها «هيرا» أو الإلهة الملكة، زوجة رب الأرباب، على اعتبار أن بركليز هو زيوس نفسه<sup>(٢)</sup>. وكان سقراط يعجب بفصاحتها ويدهش منها ويقول إنها هى التى علمته فن البيان، ويعزو إليها الفضل فى إنشاء الخطبة الجنائزية التى ألقاها بركليز بعد الخسائر الأولى فى حرب البلبونيز. وما لبثت إسبازيا أن أصبحت ملكة أثينا غير المتوجة، تشيع فيها آخر أنماط الحياة الاجتماعية، وعنّها تأخذ نساء المدينة «مثل الحرية العقلية والأخلاقية التى يتطلعن لها، والتى تثير حماسهن»<sup>(٣)</sup>. وكان ذلك كله صدمة قوية لمشاعر المحافظين من الأثينيين، فأخذوا ينددون ببركليز أولاً، ثم بأعضاء الصالون ثانياً، فاتهموا فيدياس باختلاس بعض ما عهد إليه

---

1- James Donaldson: Women: "Her Position and Her Influence in Ancient Greece and Rome", N. Y 1973 P.61.

٢- المرجع السابق نفسه. وانظر أيضاً د. إمام عبد الفتاح إمام «أفلاطون .. والمرأة» ص ٤٠ - ٤١ مكتبة مدبولى بالقاهرة.

٢- ول ديورانت سقصة الحضارة المجلد السابع ص ١٩.

من ذهب لصنع تمثال الإلهة أثينا من الذهب والعاج. ووجهوا إلى أنكساجوراس تهمة تتعلق بالدين، ففر الفيلسوف خارج البلاد أتباعاً لمشورة بركليز. ووجهوا تهمة دينية أخرى إلى إسبازيا نفسها، مضمونها أنها لا تخضع لأوامر الدين، وأنها جهرت بعدم تعظيم آلهة اليونان، وقدمت للمحاكمة ونظرت قضيتها أمام ألف وخمسمائة من القضاة، ودافع عنها بركليز دفاعاً مجيداً استخدم فيه كل ما وهب من بلاغة، وأصدرت المحكمة حكمها بالبراءة<sup>(١)</sup>.

ولقد خلدتها الوثائق التاريخية في عمليين بارزين:

**الأول :** هو محاوراة مينكسينوس . Menexenus لأفلاطون، حيث يقول سقراط: «عندى معلمة ممتازة في البيان (الخطابة). ولقد علمت كثيراً من الخطباء الممتازين، على رأسهم أفضل الخطباء جميعاً إلا وهو بركليز. ولقد سمعت بالأمس أنها دبجت خطاباً جنازياً عن موتانا هو الذي ألقاه بركليز في الحفل الجنازى الشهير. ولقد حفظت منها هذا الخطاب عن ظهر قلب. وكانت هى على استعداد لأن تجلدى بالسياط إن نسيت منه شيئاً»<sup>(٢)</sup>.

**الثانى :** اللوحة الزيتية من الجص البارز الموجودة الآن على بوابة مكتبة جامعة أثينا، واللوحة تصورها فى صحبة سقراط، وفيدياس Phidias الممثل وهو يمسك فى يده بالأزميل،

---

١ - ول ديورانت: المرجع السابق ص ٥. وانظر كتاب مارى إلين ويث: «تاريخ الفلاسفة من النساء» المجلد الأول ص ٧٥.

2 - Plato : Menexenus : 235 C - 136 B.

وسوفكليس، وبركليز قائد حرب البلبونيز، وأفلاطون عندما كان شاباً، وأنتستين، وأنكساجوراس، والقبيادس الوسيم... إلخ. وإن كان من الواضح أن بعض شخصيات هذه اللوحة لا يمكن لهم أن يجتمعوا معاً في وقتٍ واحد. وبعضهم مثل أرشميدس لم يكن قط من بين أعضاء صالون إسبازيا الشهير.

## ثانياً : خطاب بركليز الجنائزى

فى عام ٤٣٢ ق.م. اندلعت الحرب التى نطلق عليها اسم «حرب البلبونيز»، واستمرت مرحلتها الأولى عشر سنوات (٤٣٢ - ٤٤٢ ق.م). وانقسم فيها العالم الإغريقى قسمين: أحدهما: «دورى» تتزعمه اسبرطه. والآخر: تغلب عليه الصفة الأيونية وتقوده أثينا. ولقد قاد بركليز هذه الحرب، ووضع خططها معتمداً على قوة أثينا البحرية، وعلى التجمع خلف «الأسوار الطويلة»<sup>(١)</sup>.

وبعد مرور عام على اندلاع الحرب اجتمع الأثينيون حسب عادتهم، خارج أسوار المدينة: ليستمعوا إلى خطاب جنائزى (مرثية) يعد خصيصاً فى أمثال هذه المناسبات للاحتفال بذكرى الشهداء الذين استشهدوا فى المعركة<sup>(٢)</sup>.

---

١ - اقنع بركليز الجمعية الوطنية فى أثينا بصرف الأموال اللازمة لبناء أسوار لا يقل طولها عن ثمانية أمتار سميت «بالأسوار الطويلة» تصل أثينا وبيريه. ونظرت اسبرطة إلى هذا العمل على أنه عدائى، فسيرت جيشاً هزم الأثينيين عند تنجارا.. Tangara رغم ما أصاب الفريقين من خسائر فادحة. انظر.

- Thucydides: History of the Peloponnesian War, p. 98 Eng. Trans. By Rex Warner, 1954. Penguin Classics.

٢ - قبل الاحتفال بثلاثة أيام يقيم الأثينيون - على نفقة الدولة - خيمة يضعون تحتها عظام الشهداء، وفى أثناء الجنازة توضع العظام فى توابيت مصنوعة من خشب السرو وتحمل على نعش، كما أنهم يحملون نعشاً فارغاً تغطيه سجف ويرمون إلى القتلى من الجنود الذين لم يعثر على جثثهم بعد المعركة. ويسير فى موكب الجنازة من يشاء من الناس سواء أكان مواطناً أم أجنبياً يعيش =

وكان بركليز هو الذى اختارته أثينا، فصعد منبراً عالياً أعدّ خصيصاً كي يسمعه أكبر عدد ممكن من الناس الواقفين بعيداً عن المنبر وقال:

«إن معظم الذين تكلموا فى الماضى فى مثل هذه المناسبة أثنوا ثناء عاطراً على هذه السنة المتبعة فى الاحتفال بدفن الشهداء، على اعتبار أن هذا التكريم للشهداء الذين سقطوا فى ساحة المعركة واجب مقدس. لكن لست أوافق على ذلك؛ فأولئك الذين برهنوا على بسالتهم بالفعل، يكفيهم فخراً فى اعتقادى أن نعلن عن بسالتهم بالفعل أيضاً، كما شاهدتهم فى هذا الاحتفال الجنائزى الذى نظمته الدولة. وهكذا لا يكون تكريمهم وقفاً على فصاحة الخطيب أو عدم فصاحته... سأقول كلمة عن أجدادنا، إذ من المناسب ونحن نقيم ماتماً للشهداء أن نكرم ذكرى السلف. فلم تخل هذه الأرض يوماً من الأبطال الذين استطاعوا بشجاعتهم أن يورثوها لأبنائهم جيلاً بعد جيل... وإن كنت لن أدبج خطاباً عن أشياء تعرفونها...»<sup>(١)</sup> ثم ترك بركليز شهداء المعركة

---

= بينهم. ويوجد القبر الرسمى فى أجمل بقعة خارج الأسوار، وفيه تدفن عظام شهداء الحرب. وعندما يتم دفن بقايا الموتى فى الأرض يقوم رجل مرموق معظم فى أعين الناس تنتخبه المدينة ليلقى خطبة يؤين فيها الشهداء، وبعد ذلك يتفرق الجمهور. وقد اختارت أثينا «بركليز» ليكون خطيب الاحتفال بذكرى الشهداء الأول الذين وقفوا فى ساحة المعركة. - راجع فى ذلك تشارلز الكسندر روبنسن (الابن). «أثينا فى عهد بركليز» ترجمة الدكتور أنيس فريحة مكتبة لبنان عام ١٩٦٦، ص ٧٢ - ٧٣.

1 - Thucydides: History of the Peloponnesian War, 144

وذكرى الأسلاف، وراح يعدد مناقب المواطن الأثيني، ونظام حكمه بشكل عام. قال:

«...إننى أقول إن نظام الحكم عندنا ليس نسخة من المؤسسات السياسية عند جيراننا. فنحن لا نقلد أحداً، بل إننا مثال يحتذى. ودستورنا هو الديمقراطية، لأن نظام الحكم ليس فى أيدي القلة، بل فى يد الشعب كله. وإذا سأل سائل عن الطريقة التى تحسم بها المنازعات الشخصية، لكان من جوابنا أن كل مواطن يتساوى مع غيره أمام القانون. وإذا سأل من جديد عن الطريقة التى يعين بها شخص ما فى منصب رفيع دون غيره، ولاسيما فى مراكز المسئولية العامة، لكان جوابنا: إن ما يوضع فى الاعتبار ليس هو مكانة الطبقة التى ينتمى إليها ذلك الشخص، بل القدرات الفعلية التى يملكها. ولن تجد فرداً يقف بعيداً عن الأضواء فى خدمة الدولة لأنه فقير، فالحياة السياسية عندنا حرة ومفتوحة، وليست احتكاراً أو وقفاً على فئة من الناس. ونحن لا نتدخل فى حياة جيراننا، ولا نغضب منهم إذا ما استمتعوا بحياتهم بالطريقة التى يرتضونها لأنفسهم. ولسنا نذرى الرجل الذى لا يروق لنا طالما كان رجلاً لا ضرر منه<sup>(١)</sup>. ونحن فى حياتنا الخاصة تغلب علينا روح الحرية والتسامح، أما فى المسائل العامة فإننا نحافظ على احترام القانون».

«ونحن نطيع أولئك الذين وضعناهم فى مراكز السلطة كما نطيع القوانين، ولاسيما تلك القوانين التى تحمى المضطهدين والمظلومين.

---

1 - Ibidp,145

والقوانين غير المكتوبة التى يعد انتهاكها عاراً على المواطن».

«وهناك خاصية أخرى: إننا عندما ننتهى من أعمالنا نكون فى وضع يسمح لنا بالاستمتاع بجميع أنواع الترويح عن أنفسنا، فعندنا تنافس فى الألعاب الرياضية والأعياد المنتظمة التى نقدم فيها القرابين طوال العام، كما أننا نجد الجمال فى بيوتنا، والمذاق الجيد الذى يبهجنا كل يوم ويبعد عنا الملل والسأم. وبسبب عظمة مدينتنا ترد إلى أسواقنا ثمار الأرض من كل فج، ومن حقنا - وذلك أمر طبيعى - أن نستمتع بمنتجات البلدان الأخرى كما نستمتع بمنتجاتنا المحلية سواء بسواء».

«إننا نمجد الموهبة أياً كان مجالها؛ لأن التفوق الممتاز هو فى حد ذاته، جدير عندنا بالتمجيد، إننا نحب الجمال فى غير إسراف، ونحب الحكمة - أى نتفلسف - فى غير ضعف أو تخنث، ودون أن تفقدنا شهامة الرجال. إن أحداً منا لا يستسلم لأحد فى أمر يمس استقلاله الروحى وإبداعه المثمر، وإننا لنعتمد على أنفسنا اعتماداً كاملاً».

«أما المال والثراء ننفقهما فى الوجوه الصحيحة، ولا نستخدمهما للمباهاة أو الادعاء الفارغ، ولا نرى عيباً فى الاعتراف بوجود الفقر بين ظهرانينا، إنما العيب الحقيقى هو التقاعس عن محاربة الفقر. والمواطن الأثينى لا يغفل أمر بلاده لأنه يهتم بشئونه الخاصة، بل إن الذين ينخرطون منا فى التجارة تجدهم على علم جيد بشئون بلادهم السياسية، وتلك خاصية أساسية من خواصنا. إننا لا نقول عن الرجل الذى لا يهتم بأمور السياسة إنه يهتم بأموره الخاصة بل إننا نقول إنه لا يهتم بشئ على الإطلاق. إننا نحن الأثينيين نتخذ قراراتنا ونضع خططنا بعد إخضاعها للمناقشات المناسبة؛ لأننا لا نعتقد أن ثمة تناقضاً بين

الأقوال والأفعال، بل إن أسوأ الأمور هو الاندفاع إلى الفعل قبل مناقشة النتائج مناقشة جيدة...<sup>(١)</sup>.

«لابد لي أن أقول - في كلمة واحدة - إن أثينا هي معلمة بلاد اليونان ومدرستها، وإنني لأعلن أن كل فرد من مواطنينا، قادر في كل مناحي الحياة أن يظهر على أنه سيد نفسه أو مالك شخصه، وأهل لمعالجة مختلف الأمور والشئون الطارئة في يسر ولباقة. وليس قولي هذا عبارة تمليها المناسبة، ولا هو قول فيه مداينة، بل إنني أقول الحق وأشير إلى الواقع، والدليل على صدق قولي هو سمو المكانة التي بلغتها الدولة بسبب هذه الفضائل والسجايا التي جئت على ذكرها...».

«لقد أطلت الحديث عن عظمة أثينا؛ لأنني أود أولاً أن أؤكد لكم أن ما نحارب من أجله أثمن جداً مما يحارب من أجله الآخرون؛ ولأبرهن لكم ثانياً لماذا استحق هؤلاء الشهداء مثل هذا التكريم، ومثل هذا الاحتفال الذي أقمناه... إنني بتقريظي لهذه المدينة، والحديث عن فضائلها فإنني أكون قد نوهت بتضحية هؤلاء الشهداء، وأمثالهم من الرجال الذين أقامت المدينة على أساس فضائلهم عزها وسؤدها...»<sup>(٢)</sup>.

حاولنا أن نختصر - قدر المستطاع - هذا الخطاب الجنائزي الطويل الذي ألقاه بركليز في حفل شهداء أثينا، الذين سقطوا في أول عام من أعوام حرب البلبونينز العشر. ولعل أهم

---

1 - Thucydides : Ibid.-147-148

2 - Thucydides: Ibid, P.149.

عناصر الخطاب هي كما يلي:

١ - يبدأ بركليز بامتداح السنة المتبعة في الاحتفال بتكريم الشهداء، لكنه يريد أن يكون في الحفل تكريم للأجداد أيضاً، الذين لم يبخلوا يوماً على الوطن بحياتهم.

٢ - يقوم بركليز، في الواقع بالتركيز أساساً على خصائص «الشخصية الأثينية» الحقّة، فمعظم الخطاب ينصب على صفات المواطن الأثيني، من ناحية، ومناقب أثينا بصفة عامة، من ناحية أخرى.

٣ - بدأ يصف نظام الحكم في أثينا، وهو النظام الديمقراطي، الذي يفخر به المواطن الأثيني، ويعدّه نموذجاً تحتذيه الدول الأخرى. وهو يعنى حكم الشعب لا حكم طبقة ولا جماعة ولا فئة.

٤ - خصائص هذا النظام هي:

أ - كل الأفراد متساوون أمام القانون.

ب - جميع الفرص متاحة أمام الأفراد لاختيار صاحب الكفاءة للمناصب الشاغرة.

ج - لا أهمية للطبقة التي ينتمى إليها الفرد، فليست هي التي تؤهله لشغل المناصب الرفيعة ذات المسؤولية.

د - لا أهمية للثروة، فلا يكون الفرد بعيداً عن الأضواء، أو محروماً من خدمة بلده بسبب فقره.

- هـ - الحياة السياسية خرة ومفتوحة وليست احتكاراً لأحد.
- و - لكل إنسان أن يستمتع بحياته التي يرتضيها لنفسه ما دامت لا تضر الآخرين.
- ز - تغلب على المواطن الأثيني، في حياته الخاصة، روح الحرية والتسامح، وفي المسائل العامة طاعة القانون.
- ٥ - يعود بركليز بعد ذلك إلى الحديث عن «المواطن الأثيني» الذي من خصائصه الاستمتاع والترويح عن النفس بعد عناء العمل.
- ٦ - المواطن الأثيني يمجّد الموهبة ويحب الجمال في غير إسراف، ويحب الحكمة دون أن تفقده شهامة الرجال.
- ٧ - المواطن الأثيني لا يستسلم لأحد في أمر يمس استقلاله الروحي وإبداعه المثمر، وهو يعتمد على نفسه اعتماداً كاملاً.
- ٨ - المواطن الأثيني، حتى إذا انخرط في أعمال تجارية، تراه مُلمّاً إماماً جيداً بشئون بلاده السياسية.
- ٩ - ثم يعود بركليز إلى التفاخر بأثينا معلمة اليونان ومدرستها، وأن ما تحارب من أجله أثينا - وهو الحرية - أثمن كثيراً مما يحارب الآخرون من أجله. ومن هنا جاء فضل الشهداء.
- ونذكر هذه العناصر الأساسية في خطاب بركليز؛ لأننا سوف نجدها تتردد في خطاب إسبازيا الذي يرويهِ سقراط في «محاورة مينكسيونس» لأفلاطون...

### ثالثًا: إسبازيا ... ومحاورة «مينكسيوس»

تدور المحاورة حول «الخطاب الجنائزى» الذى سمعه سقراط من إسبازيا رفيقة «بركليز بن إكزانثيبس... XANTHIPUS»، وهى التى علمته فن الخطابة، كما علمت كثيرين غيره. والخطاب تأبين لشهداء سقطوا فى معركة. ولم يهتم أفلاطون بتحديد هوية المعركة ولا نوع الحرب<sup>(١)</sup>.

وتبدأ المحاورة بمقدمة تنطوى على سخرية من نفاق الخطباء حتى ليخيل إلى المرء أن «التملق والنفاق والمداهنة» هى موضوع محاورة مينكسينوس، وإن كان ذلك لا يظهر إلا فى المقدمة فحسب حيث يقول سقراط ساخراً: «ربما كان من الأفضل للمرء أن يموت فى المعركة؛ لأنه فى هذه الحالة سوف يحظى بجنازة رائعة حتى ولو كان فقيراً، وسوف يمتدحه الناس بكلمات قد لا يستحقها، ويعلن الحكم عن فضائله، سواء أكانت لديه أم لم تكن، حتى يمسى المرء مسحوراً بهذه الكلمات، وقد يتصور نفسه وقد أصبح إنساناً عظيماً، بل أعظم وأسمى وأنبل مما كان يظن! ويستمر معه هذا الشعور بالكرامة ثلاثة أيام (هى مدة الاحتفالات) وقد لا يفيق منه إلا فى اليوم الرابع أو الخامس...»<sup>(٢)</sup>.

---

1 - The Dialogues of Plato, Vol. I Trans. by R. E. Allen, Yale University Press, 1984, P.319.

٢ - أفلاطون: محاورة مينكسينوس ٢٣٥ - أ و ب . وانظر أيضاً الشرح الذى قدم به «الن» لترجمته لهذه المحاورة فى كتاب «محاورات أفلاطون» السالف الذكر ص ٣١٩.

ويكون تعليق مينكسينوس: «إنك تسخر، على الدوام، من الخطباء ياسقراط، وعلى أية حال، فقد اختاروا اليوم خطيباً لهذه المناسبة (وهو بركليز) ولا أظن أن مهمته ستكون سهلة؛ لأن عليه - فيما أظن - أن يرتجل الخطاب...».

ويرد سقراط: إنه لا خوف على بركليز فقد علمته معلمة البيان «إسبازيا» فن الخطابة، وقد أعدت بالفعل الخطاب الجنائزى الذى سوف يلقيه قائد أثينا<sup>(١)</sup>. ولقد سمعته منها بنفسى، بل إننى حفظته عن ظهر قلب، وكانت هى على استعداد لأن تجلدى بالسوط إن نسيت منه شيئاً!<sup>(٢)</sup>.

---

1 - Plato; Menexenus, 236. B.

2 - Ibid, 230. C.

## رابعاً : خطاب «إسبازيا» ... الجنائزى

بعد ذلك يبدأ سقراط فى رواية خطاب إسبازيا الجنائزى تحت إلحاح مينكسينوس، فيقول إنها بدأت الخطاب على نحو ما فعل بركليز فى الخطاب الذى أسلفنا ذكره، فى امتداح هذه السنة الحميدة التى جرت عليها أثينا فى تأبين شهدائها «إن من الضرورى أن يكون هناك تأبين للشهداء، وخطاب يمتدح الأموات الأبطال، وينصح الأحياء خاصة الأخوة والأبناء أن يقلدوا ذويهم من الشهداء...»<sup>(١)</sup>. هكذا بدأت «إسبازيا» خطابها لسقراط، ثم استطردت متسائلة: لكن أى نحو يمكن أن يكون هذا الخطاب؟ وكيف نبدأ مديح هؤلاء الأبطال...؟ يبدو لى أنه من المناسب لطبيعة الأمور أن يمتدحوا خيريتهم، وهم أخيار بالفعل؛ لأنهم انحدروا من أخيار، فتمتدح إذن، نبالة المحتد، وجودة التربية...»<sup>(٢)</sup>.

### ١ - نبالة المحتد:

من حيث ولادة هؤلاء الأبطال، فإن أسلافهم لم يكونوا أجانب، بل كانوا أبناء هذه الأرض الطيبة، عاشوا عليها، وحملتهم وأرضعتهم، وتلقفتهم برعايتها، وكانت أمهم الحقيقة التى يستريحون فى حضنها؛

---

1 - Plato: Menexenus, 236 . D.

2 - Ibid.

ولهذا كان من المناسب أن نبدأ بتمجيد الأرض التي هي الأم، وتلك هي الطريقة المناسبة لتمجيد هؤلاء الأبناء، وهي بلاد جديدة فعلاً بالثناء، وذلك بسبب مناقب أثينا التي لا نمتدحها نحن فحسب، بل يمتدحها الجنس البشري كله، بل إنها لعزيزة حتى على الآلهة<sup>(١)</sup>. فهي كالأم الحانية على أبنائها. فكما أن المرأة تبرهن على أمومتها بأن ترضع صغارها (وليست أما من لا تكون لديها هذا النبع) كذلك تبرهن بلادنا على أمومتها، بأن تنتج لأبنائها القمح والشعير، الذي يحتاج إليه الإنسان في طعامه. وتلك علامة على الأمومة أصدق من أمومة المرأة؛ لأن المرأة في حملها وولادتها تحاكي الأرض وليست الأرض التي تقلد المرأة...»<sup>(٢)</sup>.

## ٢ - جودة التربية:

إن بلادنا التي كانت باستمرار حرة وواحدة، احتضنت أبنائها وربتهم إلى أن أصبحوا رجالاً، ثم منحتهم آلهة ليكونوا لهم حكماء ومعلمين، وهذه الآلهة هي التي نظمت حياتنا، وعلمتنا، وأرشدتنا في فنون حياتنا اليومية.

---

١- هنا نجد إشارة إلى أسطورة النزاع بين الآلهة - ولا سيما الإله بوزيدون إله البحر والإلهة أثينا إلهة الحكمة - على هذه المدينة. وتضيف إسبازيا «كيف يمكن للمدينة (أو الدولة) التي يتنازع حولها الإلهة ألا يمتدحها الجنس البشري بأكمله...؟» محاورة مينكسينوس ٢٣٧ - ج.

2 - Plato: Menexenus: 237 D , 238 , B.

ولد أجدادنا وتعلموا، وشكلوا حكومة لأنفسهم: حكومة حكيمة، وعاقلة للرجال الأخيار. وسمى هذا الشكل من أشكال الحكومة بالحكومة الديمقراطية - لبعض الوقت - وإن كان شكل حكومتنا هو «الأرستقراطية»، لأنه فى الواقع، أفضل نظم الحكم...»<sup>(١)</sup>.

لقد كان الملوك فى تاريخنا القديم يرثون العرش، ثم أصبحوا يعينون بالانتخاب بعد ذلك. وهكذا أصبحت السلطة بأيدى الشعب على وجه الإجمال، فالشعب هو الذى يعين الأفراد الأكفاء لشغل المناصب الشاغرة، كما أنه يعطى الحكم لمن هو أفضل دون أن يستبعد أحد بسبب مولده أو لضعف فى بدنه، أو لفقره، أو ما شابه ذلك من أمور ثانوية. فليس ثمة سوى معيار واحد لتولى الحكم والسلطة، ألا وهو: الفضيلة والحكمة<sup>(٢)</sup>.

«لقد كان شعبنا - على الدوام - يقدر الأعمال الجميلة، العامة منها والخاصة على حدٍ سواء، ويجد أنه من الضرورى أن يقاتل من أجل الحرية: فمن أجلها قاتل الاسبرطيون، كما قاتل البرابرة على حدٍ سواء.

«ولهذا فإننى أؤكد أن أولئك الرجال ليسوا آباءنا فحسب، بل هم آباء الحرية، وآباء حريتنا، وحرىات الذين يقطنون فى هذه القارة كلها.

---

١ - هذا هو رأى أفلاطون الذى كان يعتقد أن الديمقراطية مرادفة للقوضى ولحكم الغوغاء. أما النظام الأمثل للحكم، فى نظره، فهو النظام الأرستقراطى. قارن د. إمام عبد الفتاح إمام «الطاغية: دراسة فلسفية لحسور من الاستبداد السياسى» ص ١٠١ وما بعدها.

٢ - أفلاطون : محاوره مينكسينوس ٢٣٨ ج.

لقد نظر الأثينيون جميعاً إلى ما فعله الأثينيون، وأصبحوا تلاميذاً لأبطال الماراثون Marathon<sup>(١)</sup>، وهكذا أصبح الجنود الأثينيون في سهل الماراثون، كالبحارة في سلاميس Salamis<sup>(٢)</sup>، أساتذة في الفنون العسكرية لهيلاس كلها<sup>(٣)</sup>.

وما يمكن أن يعيبه شخص ما - في رأي إسبازيا - على مدينتنا، أو يوجه إليها الاتهام - شيء واحد فقط، أو اتهام واحد فحسب هو: أنها كانت رحيمة وشفوقة أكثر مما ينبغي، وأنها تقف بجوار الضعيف، وتساعد أكثر مما ينبغي، وأنها لا تستطيع أن تنفض يدها عن مساعدة من أضرها حينما تراه مستعبداً، بل وأن تخفف عنه آلامه. ولقد ساعدت أثينا اليونانيين وحررتهم من العبودية، ولقد ظلوا أحراراً بعد ذلك إلى أن قاموا باستعباد أنفسهم<sup>(٤)</sup>.

تلك هي الخطوط الرئيسية في الخطاب الجنائزي الذي ذكره

---

١ - الماراثون Marathon : سهل في الجزء الشرقي من وسط بلاد اليونان على بعد ٣٩ كم إلى الشمال الشرقي من أثينا. فيه هزم الأثينيون (سبتمبر ٤٩٠ ق.م) القوات الغازية، وأرسلوا أحد الجنود يعدو إلى أثينا ليبلغهم نبأ النصر، وظل يجرى إلى أن وصل وأبلغهم، ثم سقط ميتاً! وكانوا يحتفلون كل عام «بسباق الجري» باسم سباق الماراثون تخليداً لذكرى ذلك الجندي البطل!

٢ - سلاميس Salamis : جزيرة تقع على خليج سارونيك إلى الغرب من العاصمة أثينا. دارت على مقربة منها عام ٤٨٠ ق.م. - المعركة الحاسمة التي أعلنت انتصار اليونان نهائياً على الفرس.

٣ - أفلاطون : محاورة مينكسينوس ٢٤١ - (أ) و (ب).

٤ - أفلاطون : محاورة مينكسينوس ٢٤٥ أ.

سقراط فى «محاورة مينكسينوس» على لسان «إسبازيا»، ومن الواضح أن النظرة العجلى تلاحظ التشابه القوى بين هذا الخطاب وبين خطاب بركليز الذى سبق لنا أن أوردنا أهم عناصره. مما يؤكد قول سقراط بأن إسبازيا كانت معلمة فن الخطابة لبركليز ولغيره من خطباء أثينا.

## خامساً: حجتان ضد «مينكسينوس»

لكن هناك مشكلتين يثيرهما بعض الباحثين على النحو التالي:

المشكلة الأولى: إن هذا الخطاب الذى أورده سقراط على لسان إسبازيا ليست له أهمية فلسفية؛ فهو مجرد ضرب من البلاغة، أو البيان، أو الفصاحة اللغوية دون أن ينطوى على أية أفكار فلسفية بالمعنى الدقيق لهذا اللفظ.

المشكلة الثانية: أنه على الرغم من أن أفلاطون هو الذى كتب محاورة مينكسينوس، وعلى الرغم من أن وجهة النظر التى نسبها إلى إسبازيا صحيح، وهى خاصة بها فعلاً، فإن أفلاطون كان يسخر من الخطابة والخطباء، حتى أن المحاورة بأسرها يمكن أن تعد - فى نظر البعض - قطعة من أدب «السخرية والتهكم»، ومن ثم فإن أفلاطون لم يكن جاداً عندما كتب هذه المحاورة!

أما بالنسبة للمشكلة الأولى فإن أصحاب رأى الذى يقول إن الخطاب ليست له أهمية فلسفية - مطالبون بالرد على الأسئلة الآتية:-

١ - كيف يتفق ذلك مع القول بأن أفلاطون هو صاحب المحاورة؟  
وبعبارة أخرى: كيف نفسر كتابة أفلاطون لهذه المحاورة رغم طابعها اللافلسفى الظاهر؟ كيف يمكن أن نقول إن هذه المحاورة هى العمل الوحيد «اللافلسفى» لأفلاطون؟ وكيف تستقيم مع بقية محاوراته...؟

٢ - ومن ناحية أخرى ألم يكن «فن الخطابة» فرعاً من الفلسفة؟

ألم يفرق أفلاطون نفسه فى محاورة جورجياس بين نوعين من الخطابة أحدهما يعتمد على النفاق والتملق وهو نوع ردىء ومرفوض، والآخر وحده جميل ومطلوب وهو الذى يعمل على جعل نفوس المواطنين أفضل..(١).

٣ - ألم يكتب أرسطو كتاباً مستقلاً عن الخطابة، ويشير فيه بالفعل إلى «الخطاب الجنائزى» الذى ذكره سقراط على لسان إسبازيا ليقول بعد ذلك - فى لمحة ذكية بارعة - : «ليس من الصعب أن نمتدح الأثينيين ونحن بين ظهرانيهم .. لكن المشكلة حقاً أن نمتدح الأثينى فى اسبرطة»(٢). عدوة أثينا اللدود! ومن المحتمل أن أرسطو كان يقرر صدق محاورة مينكسينوس، كما أنه كان يتابع تراث الأكاديمية المبكر، وهو يزودنا بمفتاح لتفسير المحاورة... (٣).

٤ - ألم تكن الخطابة من بين المجموعة الثلاثية ... Trivium - طوال العصور الوسطى - التى كانت تضم فقه اللغة، والخطابة، والمنطق، وكانت تسمى «بالعلوم العقلية»؛ لأنها تتناول أفعال العقل - ما يدل على الوضع «العقلى» - ومن ثم الفلسفى - للخطابة عند اليونان وفى العصور الوسطى؟!

---

1 - Plato : Gorgias 503 , A.

٢ - أرسطو «الخطابة» ترجمة د. عبد الرحمن بدوى - دار الشئون الثقافية العامة - بغداد عام ١٩٨٦ ص ٦٧.

3- The Dialogues of Plato Trans. by R. E. Allen: P. 319.

والمشكلة الثانية : هى أن أفلاطون لم يكن جاداً، بل إن محاوره مينكسينوس ليست سوى قطعة من أدب السخرية والتهكم. فالخطابة فى عصر أفلاطون بصفة خاصة كانت جزءاً من الفلسفة السوفسطائية. ولم تكن شخصية إسبازيا شخصية أدبية أو خرافية خلقها أفلاطون، بل إن العكس هو الصحيح، فقد تمتعت هذه المرأة بشهرة عريضة؛ ولهذا فإن الأدنى إلى الصواب أن نقول إن أفلاطون كان يضع فى ذهنه إسبازيا معلمة الخطابة السوفسطائية، وإنها ساهمت مع غيرها فى نمو الحركة السوفسطائية، كما أسهمت إسهامات ملحوظة فى تطور فن الخطابة، وإنها كانت رسولاً لهذا الفكر الجديد الذى كان يعتقد أفلاطون أن له نتائج سلبية على أثينا....».

ومعنى ذلك أن «محاوره مينكسينوس» كتبت لنقد إسبازيا السوفسطائية، وللسخرية مما تقول، والتهكم من فن الخطابة حتى مع اعتراف أفلاطون أن هذا الفن فرع من الفلسفة، ومع تسليمه بأن إسبازيا فيلسوفة، لكنها فيلسوفة سوفسطائية تستحق التهكم والنقد كغيرها من السوفسطائيين فى عصره. وعلى الرغم من أننا فى هذه الحالة نكون قد وصلنا إلى النتيجة التى نريد إثباتها، وهى قدرة «إسبازيا» - والمرأة بصفة عامة - على التفلسف حتى بغض النظر عن نوع هذه الفلسفة، فإننا نود أن نقف قليلاً عند «النتائج السلبية» التى كانت فى ذهن أفلاطون.

## سادساً: إسبازيا ...

### وحركة الخطابة السوفسطائية

ما هي النتائج السلبية التي كانت في ذهن أفلاطون عندما أراد نقد حركة الخطابة السوفسطائية ... ١٩

لا شك أن أفلاطون كان في ذهنه، عندما كتب محاوره «مينكسينوس» - الانتقادات التي سوف يوجهها بعد ذلك إلى النظام الديمقراطي في محاوره «الجمهورية». ولقد سبق أن رأيناه يجعل النظام الأرستقراطي هو الأفضل - حتى على لسان إسبازيا زوجة بركليز رائد الديمقراطية الأثينية. ولا شك أيضاً أن كراهية أفلاطون للديمقراطية جاءت في أنه تصورهما ضرباً من الفوضى يكون فيه الإنسان حراً لا يقيده قيد، ولا يخضع لسيد ... إلخ<sup>(١)</sup>. ففي الكتاب الثامن من «الجمهورية» يعتقد أن سمة الديمقراطية الإفراط في كل شيء: في الحرية الفاسدة، والمساواة الفاسدة: «إن يغدو العبيد الذين يشتركون بالمال متساويين في حريتهم مع ملاكهم الذين اشتروهم»<sup>(٢)</sup>. وفي محاوره القوانين يقول: «إن الحرية التامة والمطلقة من قيود جميع أنواع السلطة هي شيء أسوأ بكثير من الخضوع لحاكم محدود

---

١ - د. إمام عبد الفتاح إمام: «الطاغية: دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسي» ص ١٠٦.

٢ - أفلاطون: محاوره «الجمهورية» ٥٦٣ (قارن ترجمة د. فؤاد زكريا ص ٤٨٤-٤٨٥).

القوى...<sup>(١)</sup>. فليس ثمة تحرر كامل من كل نوع من أنواع السلطة.  
لكن ما علاقة ذلك بإسبازيا؟ وماذا نقول فى أمر إسبازيا معلمة  
فن الخطابة...؟

نقول إن أفلاطون تعلم منها الكثير من «فن الخطابة» على نحو ما  
تعلم سقراط. ولكن ربما كان ما تعلمه أفلاطون هو الأضرار أو الآثار  
السيئة التى ينطوى عليها فن الخطابة كفرع من أفرع الفلسفة؛ ذلك لأن  
الفلسفة عنده نظام من المعرفة يسعى للكشف عن الحقيقة. كما يسعى  
لتنوير أذهان الناس، لكن الفلسفة، من ناحية أخرى، لديها القدرة على  
إقناع الناس بأشياء غير صحيحة، أو قل إن لديها القدرة على طمس  
الحقيقة ولاسيما إذا لم يكن المستمع على قدر كاف من الذكاء - مثل  
سقراط أو أفلاطون - يمكنه من اكتشاف ذلك، ومن هنا تأتى أهمية نقد  
«الخطاب الجنائزى» الذى حفظه سقراط عن إسبازيا، وما فيه من  
ادعاءات وتزييف للتاريخ، وألوان من البلاغة تدغدغ مشاعر الناس بغير  
حق. ولعل هذا هو ما جعل أفلاطون يبدأ المحاوراة بافتتاحية تنطوى  
على سخرية من نفاق الخطباء الذين يمتدحون المواطن بخلال ليست  
فيه حتى «يُمسى مسحوراً بهذه الكلمات» وقد يتصور نفسه وقد أصبح  
إنساناً عظيماً!

ومن هنا فإننا نستطيع أن نقول إن ما حفظه سقراط هو «فن  
الخطابة السوفسطائية» وذلك يعنى قوة التأثير فى الجماهير، والحديث  
فى أمور من شأنها أن تجعل الشعب ينخدع فيظن فى نفسه شيئاً آخر

---

١ - أفلاطون : محاوراة القوانين ٦٩٨ - أ.

غير ما يعرف!

إننا إذا ما وضعنا في أذهاننا صورة أثينا عام ٣٨٦ ق. م، فلا ينبغي علينا أن نقول إن هذا «التشوية للتاريخ» نابع من تعظيم الديمقراطية الأثينية؛ فقد أدان الأثينيون أنفسهم هذه الديمقراطية. غير أن الموضوع الأول الذي ينبغي إدانته - وهو المصدر الرئيسي للخاطبة - هو إسبازيا: هذه الأيونية «المستنيرة» التي كانت العضو النسائي الوحيد في حلقة بركليز...<sup>(١)</sup>. على ما يقول أحد أنصار هذه الوجهة من النظر: إدmond Bloedow بلودو.

---

1 - Quoted by Mary Ellen Waither: Op. Cit. P.79.

## الخاتمة:

إننا إذا ما أخذنا بوجهة النظر التى تقول إن أفلاطون كتب محاوره «مينكسينوس» للسخرية والتهكم من إسبازيا، وما تمثله من فن الخطابة السوفسطائى - وهذا أمر جائز - فسوف يترتب على ذلك عدة أمور هامة على النحو التالى:

- ١ - سوف يعنى ذلك بوضوح أن إسبازيا كانت واحدة من المثقفين اللامعين، والمفكرين المؤثرين فى حياة أثينا، وأنها صاحبة عقل لماح فى الموضوعات السياسية التى تهم الشعب، فضلاً عن اهتمامها بفن الخطابة.
- ٢ - إن معنى ذلك أن نأخذ بجدية واقعة أنها تعاونت مع بركليز فى كتابة خطابه الجنائزى الشهير.
- ٣ - إن إسبازيا كانت فى ذلك الوقت فى مركز الحلقة الفلسفية السوفسطائية، وهى حلقة كرسست نفسها لتحليل البيان وشرح وكتابة فن الخطابة.
- ٤ - معناه أيضاً أن أفلاطون نظر إليها على أنها مصدر تهديد، وليس تهديداً شخصياً، بل تهديد سياسى وعقلى فى الحياة الثقافية الأثينية.
- ٥ - يبدو أن أفلاطون اعتبرها ممثلة لسوء استخدام الفلسفة، بل وسوء استخدام الحكمة والحقيقة من خلال سيطرتها على البيان، وموهبتها فى فن الخطابة.

٦ - يبدو أن تهمة الإلحاد التي وجهت إليها، والتي حوكت بسببها أمام ألف وخمسمائة من القضاة - كانت دليلاً آخر على أن الآخرين كانوا يعتبرونها أيضاً مصدراً تهديداً، يضاف إلى ذلك تخليد ذكرها في لوحة الجص المرسومة على بوابة مكتبة الجامعة، والتي تدل على تقدير الأثنيين لها كمفكرة أثينية في دولة المدينة.



## الفصل الخامس

«ديوتيما... معلّمة سقراط!»

(من أجل هذا، يا ديوتيما، سعيْتُ إليك، فأنا في

حاجة إلى معلّم، فخبّريني بالله عليك...)

سقراط: المأدبة ٣٠٧

## أولاً : تمهيد

إسبازيا - التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق - وديوتيم Dio-tima التى سنتحدث عنها فى الفصل الحالى، هما المرأتان الوحيدتان اللتان ذكرتا على أنهما فيلسوفتان فى المحاورات السقراطية. لكن - لسوء الطالع - أثير حولهما غبار كثيف لإبعاد خاصية التفلسف عنهما (وربما لتأكيد النقص فى القدرة العقلية عند المرأة بصفة عامة) - الأولى بسبب دورها فى تأليف «الخطاب الجنائزى» الذى دارت حوله محاورة «مينكسينوس» لأفلاطون، فقد نظر إليها على أنها مثل على التهكم السقراطى، والمزاج الساخر عند أفلاطون.

أما الثانية فقد قيل إنها مجرد شخصية خرافية ابتكرها أفلاطون بخياله الأدبى، وعرضها فى محاورة «المأدبة» على أنها هى التى لقنت سقراط «فن الحب».

ومن ناحية أخرى هناك رواية تاريخية تقول إنها كانت تعمل كاهنة «مانتينيا .. Mantinea»، وإنها عاشت حوالى عام ٤٠٠ ق.م. وإنها زارت أثينا زمن الطاعون، وإن لقاءها مع سقراط تم فى الأعم الأغلب أثناء هذه الزيارة، وهناك شواهد من التاريخ ومن الآثار على أن «ديوتيم» شخصية حقيقية وليست خرافية كما يقول الفريق الأول.

وسوف نبدأ الحديث عن محاورة «المأدبة» لأفلاطون.

## ثانياً: مآدبة «أجاثون»

أما المآدبة فهي حفل أقامه الشاعر التراجيديد أجاثون .. Aga-  
thon حوالي عام ٤١٦ ق. م، بمناسبة فوزه بالجائزة عن أول «مأساة»  
له، وقد أقامها في اليوم التالي للاحتفال التقليدي مع الشعراء  
والممثلين<sup>(١)</sup>. وهي لهذا السبب كثيراً ما تسمى «مآدبة أجاثون».

وبعد أن تناول الحاضرون الطعام اقترح «أريكسماخوس ..  
Eryximachus» أن يتحدثوا في موضوع «الحب»، فوافق الجميع  
على اقتراحه، ودعوا «فايدروس .. Phaedrus» أن يبدأ الحديث  
فاستهل حديثه بأن وصف الحب بأنه إله عظيم مقرر بين الآلهة والناس  
جميعاً، ولأسباب كثيرة.

ثم عقب «بوزنياس .. Pausanias» - وهو شاعر شديد  
التعلق بأجاثون فذهب - إلى أن الحب ذو طبائع مختلفة منها النبيل،  
ومنها الخسيس. وهو يرجع ذلك إلى «أن هناك شخصيتين لأفروديت:  
الأولى: أفروديت السماوية التي يرتبط بها الحب الرفيع النبيل. والثانية:  
أفروديت العامية الأرضية التي يرتبط بها الحب الوضع والخسيس. فلو  
كان ثمة أفروديت واحدة لجاز أن يكون ثمة جنس واحد للحب..»<sup>(٢)</sup>.

ثم تحدث «أريكسماخوس .. Eryximachus»، الطبيب، فوافق

---

١ - أفلاطون : المآدبة ١٧٣ - أ.

٢ - المرجع نفسه ١٨٠ - د.

على أن وجود نوعين من الحب: النبيل السماوى، والخسيس الدنى، مع بعض التعديلات، فهو يرتب فصول السنة بحيث يظهر تأثير الحب بنوعيه، فإذا تغلب الأول نما الإنسان والحيوان وازدهر الزرع والضرع. وإذا ما سيطر الثانى عمَّ البلاء، وجاء دور القحط والجذب، وشاعت الأوبئة، وتفشت الأمراض<sup>(١)</sup>.

ثم جاء دور الشاعر الكبير «أرستوفان Aristophanes» الذى ذهب إلى أن الآلهة فى البداية خلقت الرجل والمرأة موجوداً واحداً له من الأيدي أربع، ومن الأرجل كذلك. وله وجهان متشابهان، ورأس يدور فى جميع الاتجاهات، وله أربع آذان. وكان هذا هو المخلوق الغريب بالغ القوة، يجرى بسرعة رهيبة، ويمشى إلى الوراء وإلى الأمام كما يشاء... إلخ. باختصار: كان مخيفاً حتى ركبه الغرور، فحاول أن يرقى إلى السماء، فشطرته الآلهة شطرين حتى تضعف من قوته وتخفف من غروره. وعقب شطر الإنسان الأول شطرين إلى رجل وامرأة، أخذ كل شطر يبحث عن شطره الآخر، فإذا ما التقى به تعانقاً بقوة، لكنهما يريدان أن يعودا كائناً واحداً كما كانا من قبل!

ثم تحدث الشاعر «أجاثون .. Agathon»، فرأى أن الحب أصغر الآلهة<sup>(٢)</sup>، وهو مرهف الحس، رقيق الشعور، لا يحتمل الشدة ولا يطيق

---

١- أفلاطون : المأدبة ١٨٨ - ١.

٢- يصورونه فى الأساطير اليونانية فى صورة غلام مجنح يحمل قوساً ونشاباً، أو طفل عابث يسدد سهام الحب إلى الشباب والعذارى. وهو عند اليونان .. Eros ، وعند الرومان كيوبيد .. Cupid . د. إمام عبد الفتاح إمام «معجم ديانات وأساطير العالم» المجلد الأول ص ٢٧٦ - مكتبة مديولى بالقاهرة.

المكروه. ولهذا نراه يحيا فى أرواح الناس وقلوبهم. فإن وجد فيها غلظة  
نفر منها، وابتعد عنها؛ لأنه لا يطيب له العيش والمقام إلا حيث يجد  
اللين، والرقّة، والدعة، والخضوع، كما أنه يتحلّى بالعفة، وضبط  
النفس<sup>(١)</sup>.

---

١- أفلاطون : المادية ١٩٥ - ١٩٦.

### ثالثاً: ديوتيميا ... Diotima

عندما نصل إلى حديث سقراط عن «ديوتيميا» فإننا نصل في الواقع إلى أصعب أجزاء «محاورة المأدبة» - فيما يقول ستانلي روزن - S. Rosen في دراسته الضخمة عن هذه المحاورة<sup>(١)</sup>. فقد كانت الأحاديث السابقة كلها - ابتداءً من حديث «أريكسماغوس» و«فايدروس»، وانتهاءً بحديث «أجاثون» - تمهيداً لحديث سقراط عن «الحب»، وهو المحور الذي تدور حوله المحاورة. وجاء حديثه على صورة حوار بينه وبين «ديوتيميا»، وهي كاهنة من مدينة، مانتينيا Mantinea...، في منطقة البلبونيز، ويقول سقراط إن الأثينيين يعرفون هذه الكاهنة جيداً، فهي التي استطاعت أن تدفع عنهم مرض الطاعون عشر سنوات كاملة<sup>(٢)</sup>. ويذهب عالم اللغة المرموق «ولتر كراتس ... Walther Kranz إلى أن «ديوتيميا» تلقت دعوة لمساعدة أثينا في حمايتها من وباء الطاعون الذي سبق حرب البلبونيز بعشر سنوات. كما يذهب المؤرخ اليوناني «ثيوكديدز .. Thucydides» إلى أن النبوءات قد أجمعت على قرب وقوع ويلات الحرب والمرض. وفي مثل هذه الظروف العصيبة لا نستبعد أن تستعين دولة المدينة في أثينا بكاهنة من مكان آخر لمواجهة هذه المحن. ومن ثم فمن المرجح جداً أن «كاهنة مانتينيا» كانت موجودة في هذه الفترة (أي حوالي عام

---

1 - Stanley Rosen: Plato's symposium, P.197, Yale University 1987.

٢ - أفلاطون : المأدبة ٢٠١ - حـ.

٤٤٠ ق. م)، وأنها التقت حينئذٍ بسقراط الشاب<sup>(١)</sup>.

وليس ذلك اللقاء غريباً، ولا شاذاً، إذ يروى لنا المؤرخون أن سقراط الذى كان يحبس زوجته فى المنزل، ويحتقر عقلها وتفكيرها، كان فى الوقت نفسه يسعى للقاء النساء المثقفات يعلمهن أحياناً، ويتعلم منهن فى كثير من الحالات. فأفلاطون، وزينوفون، وغيرهما، يرويان أنه كان يسعى إلى إسبازيا رفيقة بركليز التى تحدثنا عنها فى الفصل السابق، وهى أيضاً كانت امرأة أجنبية جاءت من مدينة ملطية، واستقرت فى أثينا حتى أصبحت رفيقة لأعظم السياسيين فى تاريخها، ألا وهو: بركليز...<sup>(٢)</sup>.

كما أن زينوفون .. Xenophon يروى فى مذكراته أنه «عندما سمع سقراط عن امرأة جميلة فى المدينة تستقبل الأصدقاء، وأن جمال هذه المرأة يفوق الوصف حتى أن المصورين يذهبون لرسمها – قال لأصحابه: «ينبغى علينا أن نذهب لرؤيتها، إذ لا يمكن أن نفهمها جيداً لمجرد الاستماع لما يرويه الآخرون». وذهب إلى منزل ثيودوتا ... Theodota ورأها وهى ترسم، وأعجب بجمالها الفتان ... وسألها فيلسوف أثينا الأكبر: من أين لك المال الذى تنفقين؟ أليس لديك ممتلكات: منزل يدر عليك دخل أو عبيد ... إلخ. فأجابت بأنها تعتمد فى دخلها على الأصدقاء الكرماء ... إلخ، فراح يناقشها فى أساليب الحياة وقيمتها

---

1- Mary Ellen Waithe: A History of Women Philosophers, Vol 1., P.108

٢- د. إمام عبد الفتاح إمام: «أفلاطون .. والمرأة» ص ٤٠ مكتبة مدبولى بالقاهرة (العدد الأول من سلسلة «الفيلسوف .. والمرأة»).

.. إلخ<sup>(١)</sup> ، والمهم عندنا الآن أنه إذا كان من الثابت - تاريخياً - أن سقراط بمجرد أن سمع عن «ثيودوتا» الجميلة ذهب للقائها، مع أنها من الغوانى أو السرارى، أليس الأقرب إلى المنطق أن يهتم أكثر ببقاء «ديوتيميا» كاهنة مانتيينيا إذا سمع عن وجودها فى أثينا...؟ ولا سيما وأن لسقراط تاريخاً طويلاً فى الإصغاء لصوت الوحى الشخصى، حتى اشتهر بأن له «شيطاناً خاصاً»، أو «روحاً داخلية... Daemon»، خاصة - يستشير، وكان يعتبره إشارة من السماء. وفضلاً عن ذلك فقد استشار سقراط بالفعل الكثير من الكاهنات. وهذا واضح فيما يرويه أفلاطون على لسانه فى «محاورة الدفاع»: «كان شريفون Cha-rerephon صديقى منذ عهد الصبا قد سأل كاهنة دلفى لتنبئه من هو أحكم منى، فأجابت: ليس بين الرجال من يفضلنا حكمة...»<sup>(٢)</sup>.

وفى محاورة «المأدبة» يأتى الخادم الذى ذهب فى طلب سقراط - ليقول للحاضرين: «إن سقراط واقف فى رواق مجاور غير ملق بالاً لأحد، ولم يستمع لندائى...»<sup>(٣)</sup>. كما أنه يصف حديث ديوتيميا - فى المحاورة نفسها - بأنه «حديث يقطر حكمة..»، ويقول لها «لعلك بلغت من الحكمة غايتها...»<sup>(٤)</sup>، وعندما تطرح عليه سؤالاً تكون إجابته: «لو كنت أستطيع، يا ديوتيميا، الجواب، ما أعجبت بحكمتك كل هذا الإعجاب،

---

1- Xenophon: Memorabilia of Socrates Book III, ch XI.

٢ - أفلاطون: محاورة الدفاع ٢١ ح - وانظر أيضاً محاورات أفلاطون ترجمة د. زكى نجيب محمود ص ٥١ لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة عام ١٩٦٦.

٣ - أفلاطون: المأدبة ١٧٥ أ.

٤ - المرجع نفسه ٢٠٨.

وما كنت أقف منك موقف التلميذ من الأستاذ لأقتبس منك، وأتلقى عنك معرفة الحب...»<sup>(١)</sup>.

ذلك كله يجعلنا نرجح أن لقاء سقراط و«ديوتيماتا» كان حقيقياً، وليس مجرد قصة اختلقها أفلاطون. لكن ذلك يطرح سؤالاً أسبق: أيدل ذلك على أن «ديوتيماتا» كانت شخصية حقيقية واقعية وليست مجرد شخصية وهمية، أو خرافية خلقها أفلاطون بخياله الأدبي، ولا سيما وأنه كان أديبا موهوباً؟..!

---

١ - المادبة ٢٠٦ ب. (وانظر أيضاً الترجمة العربية بقلم وليم الميرى ص ٦٤ دار المعارف بالقاهرة).

## رابعاً: ديوتيميا ... شخصية خرافية!

عندما جاء دور سقراط للحديث عن الحب فى محاوره «المأدبة»

قال:

«سأروى لكم حديثاً عن الحب سمعته من امرأة من مانتينا ..

Mantinea اسمها «ديوتيميا» وهى صاحبة أعمال جليلة ... إلخ»<sup>(١)</sup>.

فهل كانت هذه المرأة شخصية حقيقية تعلم عنها سقراط «فن

الحب» كما يقول، أم أنها شخصية أسطورية خيالية ابتكرها ذهن

أفلاطون؟ من الأهمية بمكان أن نجيب عن هذا السؤال، وأن ندرس هذه

المشكلة قبل أن نعرض لفلسفة «ديوتيميا».

سوف نبدأ أولاً بعرض الحجج التى يرى أصحابها أنها تؤيد بقوة

القول بأن «ديوتيميا» ليست شخصية تاريخية حقيقية، وإنما هى

شخصية خرافية. وهذه الحجج تتلخص فى النقاط الآتية:-

١ - ليس من طبيعة أفلاطون الزوج بامرأة لتقوم بدور رئيسى فى

الحوار، كما فعل مع ديوتيميا فى محاوره «المأدبة».

٢ - لا يمكن أن نأخذ ما يقوله سقراط مأخذ الجد، فهو لم يتعلم

شيئاً قط من أية امرأة، والأرجح أن تكون أراء «ديوتيميا» هى

نفسها أراء سقراط.

---

١ - أفلاطون : المأدبة ٢٠١ - ١.

٣ - لابد أن ننظر إلى محاورة المأدبة على أنها نموذج رائع لمواهب أفلاطون الأدبية بوصفه «روائياً»، وذلك يعنى أن شخصية «ديوتيميا» خلقها أفلاطون الأديب، واختفى وراءها ليقول ما يريد.

٤ - ليس هناك ذكر لشخصية «ديوتيميا» فى المصادر القديمة يمكن أن نرجع إليه سوى محاورة «المأدبة» .

٥ - ربما كانت شخصية «ديوتيميا» من خلق سقراط نفسه، أو أن تكون نموذجاً آخر «لتهكم سقراط الشهير» ! فسقراط عندما يصف «ديوتيميا» بأنها «كاهنة» وصاحبة أعمال جليلة، استطاعت أن تدفع الطاعون عن الأثينيين عشر سنوات<sup>(١)</sup> - لم يكن سوى تهكم، أعنى أننا لابد أن نفهم ذلك كله، على أنه ضرب من السخرية، ولون من التهكم السقراطى الشهير. فسقراط المتهم العظيم كان يؤمن بأراء «ديوتيميا» عندما كان شاباً، ثم تولى عنها فى مرحلة النضج، ومن هنا فقد أراد - بضرب من التهكم - أن ينسب أراءه المبكرة إلى شخصية أخرى!

---

١ - أفلاطون : المأدبة ٢٠١ - ١.

## خامساً: ديوتيميا ... شخصية حقيقية!

الحجج السابقة هي التي يدعم بها أصحاب الفكرة القائلة بأن «ديوتيميا» شخصية خرافية - موقفهم، وينتهون منها إلى نتيجة هامة هي أنه ليس ثمة امرأة بهذا الاسم، وبالتالي فإن ما قيل من أراء في فلسفة الحب إما أنها كانت لسقراط في شبابه، أو هي أراء أفلاطون.

ويذهب الفيلسوف الأفلاطوني أ. تيلور .. A.E. Taylor (١٨ - ١٩٤٥) إلى القول بأن سقراط أراد في الواقع، أن يحول الحديث نفسه إلى جدل أو حوار أو فكر أصيل، بأن يضعه على لسان امرأة اسمها «ديوتيميا» - وهي كاهنة من مانتينيا .. Mantinea - وهو يروى مسار السؤال والجواب الذي دار بينه وبين هذه الكاهنة، وهو الحوار الذي فتحت فيه عينيه ليفهم الأسرار الحقيقية للحب<sup>(١)</sup>.

ويستطرد «تيلور» ليرد على فكرة «ديوتيميا» «الشخصية الخرافية» التي خلقها خيال أفلاطون الأديب فيقول: «ومن ناحية أخرى، ليس في استطاعتي أن أتفق مع كثير من الباحثين المحدثين الذين ينظرون إلى «ديوتيميا» على أنها شخصية خرافية؛ ذلك لأن إدخال شخصيات خرافية أو أسماء وهمية في المحاوراة هو - في رأيي - حيلة أدبية كانت مجهولة تماماً لأفلاطون - كما سبق أن ذكرنا في فصل سابق...»<sup>(٢)</sup>.

---

1 - A.E. Taylor: plato: The Man and His Work Methuen, 1926, P.224.

2 - Ibid.

أكانت كاهنة أم فيلسوفة، فهو قول يمكن الرد عليه، ودحضه من أفلاطون نفسه الذى هو مصدر ثقة للمعلومات عن تاريخ سقراط، فهو يبين لنا فى كثير من المحاورات أن سقراط كان شخصية متدينة بعمق، وأنه كان صاحب تاريخ طويل فى الإصغاء إلى صوت العرافة أو الكهانة. ونحن مرة أخرى نستشهد بتيلور، الذى يقول فى هذا السياق: «منذ قدم لنا سقراط قصة صديقه «شريفون» مع كاهنة دلفى كدليل فى دفاعه أثناء المحاكمة، ونحن نستطيع أن نزعّم أن سقراط لم يكن يمانع قط فى استشارة الكاهنات، بل إنه كان يؤمن إيماناً كاملاً بتعاليمهن .. وفضلاً عن ذلك فإن استشارة «شريفون» لكاهنة دلفى، وقعت خلال السنوات العشر التى نزعّم أن لقاء سقراط وديوتيميا قد تم فيها.

وفضلاً عن ذلك فإن عادة استشارة سقراط «للمرأة» وأخذ النصيحة من الكاهنة وردت أيضاً فى محادثة «مينون Meno» حيث يقول: «ولقد سمعت عن رجال ونساء حكماء متبحرين فى الأمور الإلهية. وهم طائفة من الكهنة والكاهنات الذين بذلوا جهوداً مضنية لفهم مبرر Rationale ما يقومون به من سلوك..»<sup>(١)</sup>. ومن هنا فإن تيلور ينتهى إلى أن «المعلومات التى يزودنا بها أفلاطون عن سقراط لا مبرر أن نأخذها على أنها وقائع تاريخية...»<sup>(٢)</sup>.

ولقد قام عالم اللغة الألمانى «ف. كرانتس W. Kranz» فى

---

1 - Plato : Meno : 18 - B.

2 - A. E. Taylor : Socrates, Greenwood Press, 1975.

مقالة له عن «ديوتيميا» برسم خط مواز تماما لشخصية «ديوتيميا» الحديثة عند الشاعر الرومانسى المرهف هلدلين .. Helderlin (١٧٧٠ - ١٨٤٣) فسقراط وهدرلين كلاهما تلميذ يتعلم من أستاذه الحب والحكمة. والفرق بينهما هو الفرق بين الفيلسوف الماكر الساخر المتسامح، العجوز الأفطس الأنف، والشاعر القلق الوحيد الرائع فى جماله وشبابه. والفرق بين المعلمتين هو كذلك الفرق بين عرافة وكاهنة تفتى بالقول الفاصل بعد اختلاف الآراء فى شأن الحب - ولا بد أنها كانت عجوز حتى تؤتى هذه الحكمة - وبين شابة هادئة رقيقة تفيض عيناها وقلبها بالطيبة، والحنان، والفهم، للشاعر الذى ألقت به المقادير فى طريقها، وشاءت أن يعيش فى بيتها، ويروى عطشه الأبدى من نبعها، ويغرق كذلك آخر الأمر فيه<sup>(١)</sup>.

---

١ - د. عبد الغفار مكاوى: «هلدرلين» - نوابغ الفكر الغربى - العدد رقم ٢١ - دار المعارف بمصر ص ٨٨ - ٨٩.

## سادساً: دليل من الآثار

فى المتحف القومى بنابلى صندوق صغير من البرونز وضعت فيه نسخة أثرية من محاورة المأدبة، وقد نقشت صورة جميلة على غطاء الصندوق، ويصف «أوتو جان .. Otto Jahn» - أحد المتخصصين فى النقوش الكلاسيكية القديمة - الزخارف التى نقشت على هذه الصورة على النحو التالى:

«تعبّر الصورة عن منظر بسيط ليس فيه سوى مقعد بلا ظهر، جلست عليه امرأة اتشحت بثوب طويل فضفاض، كما طرحت على جسدها رداء يغطى الجزء الأسفل منه. ووضعت على رأسها تاجاً يشبه الخوذة لا يكشف إلا عن جبهتها. ومن الواضح أن المنظر يصور امرأة منهمكة فى الحديث، وقد استغرق انتباهها كله الموضوع الذى تتحدث فيه. وفى استطاعتنا أن نقول - دون أن نخشى الوقوع فى الخطأ - إن نهن المرأة كان مستغرقاً تماماً وهى توجه حديثها إلى رجل يقف أمامها.

أما الرجل فهو يقف مرتدياً رداءً بسيطاً يلتف أحد أطرافه حول ذراعه الأيسر، أما الصدر، والكتفين، والذراع الأيمن فهى عارية تماماً، وهو يميل برأسه قليلاً إلى اليمين، وهو حاسر الرأس، عارى القدمين، أفتس الأنف، وعيناه غائرتان تحت حاجب كث وشفاه غليظة.. إلخ، وبعد أن يقارن «أوتوجان» بين هذا النقش البرونزى، ونقوش أخرى من عصر أفلاطون، وبعد أن يصف شخصية «الإيروس .. Eros» (الحب) الذى يبدو ظاهراً بين الرجل والمرأة يختتم حديثه قائلاً:

«لست أشك فى أننا هنا أمام سقراط الذى تركزت عيناه وشد انتباهه إلى كلمات «ديوتيميا» التى راحت فى حديث حى تعلّمه طبيعة الحب، أو كما قالت هى نفسها «أسرار الحب». وبينما يستحوذ عليهما هذا «التأمل المقدس» يقترب منهما إله الحب نفسه (الإله إيروس.. Eros)<sup>(١)</sup> فى رداء كهنوتى يرتديه رجال الدين أثناء تأديتهم للطقوس والشعائر الدينية».

ويقول باحث آخر هو «بولينو منجاتسينى» - Palino Mangzzi- ni «إن صورة الرجل الموجود على هذا النقش هى نفسها صورة سقراط على نحو ما يجسدها تمثالان من القرن الرابع قبل الميلاد. وبمعنى آخر إن الصورة رسمت على غرار تمثال سقراط الذى أبدعه الأثينيون، فى حين يبدو إله الحب إيروس Eros على هيئة كائن أسطورى بأجنحة ملاك فى مواجهة صورتى سقراط وديوتيميا.

وعلى الرغم من أن «منجاتسينى» يقول صراحة إننا لا نعرف - بمعزل عن هذا الدليل - ما إذا كانت هناك شخصية حقيقية اسمها «ديوتيميا»، ولا ماذا كانت عليه علاقتها بسقراط، فإنه يستطرد قائلاً:

«... بالنسبة لأولئك الذين قرأوا محاوره «المأدبة لأفلاطون، فلا شك أن ديوتيميا كانت شخصية حقيقية تشبه تلك الصورة المنقوشة...».

---

١ - (الحب الشهوانى) هو إله الحب فى الأساطير اليونانية ابن أفروديت إلهة الجمال وإريس إله الحرب - راجع فى ذلك بالتفصيل: د. إمام عبد الفتاح إمام «معجم ديانات وأساطير العالم» المجلد الأول - مكتبة مدبولى بالقاهرة ص ٣٥٣.

وفضلاً عن ذلك فإننا نراه يزعم أن الصورة الحقيقية لسقراط و«ديوتيمات» الموجودة على غطاء الصندوق البرونزى، والتي تصور المأدبة - لا بد من مقارنتها بالصورة البرونزية الأخرى التى تغطى جانبى الصندوق، والتي يرجع تاريخها إلى حوالى ٣٤٠ - ٣٣٠ ق.م. وأن النقوش المرسومة «للمأدبة»، ربما كانت نوعاً من تخليد ذكرى الحفل الذى أقامه «أجاثون» - أو ربما كانت بمناسبة العيد المئوى للقاء سقراط مع «ديوتيمات» الذى تم عام ٤٤٠ ق.م. ولا سيما وأن ذلك لم يظهر إلا بعد وفاة أفلاطون نفسه بحوالى سبعة عشر عاماً، وعندما تولى ابن أخته «سبيسيبوس.. Speusippus» رئاسة الأكاديمية. وليس من المستبعد أن تكون شخصية ديوتيمات شخصية حقيقية، فهى ليست وهمية من صنع الخيال، ولا هى شخصية أسطورية. ومن المؤكد أن أفلاطون كان يعرف ما إذا كانت شخصية حقيقية أم لا. وإذا كان أفلاطون يعرف ذلك، فكيف يمكن أن يخطئ تلاميذه فى موضوع شخصية ديوتيمات، وهى التى لا شك أنهم ناقشوا حديثها، وساعدوا فى إعداد هذه النسخة الأثرية من المحاوره...؟!٩

الواقع أن اكتشاف هذا الصندوق البرونزى يقدم لنا دليلاً أثرياً هاماً يدعم بقوة القول بوجود «ديوتيمات»، وإنها شخصية حقيقية، وفضلاً عن ذلك كله فلدينا شهادة مكتوبة نعرض لها فيما يلى<sup>(١)</sup>.

---

١ - قارن أيضاً كتاب مارى إلين ويث سالف الذكر ص ١٠٥.

## سابعاً: شهادة مكتوبة

لم يرد ذكر لاسم «ديوتيما» لمدة خمسة قرون، لا فى مسرحية، ولا فى أى عمل أدبى، ولا فى كتاب من كتب التاريخ، أو موسوعة أو كتابات فلسفية، فتعاليمها، وفلسفتها، فى «الحب الشهوانى» لا تذكر إلا فى محاوراة أفلاطون الشهيرة «المأدبة».

ثم بدأت تظهر من جديد فى القرن الثانى الميلادى مع شخصيات نسائية أخرى مثل «ثارجليا.. Thargelia»، و«إسبازيا.. Aespa-sia» فى مسرحية كوميدية للكاتب اليونانى «لوسيان .. Lucian» عنوانها «الخصى .. The Eunuch» تبدأ بتقرير حقيقة واقعية عن «ديوتيما.. Diotima» و«ثارجليا.. Thargelia» وإسبازيا.. Aes-pasia» عندما يستشهد بهن الكاتب على أن المرأة يمكن أن تكون فيلسوفة. فهؤلاء «نساء فلاسفة فى العالم القديم». والواقع أن الكاتب يذكرهن فى سياق التماس يتقدم به «الخصى» إلى «ديوقليس .. Di-ocles»، ليسمح له أن ينال وظيفة رسمية كمعلم للفلسفة، وكان ينظر فى ذلك الوقت إلى «الخصى» على أنه «مخنث»، أعنى أنه ليس رجلاً على الأصالة، بل هو أقرب إلى النساء ومن هذا المنطلق كان التماس «الخصى» العمل فى حقل الفلسفة. فإذا كان من الثابت، تاريخياً، أن هناك نساء فلاسفة، عُرِفَ عنهن الاشتغال بالفلسفة وتدريسها، لا فقط أنهن كن تلميذات يدرسن الفلسفة عند هذا الفيلسوف أو ذاك - إن صحَّ ذلك كله، كان من حق «الخصى» وهو «الرجل - المرأة» أن يحظى بالموافقة على أن يكون معلماً للفلسفة، وأن يُسمح له بتشكيل

مجموعة من التلاميذ يدرسون على يديه. وها هنا نراه يحتج مشيراً إلى ثلاثة من النساء الفلاسفة هن: «إسبازيا»، و«ديوتيميا»، و«ثارجليا»! وربما كان الكاتب يريد أن يسخر من «الخصى» و«من النساء... الفلاسفة» على حدٍ سواء! ربما أراد أن يقول إن النساء الفلاسفة أشبه «بالخصى» الذى يحمل صفات الأنثى، ويريد أن يتشبه بالرجال فيقوم بتدريس الفلسفة.. لكن ذلك ليس هو ما حدث، بل على العكس، إن المحور الأساسى للحجة يدور حول ما إذا كان «الخصى» يمكن أن يعد معلماً مناسباً للغلمان فى سن الحلم...؟! فليس ثمة سوى الإشارة إلى أن «ديوتيميا» و«ثارجليا.. Thargelia» و«إسبازيا» كن فلاسفة يمارسن التفلسف بالفعل، وليس هناك بالنسبة لديوتيميا- بصفة خاصة - سوى الإشارة إلى أنها كاهنة فيلسوفة ماتت منذ مدة طويلة<sup>(١)</sup>!!

وهناك كتاب آخرون فى القرن الثانى الميلادى، أشاروا إلى «ديوتيميا» إشارات مباشرة دون إثارة أدنى شك فى وجودها التاريخى وفى شخصيتها الحقيقية. فأرستديز .. Aristides يشير إلى «ديوتيميا» فى خطبه .. Orations، وكذلك فعل أحد الشراح فى رسائله إلى أريستديز<sup>(٢)</sup>.

\* كما أشار إليها فى القرن الثانى الميلادى أيضاً «ماكسيموس».. Maximus الصورى (من مدينة صور Tyre على الساحل الجنوبى

---

1 - Mary Ellen Waithe: Op. Cit. Vol. I, P.105.

2 - Mary Ellen Waithe, P.106.

اللبناني) حوالى عام ١٢٥ - ١٨٥ ميلادية الذى ذكر ديوتيميا ثلاث مرات.

\* وفى استطاعتنا أيضاً أن نشير إلى كلمنت السكندري (١٥٠ - ٢٢٣) الذى عاش فى أواخر القرن الثانى، وأوائل الثالث الميلادى، والذى يذكر «ديوتيميا» أيضاً فى مؤلفاته.

\* وفى النصف الثانى من القرن الرابع الميلادى نجد ثمستىوس.. Themistius (٣١٧ - ٣٨٨) السياسى اليونانى، أو شارح مؤلفات أرسطو - يذكر «ديوتيميا» على أنها معلمة سقراط.

\* بل إننا نجد برقلس .. Proclus آخر فلاسفة الأفلاطونية المحدثه (٤١٠-٤٨٥) فى نهاية القرن الخامس الميلادى - يشير ثلاث مرات إلى «ديوتيميا»، ويقول إنه يعتقد أنها شخصية حقيقية كانت موجودة فى عصر أفلاطون، وأنها ليست مجرد شخصية خيالية.

وهكذا نجد أنه انقضى تسعة عشر قرناً، منذ عصر أفلاطون، أى منذ التاريخ الذى كتبت فيه محاوره «المأدبة» حوالى عام ٣٨٨ ق.م. حتى عام ١٤٨٥، عندما نشر الفيلسوف الإيطالى «مارسيليو فسينو» .. Marcilio Ficino<sup>(١)</sup> «خطبه» لا نجد فكرة واحدة تقول إن «ديوتيميا».. Diotima لم تكن شخصية حقيقية، وأنها التقت بسقراط،

---

١ - فيلسوف إيطالى (١٤٢٣ - ١٤٩٩) عرف على أنه أفلاطونى. كلّفه «كوزيمو دى مديتشى» بترجمة أعمال أفلاطون إلى اللاتينية، وكذلك أعمال بعض فلاسفة الأفلاطونية المحدثه.

ودار بينهما حوار شهير هو الذى سجله أفلاطون فى محاوره «المأدبة». وهكذا ظلت «ديوتيميا» لمدة تسعة عشر قرنا - كما يؤكد الباحثون، والفلاسفة، وأدلة الآثار - شخصية حقيقية لها وجود تاريخى. وربما جاءت ملاحظة الفيلسوف الإيطالى «فسينو» من حكم سابق كان فى ذهنه، وربما مصدره العادات والتقاليد السائدة، فحواه: أن من العبث الحديث، أو حتى مجرد التفكير فى وجود «نساء .. فلاسفة»، أو أنه يصعب جداً أن نتصور أن تكون هناك «إمرأة .. فيلسوفة»، وكأن الكلمتين متناقضتان لا يلتقيان فى عبارة واحدة لنصف به موجود إنسانى!

ولقد كان هذا الحكم المسبق هو القاعدة التى اعتمدت عليها القرون الخمسة التالية، إذ بدأت تروج الفكرة التى تقول إن «ديوتيميا» شخصية خلقها خيال أفلاطون الأديب، وإنها ليست سوى دليل على براعة هذا الفيلسوف وقدرته الأدبية! دون أن يكلفوا أنفسهم عبء الرد على الأدلة التى تحدثنا عنها فيما سبق، ولا سيما الدليل المستمد من الآثار!<sup>(١)</sup>.

---

1- Mary Ellen Waithe: A History of Women Philosophers, Vol. 1, P.106-108 Kluwer Academic Publishers, 1992.

## ثامناً: نظريات ديوتيميا ...

### ١ - طبيعة الحب:

تذهب «ديوتيميا» فيما يروى سقراط - إلى أن للحب طبيعة خاصة تتصف بما يمكن أن نسميه «بالوسطية» ، فلا هو جميل ولا هو قبيح، ولا هو خير ولا هو شر، بل هو وسط بين هذا وذاك، فكما أنه ثمة حالة للعقل بين الحكمة والجهل، وهى أن يكون للمرء معتقدات صحيحة لكنه لا يستطيع البرهنة على صحتها، فكذلك ليس الحب جميلاً ولا خيراً، وليس بقبيح ولا شرير، لكنه «بين بين»، كما أنه بين الكائن الفانى والموجود الأزلى، وهو نصف إله ونصف إنسان، إنه رسول الآلهة إلى الناس، ومبعوث الناس إلى الآلهة، يرفع إلى الآلهة صلوات الناس، ودعاءهم، وضحاياهم، وقرابينهم، وينقل إلى الناس من الآلهة الأوامر والنواهي، والثواب، والجزاء، ولما كان ذا طبيعة مشتركة فهو يستطيع أن يعبر البرزخ الذى يفصل دنيا الناس عن عالم الآلهة. وبذلك لا ينقسم الكون إلى قسمين منفصلين تمام الانفصال<sup>(١)</sup>.

### ٢ - مولد الحب:

وتذهب «ديوتيميا» إلى أن الخصائص المتناقضة فى طبيعة الحب:

---

١ - افلاطون: المأدبة ٢٠٢ - ج (انظر أيضاً الترجمة العربية للدكتور وليم الميرى - دار المعارف بمصر ص ٦٠).

كالجمع بين الوجود الفانى والوجود الأزلئ، والجمال والقبح، والخير والشر، والحكمة والجهل، ترجع فى النهاية إلى مولده. وهى تروى فى تفسير ذلك القصة الآتية:-

أرادت الآلهة أن تحتفل بميلاد آلهة الجمال والجنس «أفروديت Aphrodite..» - فأقام كبير الآلهة «زيوس .. Zeus» وليمة كبرى حضرها: «بوروس .. Poros» إله الغنى. وبعد العشاء تسالت: بنيا .. Penia «الحاجة أو الفقر» إلى تلك الوليمة تستجدى شيئاً، ووقفت بجوار الباب، وكان «بوروس» - إله الغنى والثراء - قد سكر لفرط ما شرب من الخمر الإلهية، فخرج إلى صديقه «زيوس»، وغلبه النعاس فنام تحت شجرة، وفكرت «بنيا» فى أن تخفى بعض ما تعانيه من بؤس وشقاء بأن تحمل طفلاً من «الغنى»، فضاجعته وحملت «بالحب»! فالحب، إذن، حُمِلَ به فى الاحتفال بمولد أفروديت إلهة الجمال، ولذلك تجد فيه شوقاً عارماً إلى الجمال. ولما كان أبوه «الغنى»، وأمه «الفقر»، كان الحب يحمل هذه الخصائص المتناقضة<sup>(١)</sup>، فهو فقير معدم، يرقد على الأرض، وفى الأزقة والحارات، والطرقات... إلخ. ذلك ما ورثه عن أمه. لكنه من ناحية أخرى، يسعى دائماً إلى الخير والجمال: جسور، مقدام، يطلب الحكمة ويسعى إلى العلا! وهذا ما ورثه عن أبيه. فليس بدعاً أن ترى رجلاً فقيراً يحب امرأة غنية أو العكس، فتلك هى خصال

---

١ - المرجع نفسه ٢٠٣ ب، وأنظر أيضاً: د. إمام عبد الفتاح إمام «الحب ... أنواع» فى كتابه «أفكار .. ومواقف» ص ٣١٢ - مكتبة مدبولى بالقاهرة.

الحب: إنه مركب من الغنى والفقر، من الجهل والحكمة، من القوة والضعف، من «بنيا» و«بوروس»<sup>(١)</sup>!!

والحب أيضاً هو حب الحكمة؛ لأن الحكمة شيء جميل، فالحب هو حب الجميل؛ لأنه حمل به فى الاحتفال بمولد «أفروديت» فتولد فيه شوق عارم إلى الجمال، ولكن لما كان حبا للحكمة، فإن ذلك يعنى أنه لا هو حكيم، ولا هو جاهل، بل هو وسط بين الحكمة والجهل. وتلك نتيجة أخرى ترتبت على مولده فأبوه حكيم حاذق (الغنى والثراء) وأمه جاهلة عاجزة (العوز والفقر والحاجة)!

### ٣ - ما يؤديه الحب للناس:

ترى «ديوتيميا» أن الحب هو حب الجمال، تبعاً لمولده - كما سبق أن ذكرنا - ووفقاً لطبيعته، فإذا تساءلنا: ومم يتألف الجمال؟ أو ما هى غاية الحب التى يسعى إليها محب الجمال؟ كما أجابت ديوتيميا: غايته امتلاك الأشياء الجميلة. فإذا عدنا نتساءل: وبم ينتفع من يمتلك الجمال؟ كانت الإجابة هى طرح سؤال آخر: وما الذى يحققه من يحصل على الخير؟ فالحال مع الجمال هى نفسها حال الخير. والإجابة فى الحالتين واحدة: إنه يحقق لنفسه السعادة، فالسعادة هى فى امتلاك الخير. وقل نفس الشيء فى امتلاك الجمال، فالسعادة هى الغاية فى الحالتين، ولا يمكن لنا أن نتساءل لم يريد أن يكون المرء سعيداً؟!

---

١ - د. إمام عبد الفتاح إمام «أفكار... ومواقف» ص ٣١٤، مكتبة مدبولى بالقاهرة.

ذلك لأن السعادة هي الغاية النهائية لكل فعل بشري، وهي الهدف الأقصى لكل سلوك إنساني.

#### ٤ - الحب ... أنواع!

لكن : هل يرغب الناس جميعاً في امتلاك الخير؟ وهل الحب عام بين جميع الناس؟ وإن صَحَّ ذلك : فلم نجد بعض الناس يحب، وبعضهم الآخر لا يحب؟

تري «ديوتيميا» أننا - في العادة - نقتطع «نوعاً» من الحب ونطلق عليه اسم «الحب»، في حين أن كلمة «الحب» تطلق على جنس، أو نوع أعم وأشمل من هذا الاستخدام الضيق. وربما أطلقنا أسماء مختلفة على أنواع الحب الأولى. وبمعنى آخر «الحب» اسم جنس يطلق على كل رغبة في الخير والسعادة. وتلك هي حقيقة الحب القوي الغلاب. ولكن تلك الرغبة تعبر عن نفسها بوسائل مختلفة، فعند بعض الناس تتجه «الرغبة» نحو حب المال، وعند البعض الآخر تتجه نحو حب القوة البدنية، وعند فريق ثالث نحو حب «الحكمة»، لكننا، عادة، لا نقول عن هؤلاء أنهم «محبون» لأننا نقصر صنع الحب على من تتجه عواطفهم اتجاهاً معيناً فنسميهم محبين.

#### ٥ - كيف يعبر الناس عن الحب؟

فرغنا من تعريف الحب وبيان طبيعته، وعلينا الآن أن نبحث: كيف يفصح الناس عن رغبتهم في الامتلاك الدائم للخير، إذا سلّمنا بأن

الناس جميعاً يحبون الخير، ويهدفون دائماً إلى امتلاكه.

#### أ- ولادة ما هو جميل:

تذهب «ديوتيميا» إلى أن الولادة على نوعين، فهي قد تكون بالجسد كما تكون عن طريق الروح. فعندما يصل الإنسان إلى مرحلة النضج، فإنه يشعر بالرغبة الطبيعية للولادة، ولكنه لا يستطيع ذلك إلا عن طريق الجمال لا القبح، فثمة شئ إلهي في تلك العملية، ففي الحمل والولادة يصيب المخلوق الفاني حظاً من الخلود. ولا يمكن أن تتم العملية في غير انسجام. ولا يتفق القبح مع ما هو إلهي، في حين ينسجم معه الجمال، ولذلك كانت آلهة الجمال هي الآلهة التي ترعى الولادة. وعندما يشعر المرء بالآلم الوضع، فإنه يتعلق بالجمال، ويحس بالسكينة، ويشعر بالاسترخاء اللذيذ، وذلك كله ييسر الولادة ويسهلها. أما القبح والدمامة فإنهما يحدثان نقيض ذلك؛ إذ ينقبض المرء، وينطوى على نفسه متألماً قانطاً، وتتعسر ولادته، ويتحمل آلام الحمل، ولا يضع مولوده. وهكذا نجد أن المرء حين يكون حاملاً، وإذا جاءه المخاض، فإنه ينجذب بقوة نحو الجمال، لأن الجمال يعينه على تحمل آلام المخاض<sup>(١)</sup>.

وقد يشعر القارئ بصعوبة في متابعة هذه الفكرة التي تعرضها ديوتيميا على سقراط، وعلاقتها بالتعبير عن الحب. لكن الفكرة ليست على هذه الدرجة من الصعوبة. فالحب الجنسي الذي يتجه نحو المرأة

---

١ - افلاطون : المأدبة ٢٠٦ ج (وانظر ترجمة وليم الميرى ص ٦٤ - ٦٥) .

يهدف إلى ولادة نسل جديد يكرر الرجل. أما حب الأفكار فهو يستهدف ولادة روحية هي إعطاء أفكار جديدة، وهذه قد تكون عند الرجل، «فالحمل» هنا حمل فكرى يقدم لنا نسلاً فكرياً. ولكن «الولادة» هي التعبير عن الحب في الحالتين. ولم تكون الولادة هي غاية الحب؟ الجواب هو أن الولادة هي التي تؤدي إلى الخلود الذي يسعى إليه الموجود الفانى، فسواء أكانت ولادة جسدية لنسل بشرى جديد أم ولادة روحية لأفكار جديدة فهي في الحالتين تسعى إلى الخلود: خلود الإنسان عن طريق أولاده، أو خلوده عن طريق أفكاره، ولما كان الحب هو الامتلاك الدائم للخير كما قدمنا، فلا بد أن يرغب في الخلود رغبتة في الخير. ويلزم عن ذلك أن يكون الحب هو حب الخلود كما هو حب الخير. وهذا تعبير آخر عن الحب، أو صورة أخرى من صورته الكثيرة.

#### ب - علّة الحب والرغبة:

تذهب «ديوتيميا» إلى أن ما يحدث للحيوان جدير بالتدبر والإمعان، فالحيوانات جميعاً من طير ووحوش ودواب... إلخ، عندما تملكها الرغبة في التناسل، تقع فريسة لمرض الحب للاتصال بعضها ببعض، وتسعى بعد ذلك لتوفير الغذاء لصغارها، وفي سبيل هذين الهدفين نجدها تتقاتل، وتتصارع حتى الموت، وتعانى ما تعانى من جوع وآلم. كل هذا من أجل حفظ النسل وامتداد الجنس. وربما قلنا إن «العقل» هو الذى يدفع البشر إلى مثل هذا السلوك، ولكن ذلك تفسير خاطئ، فما يصدق عن الحيوان يصدق كذلك على الإنسان، فطبيعة الفانى أنه ينشد البقاء والخلود، وسبيله إلى ذلك الولادة والتناسل، فالولادة هي التي تحل فرداً مولوداً محل فرد ميت. وهكذا يظل الفرد

يخلق كائنًا جديدًا، يكون امتدادًا له، تمامًا مثلما يفقد خلايا من جسمه ويجدد خلايا أخرى، وتمتد عمليات التجديد هذه إلى شعره، ولحمه، وعظمه، ودمه، أعنى إلى جسده كله، وهى كذلك تمتد إلى روحه أيضًا؛ فشخصية الفرد لا تثبت على حال واحد، كما أن عاداته لا تتجمد على وتيرة واحدة، ولا رغباته، ولا مسراته وألامه ومخاوفه وأماله – فلا شيء يثبت من ذلك قط على ما هو عليه، بل هناك جديد باستمرار، وهناك مرونة، والجديد منها لا يزال يخلف القديم.

#### ج - المعرفة:

وتقول «ديوتيميا» إن ما يحدث لأجزاء المعرفة جدير بالملاحظة: فلا شيء من المعرفة يختفى تمامًا، كما أننا لا نحتفظ بهويتنا فيما يتصل بالمعرفة أكثر مما نحتفظ بها فى الأمور الأخرى، بل إن كل جزء من أجزاء المعرفة يخضع لعملية التغيير والتبديل التى يخضع لها الجسم: وعملية التذكر نفسها تنطوى على معنى انفصال المعرفة عنها، فالنسيان هو إفلات المعرفة، والتذكر هو الاحتفاظ بها عن طريق إحلال فكرة جديدة محل الفكرة التى فقدت، وهكذا ترانا نخلع على المعرفة هوية وهمية متصلة. وهكذا يتحقق للموجودات الفانية البقاء والخلود. فهى ليست كموجودات خالدة على نحو ما هى عليه، فذلك مقصور على الآلهة وحدهم، بل بعملية تعويض ما يخسر الجنس من أفراد بأفراد آخرين.

#### د - السعى نحو الخلود:

الكائن الفانى يريد، إذن، أن يحقق لنفسه البقاء والخلود عن طريق النسل الجديد، فهو فى ذاته لا يستطيع أن يكون خالدًا، فهو ليس إلهاً ذا

وجود دائم، بل هو موجود فان؛ يقوم بتعويض ما يخسر، فإن خسر جسده كله كرره فى نسله، وعلى هذا النحو يستطيع الفانون المشاركة فى الخلود بطريقتهم الخاصة. وكل كائن حى يحفظ نفسه بالطبيعة على هذا النحو. ومن هنا كان السبب الذى يجعل الفرد مشغولاً بالحب لكى يحقق لنفسه البقاء والخلود. إن حب الشهرة والمجد يؤثر فى الناس تأثيراً قوياً، لكن حب الخلود شئ مختلف؛ لأنه يجرفهم نحوه حتى أنهم لا يأبهون بالأخطار المحدقة بهم، بل إنهم يضجون بحياتهم إذا دعت الضرورة. أكان يمكن لـ «إلكستيس»<sup>(١)</sup> أن تموت فى سبيل زوجها «أدميتوس.. Admetus» ملك تساليا، أو يقدم أخيل على الموت فى سبيل صديقه<sup>(٢)</sup> «كودروس.. Kodros» ملك «أتيكا» لينقذ

---

١ - إلكستيس .. Alecestis : زوجة أدميتوس .. Admetus ملك تساليا الذى أصيب بمرض عضال، وتمنى على الآلهة أن تمنحه الخلود، وتبعد عنه شبح الموت. فأجابته الآلهة إلى طلبه بشرط أن يأتى بـ «بديل» من أهل بيته يموت نيابة عنه إذا حضرته الوفاة. وهنا تقدمت زوجته المخلصة «إلكستيس» فضحت بنفسها لكى ينجو زوجها من الموت. وهكذا ماتت الزوجة الوفية، فداء لزوجها الملك! وعندما مر هرقل بتساليا وجد الملك يبكي زوجته المخلصة، ووجد شعبه من حوله يبكي هذه الزوجة، فهبط البطل إلى ظلمات الدار الآخرة، وصارع حارسها الجبار، وعاد بالمرأة المخلصة إلى زوجها، فسعدت المملكة بأسرها!. قارن أيضاً استشهاد فايدرس بهذه الأسطورة فى بداية محاورة «المأدبة» ١٧٩ ج. وانظر: د. إمام عبد الفتاح إمام «معجم ديانات وأساطير العالم» المجلد الأول ص ٦٥ - ٦٦ مكتبة مدبولى القاهرة.

٢ - أخيل .. Achilles : بطل ونصف إله فى أساطير اليونان - كان قويا لدرجة جعلته يقتل الأسود والتمور، ويصطاد الأيل بلا شبك! وأخيل فى الإلياذة هو البطل العظيم فى حرب طروادة الذى تفوق فى سلسلة من المعارك، غضب من

بلاده من غزو الدوريين<sup>(١)</sup>، وليحفظ ملكه لأبنائه، أكان يمكن لهؤلاء جميعاً أن يموتوا لولا يقينهم من خلود ذكراهم...؟ كلا إن الرغبة في المجد هي التي تدفع الإنسان إلى العمل الفذ، وكلما ارتقى الإنسان ازداد حبه للخلود. أما أولئك الذين تتجه غريزتهم الخلاقة اتجاهها جنسياً، فإنهم يجعلون همهم النساء، ويكون حبهم جنسياً محضاً، فتراهم يحسبون أنهم يضمنون لأنفسهم الخلود بإنجاب الأطفال. ولكن هناك غيرهم تكون ميولهم الخلاقة روحية، ويحملون بالروح لا بالجسد، فينتجون ذرية روحية كالحكمة والفضيلة وما إلى ذلك. ولعل أفضل وأشرف فروع الحكمة هو الذى يتناول تنظيم الدولة والأسرة وهو: الاعتدال والعدل<sup>(٢)</sup>.

ومن ينبج ذرية روحية يكون أشد سعادة؛ لأن أطفاله (الأفكار فى هذه الحالة) يمتازون عن أطفال البشر، فهم خالدون، ويفوقون جمال

---

«أجاممنون» قائد الحملة عندما استولى على محظيته واعتزل فى خيمته بعيداً عن الحرب، لكن = عندما بلغه نبأ مقتل صديقه باتروكلوس.. Patrocles فى القتال انتابته نوبة جنونية، فأسرع إلى إصلاح ذات البين بينه وبين أجاممنون. وخرج فى اليوم التالى لقتال الطرواديين، ويصرع بطلهم الأكبر هكتور.. Hector. لكن باريس Paris تمكن من قتل أخيل بمساعدة الإله أبوللو. راجع القصة بالتفصيل د. إمام عبد الفتاح إمام «معجم ديانات وأساطير العالم»، المجلد الأول، مكتبة مدبولي بالقاهرة، ص ٣٧ وما بعدها.

١ - كودروس.. Kodros: آخر ملوك أثينا فى الأساطير اليونانية، ضحى بحياته، بسبب النبوة التى وعدت الأثينيين بالنصر والخلاص من غزو الدوريين إذا قتل الملك على أيدي أعدائه. فكانت تضحية الملك لإنقاذ البلاد، وللاحتفاظ بالعرش لأبنائه من بعده.

أطفال البشر، ولا شك أن الناس يفضلون هؤلاء الأطفال على الأطفال الذين هم من لحم ودم. من أطفال «كالإلياذة»، و«الأديسة»، و«أنساب الآلهة» و«الأعمال والأيام» ٠.٠ إلخ؟ هؤلاء هم الأطفال الذين حققوا لأبائهم شهرة، ومجداً، وخلوداً، حتى ظفر بعضهم بعبادة البشر لهم، بسبب ما تركوه من أطفال روحيين، وذلك أمر لم يحدث لإنسان قط بسبب أطفاله من لحمه ودمه.

## ٦ - مدارج الروح فى طريق الخلود:

ترى «ديوتيميا» أن الرجل الذى يريد أن يتبع الطريق المستقيم إلى هدفه السامى، ألا وهو الخلود، عليه أن يأخذ نفسه من الصغر بتأمل الجمال الإنسانى، فإذا ما أحسن المرشد إرشاده وجهه أولاً إلى حب فتى جميل، ثم إلى إدراك أن الجمال المادى فى شخص هو نفسه الجمال المادى فى شخص آخر، وإنه إذا كان ينشد الجمال الظاهرى، فمن العبث ألا يعترف أن الجمال الذى يتجلى فى جميع الأجسام إنما هو جمال واحد، ومن هنا فإن عليه أن يوجه حبه إلى الجمال بصفة عامة، بحيث يضعف حبه لشخص بعينه، لأنه يدرك أن هذه عاطفة أقل أهمية، وأن عليه أن يتجاوزها إلى مرحلة أخرى، وهكذا يرقى إلى مستوى أعلى، إلى أن يصل إلى المرحلة التى يقدر فيها جمال الروح أكثر من تقديره لجمال الجسد. فلو أنه وجد نفساً نبيلة فاضلة فى جسم ليس له نصيب من الجمال لرضى بحبها، والإخلاص لها، فبدأت بالأفكار التى تعمل على التهذيب. وتلك هى المرحلة التى يجد نفسه فيها يتأمل الجمال الذى يتبدى فى الأعمال والنظم المختلفة، ويتضح له

آخر الأمر أن الجمال فيها مرتبط ببعضه ببعض، فيظهر عندئذ حقارة الجمال المادى، وضالة شأنه، إذا ما قورن بجمال الروح. ومن الأخلاق ينتهى إلى العلوم فيتأمل جمالها، وبذلك يحصر نظره فى الجمال بمعناه الواسع، فلا تستعبده عاطفة حقيرة أو نموذج فردى للجمال، سواء أكان موضوع حبه فتى، أو رجلاً أو عملاً من الأعمال، أو نظاماً ما من الأنظمة، وهو أن يحدث فى محيط الجمال الذى اتجه إليه بصره الآن، ثم يأتى بسبب حبه الفياض للحكمة بعواطف وأفكار نبيلة جليلة، وإذا ما قوى بفضل هذه التجربة يرنو ببصره إلى العلم الوحيد، وموضوعه الجمال.

## ٧ - غاية الحب:

وترى «ديوتيميا» أن من يتعلم «أسرار الحب» على هذا النحو، ويرقى فى هذا الطريق حتى نهايته، سوف ينكشف له فى نهايته جمال رائع هو الغاية من جميع المراحل السابقة. هذا الجمال هو أولاً وقبل كل شئ جمال خالد، وهو ثانياً ليس جميلاً فى جانب وقبيحاً فى جانب آخر، ولا فى أن، ثم يتغير فى أن تال، ولا باختلاف الظروف والأحوال... إلخ، بل هو جمال مطلق لا يوجد إلا بذاته.

وعندما يبدأ المرء من العالم الحسى مستعيناً بجمال الغلمان، ثم يلمح هذا الجمال المطلق، إنما يكون قريباً من غايته. وهذا هو الطريق القديم فى الاقتراب من أسرار الحب الذى يسير فيه المرء عندما يبدأ بنماذج الجمال فى هذا العالم، ويجعلها درجات يرقى بها جاعلاً غايته ذلك الجمال الأسمى المطلق من نموذج الجمال الحسى، ثم من أكثر من

نموذج، ثم إدراك الخيط المشترك بين كل ألوان الجمال الحسى، ثم يرقى من الجمال الحسى إلى الجمال الخلقى، ومن الجمال الخلقى إلى جمال المعرفة، ومن المعرفة بفروعها المختلفة، إلى المعرفة المطلقة التى يكون موضوعها الوحيد الجمال المطلق. وهكذا يعرف آخر الأمر ماهية الجمال المطلق.

ها هنا - فى هذا المكان وبجوار الجمال المطلق - ينبغي أن ينبثق المرء عمره فى تأمل هذا الجمال المطلق، وعندئذ لن يهتم بذهب ولا فضة، ولا ثياب أو غلمان... إلخ، فهو يطالع ماهية طاهرة بلا دنس، نقية لا تشوبها شائبة، ومن يصل إلى هنا يستطيع أن يدرك الجمال

---

## ٢ - المأدبة: ١٢١١ - ب.

١ - تذكرنا فكرة «ديوتيماء» هنا بالفكرة الصوفية الإسلامية، حيث يذهب المتصوفة إلى أن غاية الحب فى النهاية هى مشاهدة الجمال الإلهى الأزلى. قارن ما تقوله رابعة العدوية «لا تحرمنى يا إلهى من جمالك الأزلى .. اجعل الجنة لأحبائك، والنار لأعدائك، أما أنا فحسبى أنت»؛ فالغاية فى النهاية أن نصل إلى مشاهدة الجمال الإلهى الأزلى وننظر إليه، ونراه بملء العين اعتماداً على الآية الكريمة «وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها ناظرة» (٢٣-القيامة)، وانظر «الحب .. أنواع»، د. إمام عبد الفتاح

## تاسعاً : فلسفة ديوتيميا ... وفلسفة أفلاطون:

قد يعترض معترض على حديثنا السابق متسائلاً: ولم لا تكون جميع النظريات التي عرضت لها، وأطلقت عليها اسم «نظريات ديوتيميا» هي نفسها نظريات أفلاطون؟ اليس من الممكن أن يكون أفلاطون قد عرض فلسفته على لسان «ديوتيميا»، كما يعرضها أحياناً على لسان سقراط؟!

والجواب - باختصار شديد - هو: أن هذه النظريات تختلف بوضوح، بل تتعارض أحياناً مع نظريات أفلاطون. غير أن هذه الإجابة تحتاج إلى شرح وتفسير.

### ١ - الخير ... والجمال:

ربما كان هناك تشابه ظاهري منذ البداية بين فكرة أفلاطون وفكرة ديوتيميا عن الخير، فإذا كانت السعادة عند «ديوتيميا» هي في امتلاك الخير، فإن تصورهما للخير يختلف عن تصور أفلاطون اختلافاً تاماً؛ ذلك لأن الخير عندهما هو خير شخصي أو ذاتي، أو قل إنه خير إناني أو خير المرء لنفسه، ونحن نتعرف عليه على أنه محاولة لاكتساب الخلود عن طريق إنجاب المرء لنفسه من خلال فكرة الجميل. كما أن فكرة الجميل ليست هي المثال الأفلاطوني للجمال، بل هي فكرة على مستوى الظواهر فحسب لا على مستوى المثل الأفلاطونية.

وهكذا نستطيع أن نقول إن «الجمال المطلق» عند ديوتيميا لا

يتحد مع مثال الخير على نحو ما وصفه أفلاطون في الجمهورية<sup>(١)</sup>،  
وفضلا عن ذلك فإن لغة ديوتيميا في وصفها للجمال «إيلية» بشكل  
واضح. ويقول ستانلى روزن:

«ليس الخير عند ديوتيميا مثالا من المثل الأفلاطونية. وكذلك  
تصورها للجمال ليس هو نفسه تصور أفلاطون لمثال الجمال... إن  
وصف ديوتيميا للجمال لا يفترض سلفا نظرية المثل. لكن يمكن أن  
يفهم كجزء من الأعداد أو التطوير اللاحق على يد سقراط...»<sup>(٢)</sup>،  
ويقول «... لا شيء في وصف ديوتيميا للجمال في ذاته يرجعه إلى عالم  
منفصل أتم الانفصال عن مظاهر عند الإنسان، فانفصال الجمال هو  
صورة فريدة لا يمكن رؤيتها في شيء آخر إلا بفضل تلك الأمثلة الكامنة  
فيه: فحتى لو صح وأن أفلاطون كان قد انتهى من نظريته عن المثل،  
عندما كتب المأدبة، فإن هذه النظرية مستبعدة تماما عن حديث  
المأدبة»<sup>(٣)</sup>.

## ٢ - تصور «ديوتيميا» للخلود:

تستطيع النفس في محاورة المأدبة أن تصل إلى الخلود -  
بالمعنى الميتافيزيقى - بواسطة عملية التوالد أو الإنجاب .. بأن تترك

---

١ - أفلاطون : محاورة الجمهورية ( ٤٧٢ - ٤٧٨ ).

2- Stanley Rosen: Plato's Symposium P. 270 Yale University Press,1987

3- Ibid, p277

اسماً أو سمعة تجعلها باقية...<sup>(١)</sup>.

لكن كيف يمكن للمرء أن يحقق ذلك؟ لو أن المرء أراد أن يترك أكثر من اسم أو سمعة، لو أنه أراد أن يلد «أفكاراً»، وأن يؤثر في الآخرين، فلا بد له أن يعرف نفسه أولاً، كخطوة أولى، أن يعرف من هو؟ فما نوع الهوية الذاتية التي تأخذ بها «ديوتيميا»؟...

#### أ - الخلود ... والهوية الشخصية:

إن هدف «ديوتيميا» في روايتها للحب هو تحليل ما الذي يبقى من الوجود البشري على مر الزمان، وعندها أنه لا يبقى من الشخص سوى صفاته؛ ذلك لأنها تذهب إلى أن الوجود المتصل المستمر للكائن الحي يعنى أن تحل صفات أخرى تشبهه محل ما قد فنى من صفات... وعلى هذا النحو نستطيع أن نقول إننا خالدون في أبنائنا، وفيما ننسله من أفكار. وتلك فكرة أساسية من الهوية، الشخصية عندها. وهي تختلف أتم الاختلاف عن التصور الذي قدمه أفلاطون في محاوره القبيادس الأولى (١٢٩ ب - ١٣٠ ج) التي يذهب فيها إلى أن هناك شيئاً أساسياً هو «أنا»، أعني كياناً يقف خلف جميع الصفات والكيفيات القابلة للتغير. فالنفس هنا جوهر قائم بذاته قابع خلف جميع التغيرات الجزئية، وعلى هذا الأساس يمكننا أن نفسر لم كنت «أنا» الآن نفس الشخصية التي كنتها في الصغر، أو عندما كنت طفلاً. في الوقت الذي أكون فيه مع كل صفة أو كيف. إذ أستطيع أن أتعرف فيها على نفسى، ومن ثم فإننى عندما أصبح شاباً، فإننى لا أصبح شخصاً مختلفاً عن

---

3 - Quoted by: Mary Ellen Waithe Op. Cit. P.86.

ذاتى عندما كنت صغيرا بنفس الدرجة التى أكون بها شخصاً مختلفاً عن شقيقى مثلاً، صحيح أن لى الآن شخصية تختلف عن شخصيتى عندما كنت طفلاً، غير أن هذا الاختلاف ليس هو نفسه كالاختلاف بين شخصيتين من البشر.

إن الخلود عند «ديوتيميا» لا يعنى - كما هى الحال عند أفلاطون - خلود النفس بعد موت البدن، بل يعنى خلودى فى نسلى، إما عن طريق إنجاب الأبناء الذين يواصلون حمل الصفات الموجودة عندى، أو إنجاب الأفكار (وهو التوالد الروحى) الذى يجعلنى أبقي حياً فى هذه الأفكار - فالخلود هنا هو خلود الفكرة، تماماً مثلما نقول إن أفلاطون خالد، أو أرسطو خالد - دون أن نعنى أن نفس أفلاطون أو أرسطو «خالدة»، وإنما المقصود أنهما ماتا جسدياً منذ أربعة وعشرين قرناً، لكننا مازلنا ندرس فكرهما ونحلله، ونأخذ منه، وننقده... إلخ، مازلنا نتحدث عن «فكرهما» ونستفيد منه وهذا يعنى أنه «فكر خالد»، فالتناسل الجسدى، أى إنجاب الأبناء يجعل الصفات خالدة بأن يجعلها تتكرر فى النسل البشرى، وكذلك الأفكار القيمة تكون خالدة؛ فما زالت الإلياذة والأوديسة يقرأهما الناس - فى جميع الثقافات حتى هذه اللحظة - وهذا ضرب من الخلود الفكرى. وقل مثل ذلك فى «الفارابى» أو «ابن سينا» أو «ابن رشد» أو «ابن خلدون»... إلخ، فهم خالدون بفكرهم لا بأنفسهم.

وذلك يعنى أننا حين نتحدث عن شخص ما، فإننا لا نستطيع أن نتعرف فيه - رأى ديوتيميا - عن جوهر Substance يكمن تحت الأعراض، بل نتعرف فحسب على مجموعة من الصفات المتشابهة

المتداخلة المستمرة، والمتصلة عبر الزمان: «ومن ثم فإن علينا أن نأخذ فكرة ديوتيميا وتفسيرها للهوية الشخصية مأخذ الجد. فمن وجهة نظرها ليس ثمة «جوهر» ولا «ذات» ميتافيزيقية كامنة، بل إن الشخص هو مجموعة من الصفات. وها هنا يكون من المشروع أن نمسك هذه الفكرة إلى مفهوم «الخلود»، وإلى فكرة «ديوتيميا» عن «الحب»، بوصفه صفة من الصفات الخاصة...<sup>(١)</sup>.

وإذا لم يكن ثمة سوى هذه الصفات التي تعبر عن الهوية الشخصية، فإن ذلك يعنى أننا عندما نحب شخصا ما فإننا بذلك نحب صفاته (أو بعضها على الأقل)، لكن لو صبح ذلك لأصبح من الواجب أن نسأل عن قيمة هذه الصفات. وهكذا يصبح من المشروع الزعم بأن حيننا ينبغي أن يتناسب مع قيمة الصفات التي نحبها، وأن علينا أن نحب تلك الخصائص الجديرة بأن تحب أينما وجدت. ويمكن للمرء الذي يسير في طريق ديوتيميا وتفسيرها للحب - على هذا النحو - أن يندفع إلى طريق «اللاشخصية»!!

في حين أن أفلاطون يرى أن النفس جوهر مستقل عن البدن، ولأنها ارتكبت خطأ فقد سجنّت في هذا البدن وسوف تتحرر منه بالموت، لكنها لا تموت معه؛ حيث إنها خالدة. ويقدم أفلاطون في محاولة «فيدون» وحدها أربعة أدلة على خلود النفس بعد فناء الجسد هي: تعاقب الأضداد، والتذكر، والبساطة والتركيب، ومثال الحياة، لكن

---

1 - Quoted by: Mary Ellen Waithe: Op. Cit. P.88.

الدليل الذى يؤثّر ويراه مقنعاً أكثر من غيره، لم يبسطه إلا فى «فايدروس» و«القوانين» وهو أن النفس متحركة بذاتها<sup>(١)</sup>.

#### ب - الخلود ... ونظرية التذكر

يربط أفلاطون بين نظريته فى «خلود النفس» ونظريته فى تذكر المثل، ولعل أفضل مثال لعملية الربط هذه - وهو المثال النموذجى - هو التجربة التى قام بها سقراط وأجراها على خادم «مينون... Meno» وهو عبد صغير، أخذ يسأله عن طول ضلع المربع الذى مساحته ثمانية أقدام مربعة، ولم يكن الخادم على علم سابق بالهندسة، ومع ذلك جعله سقراط يتذكر قوانين الهندسة التى تعلمتها نفسه فى وجود سابق<sup>(٢)</sup>.

كما عرض أفلاطون أيضاً لعملية الربط بين خلود النفس، ونظريته فى تذكر المثل، فى محاوره «فيدون»<sup>(٣)</sup>، وفى محاوره «فايدروس»<sup>(٤)</sup>. أما النفس عند «ديوتيميا» فهى تختلف عن ذلك أتم الاختلاف؛ فلا هى عاجزة عن تذكر المثل بطريقة أفلاطون، ولا هى نفس - إنها ليست خالدة أصلاً؛ ذلك لأن المرء إنما يحقق الخلود عند «ديوتيميا» - بطريقة غير أفلاطونية تماماً. وفى استطاعتنا أن نقول أن

- 
- ١ - د. أحمد فؤاد الأهوانى : أفلاطون ص ٩٤ - دار المعارف بمصر عام ١٩٦٥ (سلسلة نوايخ الفكر الغربى عدد رقم ٥).
  - ٢ - محاوره «مينون» ٢٨٢ - ٢٨٥.
  - ٣ - محاوره «فيدون» ٧٢ وما بعدها .
  - ٤ - محاوره «فايدروس» ٢٤٨ وما بعدها .
- 
-

النفس عند «ديوتيميا» لا تحقق الخلود على الإطلاق؛ ذلك لأن الخلود عندها مجازى فحسب وليس ميتافيزيقيا.

### ج - الخلود... وتناسخ الأرواح

على الرغم من أن «ديوتيميا» تذهب إلى أن الرغبة في الخلود تدفع المرء إلى أن يكافح لكي يلد نسلاً يشبهه، نسلأ بشريا، فإن الشخص الذي يعجز عن التوالد لا يسلك الطريق الذي يسلكه الرجل الشرير عند أفلاطون على الإطلاق.

ذلك لأن أفلاطون يعتقد أن النفس البشرية تنال جزاء ما صنعت، وأن كل شخص يثاب أو يعاقب أو يلقي جزاءه حسب عمله. فالفيلسوف أو محب الحكمة تصعد نفسه إلى السماء حيث مقر الأنفس، فتستمتع بالنظر إلى الحقائق المجردة: فلا أجسام، ولا مادة، ولا ألوان، ولا صور محسوسة، بل إن مقر الأنفس يصبح غذاءها الروحي. أما غير الفلاسفة فيتناسخون في أبدان بشر، وأبدان حيوانات حسب أعمالهم. فالرجل الشرير قد تناسخ نفسه مرة أخرى في جسد امرأة، وربما في جسد حيوان. ولهذا نراه يقول في طيماوس: «فمن زل عن المبادئ الأخلاقية، تحول في ولادته الثانية إلى طبيعة امرأة، فإن لم يرعو عن شره في هذه الحالة أيضاً فإنه يظل يتحول من طبيعة وحش إلى طبيعة وحش آخر تماثله في شره... وهكذا دواليك.»<sup>(١)</sup>.

وهكذا يتضح لنا أن تناسخ الأرواح - المأخوذ عن الهند عن طريق

---

1-Plato : Timaeus, 24 C.

الفيثاغورية - يذهب إلى أن الجبناء والفجار من الرجال سيصبحون بعد ذلك «نساء»، وخفاف العقول والسذج، الذين يظنون، مثلاً، أن علم الفلك يمكن تحصيله بالنظر إلى النجوم من غير معرفة الرياضة، سيصبحون طيوراً، وأولئك الذين لا فلسفة لهم سيصبحون كواسر برية، وأغبي الناس فهما سيصبحون أسماكاً<sup>(١)</sup>.

أما «ديوتيميا» فهي لا تؤمن بالتناسخ، ولا بانتقال النفس من بدن إلى بدن؛ لأن النفس أولاً ليست جوهراً، وهي في نظرها ثانياً ليست خالدة، ولأن الاختلاف هائل بين فلسفتها وفلسفة أفلاطون.

---

١ - برتراند راسل: «تاريخ الفلسفة الغربية» المجلد الأول ص ٢٣٠ ترجمة د. زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة - الطبعة الثالثة ١٩٧٨.

## الختام:

لقد ناقشنا في هذا الفصل شخصية «ديوتيميا»، وأثبتنا أنها شخصية حقيقية، وأنها كاهنة وفيلسوفة من مانتينا، وأنها زارت أثينا عندما استدعاها الأثينيون لمساعدتهم في الحماية من مرض الطاعون، وأنها التقت بسقراط أثناء هذه الزيارة. ثم عرضنا بعد ذلك لنظريات «ديوتيميا» في «الحب» و«الخلود» و«الجمال»... إلخ، وبينا في النهاية كيف أن هذه النظريات تختلف في كثير من الجوانب عن فلسفة أفلاطون، كما أنها تتعارض مع هذه الفلسفة في جوانب هامة (مثل خلود النفس، وتناسخ الأرواح... إلخ)، والواقع أن ديوتيميا تختلف عن أفلاطون في كثير من المفاتيح الأساسية لفلسفته ونظرياته مثل: تصوره للخير، وتصوره للخلود، وتصوره لتناسخ الأرواح، ونظريته في الهوية الشخصية، ونظريته عن المثل.. إلخ، ولا يمكن أن يقال إن الباحث المتخصص في أفلاطون يمكن أن يجد بعض التناقضات في فكره حول موضوع من الموضوعات من محاوره إلى أخرى، ذلك لأن الأمر هنا يتعلق بتناقضات أساسية حول أفكار مركزية توجد في جميع أو معظم المحاور الأخرى.

وهكذا نستطيع أن نقول في النهاية إن «ديوتيميا» كانت واحدة من «النساء... الفلاسفة في العالم القديم» وأنها تبرهن - كما سوف تبرهن المرأة في العالم الحديث - على أنها ليست أقل من الرجل في قدرتها العقلية، ولا في استعدادها للتفلسف.

# الفصل السادس

«چوليا دونا ... أوجوليا الفيلسوفة!»

\* هل يمكن أن توجد فضيلة العفة عند الخصى؟

\* وهل مجرد الامتناع عن الظلم يُشكّل العدل؟

أبو للونيوس... Appollonius

## تمهيد ...

«جوليا دونا» ... أو «جوليا الفيلسوفة»، كما كان يطلق عليها المؤرخون في القرن الثالث الميلادي، المرأة التي، كوَّنت حلقة من أنبغ العقول في عصرها: حلقة تضم الشاعر، والفيلسوف الفيثاغوري، والمشائي، والسوفسطائي، ومُعَلِّم البيان، والمحامي، والسياسي، والطبيب، والمؤرخ... إلخ - على نحو ما سنعرف فيما بعد - عاشت في الفترة التي أعقبت الإمبراطور الرواقى ماركوس أورليوس (١٢١ - ١٨٠م) - والسابقة على أفلوطين (٢٠٥ - ٢٧٠م) والأفلاطونية المحدثة. وعلى الرغم من أنها - على ما نعلم - لم تخلف وراءها كتباً من تأليفها تعالج الموضوعات الفلسفية التي كانت تدرسها، فإنها كانت تدرس نفسها لدراسة الفلسفة، وتوجه أعضاء حلقتها إلى الكتابة في موضوعات معينة اهتمت بها اهتماماً شديداً على نحو ما سنعرف فيما بعد. ولقد كانت الوحيدة من بين أولئك الذين نُطْلِق عليهم اسم الفلاسفة - ربما باستثناء ماركوس أوريليوس - التي سَكَّ اسمها على أكثر من ثلثمائة وخمسين عملة مختلفة، كما وجد اسمها على أكثر من ١٨٠ مبنى من المباني العامة، والتماثيل المتناثرة في أنحاء البلاد، حتى أضفى عليها الناس في النهاية صفة القداسة!

وسوف نبدأ أولاً في سرد تفاصيل حياة هذه المرأة اللامعة، ثم نحاول بعد ذلك أن نجيب عن السؤال:

**لِمَ أُطْلِقَ عَلَيْهَا لُقْبُ فِيلَسُوفَةٍ ؟؟؟**

## أولاً : حياتها ...

ولدت «جوليا دونا – Julia Donna»، أو «جوليا دومنا J.Domna»، عام ١٧٠ ميلادية في إميسا... Emesa – وهى الآن صاحبة في مدينة حمص الحديثة – في سوريا على نهر العاصي<sup>(١)</sup>، واسمها دوما أو دومنا Domna قريب الشبه بالكلمة اللاتينية Domi-na التى تعنى «السيدة»، وإن كان من الممكن أن يكون الاسم أرمنى الأصل بمعنى مارثا.. Martha<sup>(٢)</sup>، وكان والدها «يوليوس باسيانوس.. Julius Basianus»، الكاهن الأكبر لمعبد إله الجبل.. Elagabal، وهو إله الشمس فى «إميسا» التى كانت مركزاً دينياً هاماً فى ذلك الوقت.. حيث كانت عبادة هذا الإله منتشرة فى هذه المنطقة<sup>(٣)</sup>.

ولا يروى لنا التاريخ شيئاً يذكر عن تربية «جوليا» فى حياتها المبكرة، لكن من المرجح أنها التقت ببعض المثقفين المرموقين الذين كانوا يقدون على منزلهم، ويبدو أنها تعلمت من المناقشات التى تدور

---

١ – كانت حمص المدينة السورية التى تقع على نهر العاصى فى الجزء الغربى من وسط البلاد قد أصبحت فى ذلك الوقت مستعمرة رومانية.

٢ – شقيقة العازر ومريم، وصديقة يسوع المسيح (لوقا ١٠ : ٤٠) وهى ترمز فى التراث المسيحى إلى الحياة النشطة الإيجابية، بينما ترمز شقيقتها مريم إلى الحياة التأملية.

٣ – إله الجبل.. Elagabal : هو إله الشمس أو هو إله حارس فى معتقدات الشرق القديم ولاسيما سوريا، وكان النسر هو الطائر المقدس عنده. قارن: د. إمام عبد الفتاح إمام «معجم ديانات وأساطير العالم» المجلد الأول ص ٣٣٠ – مكتبة مدبولى بالقاهرة.

بينهم وبين والدها الكاهن. وسوف يتضح فيما بعد اهتمامها بالتنجيم والرياضيات بصفة عامة، وهو اهتمام غرسه فيها البيئة التي عاشتها وهي طفلة، ومن المحتمل أيضاً أن «سبتيموس سفيروس.. Septimius Severus»<sup>(١)</sup>، رآها لأول مرة في ذلك الوقت عندما كان يقيم في هذه المنطقة بوصفه قائداً عسكرياً للحامية الرومانية في حمص. وكانت «جوليا» في التاسعة أو العاشرة من عمرها، وبعد ذلك بعدة سنوات أصبح «سفيروس» نفسه حاكماً على إقليم ليون في بلاد الغال (فرنسا قديماً)، وهناك فقد زوجته الأولى، وراح يبحث عن الزوجة الثانية ذات الحظ السعيد التي سوف ترتبط به. وها هنا اكتشف أن سيدة شابة من حمص في سوريا قد خبأت لها النجوم طالعاً ملكياً، فأسرع في التوسل إليها وحظى بالزواج منها<sup>(٢)</sup>.

وكانت «جوليا» تستحق في الواقع كل ما يمكن أن تعد به النجوم، فقد وهبت هذه المرأة - حتى عندما تقدمت بها السنوات - كل مفاتن الجمال، وجمعت بين روعة الخيال، ورصانة العقل، وقوة الحكم، مما يندر أن يوهب لبنات جنسها فيما يرى إدوارد جييون...<sup>(٣)</sup>.

لقد ولد سفيروس عام ١٤٦م في قرية لبدة Lebda (الليبية)

---

١ - سبتيموس سفيروس (١٤٦ - ٢١١م) سوف يصبح إمبراطوراً لروما (١٩٣ - ٢١١) وسوف ينشئ سلالة سفيروس الحاكمة على نحو ما سيظهر فيما بعد  
٢ - إدوارد جييون «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» ترجمة محمد على أبو درة، ومراجعة أحمد نجيب هاشم، المجلد الأول، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر ص ١٨٠.  
٣ - المرجع السابق، في الصفحة نفسها.

على الساحل الشمالى لأفريقيا، وبعد أن درس اللغتين اليونانية والرومانية فى المدرسة، ذهب إلى روما لدراسة القانون، وعين فى عهد الأمبراطور «ماركوس أورليوس» فى وظائف متتابعة فى: أسبانيا، وسردينيا، وأفريقيا، وسوريا. وفى عهد الإمبراطور «كومودس - Com-modus<sup>(١)</sup>»، أصبح حاكماً لجاليا.. Gallia فى وسط فرنسا.

قلنا إن زوجته الأولى ماتت فى هذه الفترة، وراح سقفيروس يستشير أبراج النجوم - فقد كان يؤمن إيماناً قوياً بالتنجيم - عن المرأة التى تصلح زوجة له، فأخبره المنجمون أن هناك - على نهر العاصى - فى سوريا فتاة جميلة ابنة الكاهن الأكبر لإله الجبل يقول طالعتها إنها ستكون زوجة لأحد الملوك، وسوف تصبح إمبراطورة مهيبة الجانب، رصينة العقل، قوية البيان، هى «چوليا دونا» فسعى إلى الزواج منها، «وهكذا كان اختياره للزواج من فتاة سورية راجعاً إلى إيمانه بالتنجيم فيمايقول واحد من كتاب القرن الرابع الميلادى..»<sup>(٢)</sup>.

تزوج سقفيروس وچوليا عام ١٨٧ ميلادية، وكان هو فى الحادية والأربعين، أما هى فكانت فى السابعة عشرة، وأنجبا طفلهما الأول فى منطقة ليون Lyons فى الجزء الجنوبى الشرقى من فرنسا فى أبريل

---

١ - لوسيوس كومودس (١٦١ - ١٩٢ م) إمبراطور رومانى (١٨٠ - ١٩٢) ابن ماركوس أورليوس، وكان طاغية مجنوناً فاسقاً مستهتراً، وقد دفعه اعتزازه بقوته البدنية إلى التوهم بأنه البطل الأسطورى «هرقل»، وإلى النزول إلى المجتلد لمقاتلة الأسود..

1-Beatrice H. Zedler: Julia Domna in A History of Women Philosophers Vol. I, P.117.

١٨٨ ، وأطلقا عليه اسم «باسسيانوس Bassianus» على اسم والد «چوليا» وهو الذى عرف طوال التاريخ باسم كاراكلا.. Caracalla ، أما الابن الثانى فقد سمي جيتا.. Geta على اسم والد سقفيروس وشقيقه. وقد ولد فى روما فى العام التالى ١٨٩ م.

وفى عام ١٩١ ميلادية عين سقفيروس حاكماً لـ«بانونيا.. Pan-nonia» ، وهى مقاطعة رومانية فى أوروبا الوسطى، كانت تشمل الجزء الغربى من هنغاريا الحديثة، وأجزاء من شرق النمسا وشمال يوغسلافيا الحديثتين – وكان المركز الرئيسى لقيادته فى كارننتوم Carnuntum على نهر الدانوب، ها هنا كان سقفيروس زوج «چوليا» قائداً لثلاث مناطق، ولما علم بمقتل الإمبراطور كومودس Commodus<sup>(١)</sup> – الذى مهد قتله الطريق أمام أسرة «سقفيروس» – نادى قواته بسقفيروس إمبراطوراً، وكان المتآمرون فى روما قد قدموا العرش إلى «بريتناكس Bertinax» وهو سناتور معمر ومحافظ، ولكنه قُتل بيد الحرس البريتورى بعد حكم دام ستة وثمانين يوماً! فزحف سقفيروس بقواته سريعاً إلى روما، وصوت مجلس الشيوخ فى صفه بأن يرقى العرش – وهكذا نودى به إمبراطوراً على روما.

---

٢ – هبط كمودوس بتفكيره، ومن ثم بروما من نرى شموخها عندما ظن نفسه «هرقل الرومان» والشمس المشرقة .. إلخ، وضعت له مارتشيا Marcia – أحب خليلاته إلى نفسه – جرعة من السم فى النبيذ الذى قدمته لعشيقتها بعد أن عاد من رحلة صيد متعبة، وبينما كان يتلوى من ألم السم، اقتحم غرفته شاب مقتول العضلات وقتله خنقاً دون مقاومة! اضمحلال الإمبراطورية الرومانية – المجلد الأول ص ١٦٢.

فى عام ١٩٣ م، وهو العام الذى دخل فيه «سقيروس» روما منتصراً ظافراً، لم يظهر اسمه فقط على العملة، بل كتب عليها أيضاً اسم «جوليا دونا»، وفى هذا العام أيضاً أنعم هو على «جوليا» باللقب الإمبراطورى «أوجستا.. Augusta» وهكذا بعد ست سنوات من زواجهما تحققت نبوءة النجوم وأصبحت جوليا زوجا لملك، بل أصبحت «إمبراطورة» لروما.

كان هناك منافسان قويان لسقيروس على عرش روما. أما الأول فهو «نيجر.. Niger» حاكم سوريا فى الشرق، والثانى هو ألبينوس Albinus حاكم بريطانيا فى الغرب، وسار سقيروس بقواته أولاً إلى الشرق، وهزم «نيجر»، بل قُتل هو وزوجته وأولاده عام ١٩٣ ميلادية، وواصل سقيروس حملته فى الشرق ضد أولئك الذين ساعدوا نيجر وأيدوه. وكانت «جوليا» تصحب زوجها فى حملته على الشرق وتقيم فى معسكره، حتى أطلق عليها عام ١٩٦ لقب «أم المعسكر.. Mater Castrorum» اعترافاً بدورها فى مرافقة الزوج وتشجيع الجنود، وحضورها المستمر فى المعسكر.

ثم وجه «سقيروس» انتباهه بعد ذلك إلى «ألبينوس» الذى أراد بعض الشيوخ إمبراطوراً، فسير قواته إليه، وكان ألبينوس قد عبر من بريطانيا إلى بلاد الغال (فرنسا قديماً) - فهزمه سقيروس عند منطقة ليون الفرنسية عام ١٩٧ للميلاد، وقتل ألبينوس وزوجته وأولاده، وأصدقائه، وعلى الأقل ٢٩ من أعضاء مجلس الشيوخ الذين كانوا يؤيدونه.

ولقد قيل إن فكرة سقيروس فى القضاء على منافسيه - نيجر

والبيّنوس - بدلاً من أن يجعلهما خلفاء، كانت تعوذ أساساً إلى طموح «جوليا» التي اقترحت عليه القضاء عليهما، وشجعتة فى الإعداد لذلك لكى تجعل من أبنيهما خلفاء لأبيهما على عرش روما، لكن لا شك أن «سقيروس» كان يريد لأبنيه أيضاً أن يرثا العرش، ولكى يضفى «سقيروس» مظهر الشرعية على حكمه فقد أعلن «ماركوس أورليوس» الذى مات عام ١٨٠ م أباً له بالتبني، كما زعم أن كمودوس كان شقيقاً له! وبعد أشهر قليلة من انتصار «سقيروس» فى ليون صحبت جوليا زوجها فى رحلة أخرى، لكن إلى الشرق هذه المرة، وإلى أفريقيا عام ٢٠٣ على وجه التحديد. وبعد عودتهما أقيمت الألعاب الرياضية فى روما عام ٢٠٤ ميلادية إيداناً بافتتاح عهد جديد، وعلى خلاف الإمبراطورة السابقة، كان لجوليا دور بارز فى الاحتفالات. ولكن رغم الاحترام وآيات الشرف، التى حظيت بها «جوليا» فى روما وفى طول الإمبراطورية وعرضها، فإن السنوات القليلة الأولى من القرن الثالث، لم تكن سارة، ومن ثم لم تكن «جوليا» سعيدة؛ والسبب أنها واجهت مشكلتين حادتين: الأولى: عدو فى البلاط الإمبراطورى، والثانية: سلوك الابنتين:-

كان «بلوتيانوس Plautianus» الذى كان مثل سقيروس من مواليد شمال أفريقيا يتمتع بثقة الأمبراطور حتى أصبح الوزير الأثير المقرب إليه؛ جمع ثروة طائلة وتغلغل نفوذه فى كل مكان حتى نصبت له التماثيل فى طول العالم الرومانى، وفى عام ٢٠٢ ميلادية رتب لزواج ابنته بلوتيللا Plautilla من بيسيانوس الذى أصبح يلقب الآن «كاراكلا» الابن الأكبر لجوليا وسقيروس، رغم معارضة جوليا،

ومعارضة العريس، معاً فى إتمام هذا الزواج!

كانت جوليا حانقة على نفوذ «بلوتيانوس» القوى على هذا النحو، وهو أول قائد يتمتع بسلطات واسعة، ويسئ استغلالها أسوأ استغلال. وقد كان زواج ابنته من أكبر أبناء الإمبراطور ضماناً لحسن مستقبله، لكن لسوء حظه ثبت أنه كان إيداناً بسقوطه، فعندما زادت أطماع «بلوتيانوس» وأثارت من فى القصر أجبر الإمبراطور - الذى لا يزال يحبه - على قتله على غير رضا منه<sup>(١)</sup>.

لقد كان بلوتيانوس يعامل «جوليا» الرقيقة بطريقة سيئة؛ لأنه كان يمقتها بشدة لرجاحة عقلها وكياستها، وكثيراً ما كان يدس لها عند الإمبراطور، ويثير الشبهات حول سلوكها، ويجمع الأدلة ضدها، بإكراه نساء نبيلات على الشهادة الزور عن طريق التعذيب! ويذهب بعض المؤرخين أنه أقنع الإمبراطور بمحاكمتها، لكنها برئت من جميع التهم! ومن حسن الطالع أن «جيتا.. Geta»، شقيق سقيروس وهو يرقد على فراش الموت عام ٢٠٤م أخبر سقيروس أن «بلوتيانوس» غير جدير بثقته، وبعد ذلك الإتهام بالتآمر لقتل الإمبراطور، وتم إعدامه فى العام التالى (٢٠٥م)، ويروى أحد المؤرخين أن أحد الذين شهدوا إعدام

---

١ - إدوارد جيبون «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» المجلد الأول ص ١٧٤ - وانظر فى نفس هذا الكتاب حاشية ص ١٧٤ حيث يقول جيبون «من أكبر تصرفاته نزقاً وجراً أنه خصى مائة من أحرار الرجال الرومان فيهم المتزوج، وفيهم رب الأسرة، لا لشيء، إلا أن يكون فى ركاب ابنته عند زواجها من الإمبراطور الصغير حاشية من «الخصيان» مما هو جدير بملكة شرقية..»

بلوتيانوس «انتزع بضع شعيرات من لحيته وأحضرها إلى بوتيللا (ابنته) «وجوليا» الإمبراطورة، ولم تكونا تعرفان شيئاً عما حدث. وصاح وهو يقدم لهما شعيرات اللحية:

«انظرا ! ها هو ما تبقى من بلوتيانوس! وسوف يسبب لأحدكما الفرغ والبهجة، وللأخرى الحزن والألم...»<sup>(١)</sup>.

أما المشكلة الثانية التي كانت تواجه «جوليا» فهي أن الابنين «كاراكلا» و«جيتا» كانا يقضيان معظم أوقاتها في اللهو والمتعة والتسلية كعادة الأفراد في ذلك الوقت، لكن الأسوأ من ذلك أن كلا منهما كان يكره الآخر! ولقد حاول الإمبراطور، عبثاً، أن يخضع الابنين لسيطرته، وأن يعيشا في إنسجام كل منهما مع الآخر. وصحبا الأب في حملة إلى بريطانيا عام ٢٠٨ م لعلهما يستفيدا من وجودهما خارج روما، وأن ينخرطا في سلك الحياة العسكرية، وأن يعيشا معاً عيشة الأباطرة. فأعطى لجيتا Geta - الابن الأصغر - مسؤولية المنطقة الواقعة تحت السيطرة الرومانية، في حين واصل سقيروس مع «كاراكلا» السير ضد البرابرة الذين غزوا الولاية من الشمال. غير أن الإمبراطور اشتد عليه مرض النقرس، الذي كان يعاوده بين الحين والحين، حاول «كاراكلا» أن يسيطر على الجيش، وأن يثير الافتراءات ضد شقيقه، بل بلغ به العقوق أن طلب من الأطباء أن يعجلوا بوفاته والده، الذي كان قد تجاوز الستين آنذاك، وأقعدته داء النقرس حتى استلزم الأمر أن يحمل على محفة! وكلما اشتد المرض على سقيروس

---

1- Beatrice H. Zedler: Julia Domna, P.190.

اشتعلت نار الأطماع الوحشية والأحاسيس السوداء فى نفس الابن الأكبر وضاق ذرعاً بالإبطاء فى تقسيم الإمبراطورية، ولقد حاول أكثر من مرة التعجيل بالأيام القليلة الباقية من حياة والده، وجهد دون جدوى فى إحداث فتنة بين الجنود. وقضى سقيروس نحبه فى يورك York فى ٤ فبراير عام ٢١١ م وهو فى الخامسة والستين من عمره، وفى السنة الثامنة عشرة من حكم مجيد موفق. وفى لحظاته الأخيرة أوصى ولديه بالوفاق والوئام، كما أوصى الجيش بهما خيراً، وأحرق جثمانه وأخذت «جوليا» الرماة المتبقى من الجثة إلى روما ليدفن فى ضريح فخم شيد للأباطرة<sup>(١)</sup>.

كانت «جوليا» تقف إلى جانب زوجها فى جميع الإصلاحات التى قام بها طوال حكمه، سواء فى الإدارة أو القيام بالأعمال العامة، أو إقامة الجسور وإصلاح الطرق، وترميم المباني القديمة، كما ساعدته «جوليا» فى إصلاح «قاعة الاجتماعات للنساء» وإعادة معبد فستا .. Vesta إلهة المدفأة عند الرومان. وكانت رحلاتها المتعددة مع زوجها - وهو ما تظهرنا عليه صورها على العملات ونقوش المباني - دليلاً على تقدير زوجها لها، وما تقوم به من دور هام بوصفها إمبراطورة. أما الآن فقد تركها وحيدة، تعاني مشكلة الانقسام بين ولديها، والصراع بينهما على من يرث العرش بعد وفاة الأب.

لقد أوصى المستشارون الذين عينهم الأب فى حضور «جوليا» بتقسيم الإمبراطورية بحيث ينال «كاراكلا» أوروبا كلها، فى حين تكون

---

1- Ibid.

أسيما من نصيب «جيتا». لكن جوليا عارضت التقسيم بقوله: «فى استطاعتكم يا أولادى، تقسيم الأرض والبحار جميعا، لكن كيف يمكن لكم تقسيم الأم؟» وهكذا رفضت فكرة التقسيم، وإن ظلت الكراهية تعمل عملها بين الشقيقين، وأخيراً استجاب «كاراكلا» لتوسلات أمه - بخبث ودهاء - ورضى بقاء أخيه فى بيتها على أساس أن تتم المصالحة والتراضى بينهما - وفيما هما يتحدثان اندفعت جماعة من الضباط كانوا مختبئين بسيوف مسلولة، وانهاوا على «جيتا» وحاولت الأم المذهولة أن تحميه بين ذراعيها، ولكن عبثا كانت تكافح، وجرحت يدها وتلطخت بدماء ابنها الأصغر، بينما رأت الأكبر يستحث السفاحين ويعاونهم، ثم يفر إلى المعسكر ويرتمى على الأرض أمام تماثيل الآلهة. وعندما عاد إلى القصر وجد جمعا من النسوة النبيلات يبكين الابن الأصغر الذى لقى حتفه قبل أوانه، فهددهن الإمبراطور الحقود بالموت فورا، بل إنه نفذ تهديده بالفعل فى بعضهن، واستقبل حكمه بإعدام عدد كبير قُدر بأكثر من عشرين ألفاً من الجنسين كان من بينهم حراسه ووزرائه ومعاونوه، فضلاً عن كل من ارتبط بأقل صلة بجيتا.. Geta. ووضع فى ذهنه: كسب محبة الجيش، والنظر إلى بقية رعاياه على أنهم قليلو الأهمية، «وراح يتنقل بين أوروبا وآسيا. وحدث أن كانت تصحبه أمه، وهو يقيم فى سوريا، عندما اقترب منه ضابط اسمه «مارتياس» مدعياً أنه إنما يؤدي واجبه وطعنه بالخنجر، وكانت

تلك نهاية المارد الجبار الذي لطخت حياته الطبيعة الإنسانية بالعار<sup>(١)</sup> .  
ويقول أحد المؤرخين إن أمه حزنت عليه: «ولم يكن حزنها  
بسبب موته، أو أنها أرادت له طول العمر، بل لأنها شعرت بالحيرة  
عندما تبين لها أن عليها أن تعود من جديد إلى حياة خاصة...»<sup>(٢)</sup> .

---

١ - إدوارد جيبيون «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» المجلد الأول ،  
ص ١٩٢ .

2 - Beatrice H. Zedler : Julia Domna P.122.

## ثانياً : جوليا ... الفيلسوفة:

كانت «جوليا» الإمبراطورة مشغولة بتأدية واجباتها الرسمية، فى الوقت الذى كانت تتابع فيه إهتماماتها العقلية وتطوير ثقافتها ودراساتها الفلسفية. ويتمثل الدليل التاريخى على ذلك فى شهادة اثنين من معاصريها: الأول هو: الفيلسوف اليونانى السوفسطائى «فلوستراتوس Philostratus» ١٧٠ - ٢٤٥ ميلادية الذى تعلم فى أثينا أولاً، ثم قام بالتدريس فيها بعد ذلك قبل أن ينتقل إلى روما ويستقر فى بلاط الإمبراطورة «جوليا»، ويصبح أحد أعضاء حلقتها الفلسفية، وهو صاحب كتاب «حياة السوفسطائيين»<sup>(١)</sup>.

والشاهد الثانى هو: السياسى والمؤرخ الرومانى «ديوكاسيوس Dio Cassius» (١٥٥ - ٢٣٠ ميلادية) الذى كتب «تاريخ روما» فى ثمانين كتاباً، كان الأول - فلوستراتوس - لا يتحدث عنها إلا ويلقبها بـ«جوليا .. الفيلسوفة»، كما يذكر أن «حلقة جوليا كانت مؤلفة من علماء الرياضة والفلاسفة»، ويقول أنه كان أحد أعضاء هذه الحلقة.

أما «ديو» فهو بعد أن يذكر السلوك العدائى لـ«بلوتيانوس» الوزير الأثير المقرب إلى سقيروس - تجاه جوليا يقول: «ولهذا السبب فقد بدأت جوليا تدرس الفلسفة، وتقضى معظم وقتها مع

---

1 - Ethel M. Kersey: Women Philosophers. A Bio-Critical Source Book, green Wood Press N.Y 1989, p137.

السوفسطائيين» ، ثم يشير إلى الفترة التي كانت فيها «جوليا» تتسلم رسائل رسمية من ابنها، وتقوم باستقبال الرجال المرموقين في «نيقوميديا» ، وأنطاكية في آسيا الصغرى من عام ٢١٥ إلى عام ٢١٧ م يقول عنها ديو: «إن جوليا كرست نفسها أكثر وأكثر لدراسة الفلسفة مع هؤلاء الرجال...».

هذه التعليقات من جانب معاصري جوليا توحى بالأسئلة الآتية:

١ - مَنْ هم أعضاء حلقة جوليا، أو صالونها الأدبي؟ وماذا كانت اهتماماتهم؟

٢ - مَنْ هم فلاسفة السوفسطائية في عصرها؟

٣ - ما هي الفلسفة التي درستها؟

٤ - وما هي الفلسفة التي كانت تفضلها...؟

سنحاول فيما يلي الإجابة عن هذه الأسئلة على التوالي:

### ثالثاً: صالون جوليا الأدبي أو حلقتها الفلسفية:

من هم أعضاء هذا الصالون...؟ يذكر فلوستراتوس أن حلقة جوليا كانت تتألف من «علماء الرياضة والفلاسفة». ويبدو أن مصطلح علماء الرياضة هنا كان يعنى علماء التنجيم .. Astrologers ، حيث كان التنجيم فى ذلك الوقت جزءاً لا يتجزء من الرياضيات. والأرجح أن «جوليا» احتفظت باهتمامها بهذا العلم من سوريا، ولا سيما أنها ولدت فى مدينة حمص، وتربت على الديانة السورية القائمة فى ذلك الوقت، ولقد سبق أن ذكرنا أن والدها كان الكاهن الأكبر «إله الجبل»، فضلاً عن ذلك فيبدو أن زوجها كان يشاركها الاهتمام بالتنجيم أيضاً، فقد سبق أن ذكرنا أنه كان يستشير الأبراج فى أمر زواجه، وأنها هى التى أوحى إليه بهذه الفتاة السورية التى يقول طالعها إنها ستتزوج ملكاً. وعلى الرغم من أنه يعوزنا أسماء علماء الرياضة والتنجيم فى صالون جوليا الأدبي، أو حلقتها الفلسفية، فإن هناك أسماء كثيرة يذكرها المؤرخون الذين أعدوا قائمة طويلة من المثقفين المرموقين فى عصر «جوليا»، وذهبوا إلى أنهم جميعاً كانوا أعضاء فى صالونها، فضلاً عن أخت جوليا واسمها «جوليا ميسا» وأبناء عمومتها وبعض أقاربها. والقائمة تضم الآتى أسماؤهم:

١ - «بابنيان Papinian» وهو محامى مرموق - ويحتمل أن يكون ابن عم جوليا - الذى عمل فى خدمة الإمبراطور سفيروس، وقام بكثير من الإصلاحات القانونية الهامة فى الإمبراطورية.

٢ - «أولبيان Albian»، وهو تلميذ المحامى السابق بابنيان، وأحد المشتغلين بالقانون. وكان عضواً فى المجلس الاستشارى للإمبراطور سفيروس.

٣ - «أوبيان Oppian» الشاعر الذى أهدى كتاباً عن الصيد للإمبراطور الإبن كاراكلا قائلاً: «إلى دونا العظيمة التى وهبته إلى سفيروس العظيم».

٤ - «أثنايوس Athenaeus» مؤلف كتاب: «السوفسطائيون على العشاء»، وهو شرح للمأدبة السوفسطائية، ويحوى معلومات كثيرة متناثرة.

٥ - الاسكندر الأفروديسى - الفيلسوف المشائى الشهير والملقب بالشارح الأكبر لأرسطو، وكانت عضويته فى هذه الحلقة سبباً - فيما يبدو - فى أن قام الإمبراطور سفيروس برعايته وتعيينه رئيساً للمدرسة المشائية فى أثينا.

٦ - «سرينس سامونيكس Sammonicus Serenus ..» الذى قتله «كاراكلا» بعد مقتل شقيقه جيتا .. Geta.

٧ - «جالينيوس Galen ..» (١٢٩ - ٢١٥ م) الفيلسوف والطبيب اليونانى الذى جال فى أنحاء الإمبراطورية الرومانية قبل أن يستقر فى روما ويصبح طبيباً فى بلاط الإمبراطور «ماركوس أورليوس». وانصبت فلسفته على: فلسفة العلم، والطبيعة، والمنطق.

٨ - «ماريوس ماكسيموس Maximus Marrius»، الذى ألف

كتاباً عن «حياة سبتموس سقيروس» ، وهو الكتاب الذى أصبح مرجعاً فى التاريخ الرومانى .

٩ - «ديو كاسيوس Dio Cassius» المؤرخ الرومانى الشهير وصاحب كتاب «التاريخ الرومانى» فى ثمانين كتاب ، كما أنه ألف أيضاً كتاباً صغيراً عن الأحلام والبشائر .

١٠ - «جورديان Gordian ..» الذى كان حاكماً للمقاطعات الرومانية فى إفريقيا ، والذى أهداه «فلوستراتوس» كتابه المعروف عن «حياة السوفسطائى» ، وأصبح هو نفسه إمبراطوراً فيما بعد ، ولكنه كان باستمرار شخصية مثقفة حتى قيل عنه إنه كان يقضى أيامه فى صحبة أفلاطون ، وأرسطو ، وشيشرون ، وفرجيل .

١١ - مجموعة متنوعة من السوفسطائيين الذين سيرد ذكرهم فى القسم التالى<sup>(١)</sup> .

## رابعاً: السوفسطائيون .. The Sophists

لا شك أن دارس الفلسفة اليونانية عندما يلتقى بمصطلح «السوفسطائي» فسوف يرد إلى ذهنه فى الحال أسماء لامعة مثل: «بروتاجوراس .. Protagoras» صاحب العبارة الشهيرة «الإنسان مقياس الأشياء جميعاً»، و«جرجياس Gorgias» صاحب كتاب «فى الوجود، أو فى الطبيعة» وكتبه الأخرى فى الخطابة – ولاسيما كتابه: «رسالة فى فن الخطابة»، وقد يستدعى مصطلح السوفسطائي أيضاً أفلاطون وأرسطو، ورأيهما فى الفيلسوف السوفسطائي أنه الرجل الذى كان يدعى الحكمة وهو عاطل منها ... إلخ إلخ.

غير أن مصطلح السوفسطائي فى عصر «جوليا» لم يكن له أى معنى ذمى، كما أنه لم يكن يدل على الموقف الفلسفى الشهير القديم، بل إنه كان فى الواقع لقباً أو مصطلحاً شرفياً يطلق على الخطباء ومعلمى البيان الذين وصلوا إلى الذروة فى المهارة الخطابية. فالسوفسطائيون فى القرنين الثانى والثالث الميلادى كانوا على رأس المثقفين الذين ينالون تقديراً عالياً من علىة القوم، ومن عامة الناس على حدٍ سواء، كما كان الأباطرة يقدرونهم وينعمون عليهم بالمناصب والأماكن الرفيعة فى الدولة، ولهذا فقد بلغوا من الثراء حداً جعلهم يصدقون الهبات على جماعاتهم بإقامة المباني العامة. كما أنهم أظهروا فى حياتهم أن فن الإقناع يمكن أن يكون وسيلة للنجاح فى الحياة العامة. وأحد مصادرنا الرئيسية عنهم هو «قلوستراتوس» الذى كان عضواً بارزاً فى صالون «جوليا».

ويميز فلوستراتوس فى كتابه «حياة السوفسطائيين» بين «السوفسطائية القديمة» التى أسسها «جورجياس» فى القرن الخامس قبل الميلاد والسوفسطائية الثانية التى أسسها «إسكينس» Aeschines<sup>(١)</sup> فى القرن الرابع ق. م.

لقد كان الفن السوفسطائى القديم يتعلق «بالخطابة الفلسفية» طالما أن أولئك الذين استخدموه كانوا يتخذون مواقف فلسفية فى الموضوعات المطروحة فى ذلك الوقت مثل: الشجاعة، والعدالة، والاعتدال، والشكل الحالى للعالم.. إلخ. أما السوفسطائية «الثانية» (ويفضل فلوستراتوس استخدام كلمة «الثانية» بدلا من كلمة «الجديدة») ، فإن أتباع إسكينس Aeschines عالجوا موضوعاتهم من زاوية مختلفة: فيها السياسة، وفيها الثقافة العامة، وفيها تنقيح فن الخطابة نفسه. ومن ثم فقد كانت الموضوعات التى يدرسونها مستمدة من التاريخ والأدب اليونانى القديم، كما كانوا يستعرضون فيها مهاراتهم فى فن البيان.

ويذكر «فلوستراتوس» فى كتابه أولئك الذين ينطبق عليهم مصطلح «السوفسطائى» على الرغم من أن السوفسطائى - فى رأيه - ليس فيلسوفاً خالصاً، فإنه لا بد أن يبدأ بالإصغاء، بعمق، إلى ثمانية من الفلاسفة، يبدو أنهم كانوا من السوفسطائيين؛ لأنهم يستعرضون

---

١ - كان إسكينس ٣٨٩ - ٣١٤ ق. م. خطيباً أثينياً بارعاً. وهو يمثل الجيل الثانى من السوفسطائيين فيما يقول «فلوستراتوس»، كما كان معارضا سياسيا لدموستين فى الجمعية الأثينية.

نظرياتهم بسهولة ويسر، وفصاحة وبيان، وبعد ذلك يناقش «فلوستراتوس» تسعة من السوفسطائيين القسدامى منهم «بروتاجوراس» و«جورجياس» و«هيبياس» و«أنطيفون»، و«بروديقس».. إلخ، وأكثر من ٤٣ من السوفسطائية الثانية، رغم أنه ربما لم يكتب كتابه هذا عن «حياة السوفسطائيين» إلا بعد وفاة چوليا، فمن الصواب أن نفترض أنه طالما أن «فلوستراتوس» كان عضواً بارزاً فى صالون چوليا التى كانت خبيرة بتاريخ السوفسطائية، فإنه كان يعرض عليها المعلومات ويناقشها فيما يصل إليه من معارف، وأنها كانت تتتبع تأليفه للكتاب.

وشاهدنا على أنه كان يفعل ذلك نستمدّه من رسالة كتبها إلى «چوليا» يخبرها فيها أن أفلاطون لم يكن يمتعض من السوفسطائيين، بل كان على العكس، معجباً بهم، حتى أنه تبنى الصورة الأدبية للحوار التى كان يستخدمها «جورجياس» و«بروتاجوراس» و«هيباس». ثم يذكر كذلك أمثلة من المفكرين الذين رأوا أنه ينبغى محاكاة السوفسطائيين، ومنهم «إسبازيا الملطية» التى يقال إنها شحذت لسان بركليز وهذبتة حتى يقلد «جورجياس» ثم يضيف: وإسكينس أيضاً الذى تعرفينه (والخطاب موجه إلى چوليا) وناقشنا حديثه فيما كتب من محاورات بأسلوب قاس، لم يتردد أن يكتب على غرار جورجياس فى حديثه عن مفكرة مرموقة هى «ثارجيليا.. Thargelia».

ويختتم فلوستراتوس رسالته بقوله:

«أيمكن أن نرجو أن تقومى أنت أيضاً أيتها الملكة العظيمة بحث بلوتارك (٤٦ - ١٢٠م) أجراً اليوانانيين، أن يكف عن إهانة

السوفسطائيين، وألا يسوق حماقات عن «جورجياس»؟! فإن فشلت في إقناعه، فأنت - على أقل تقدير - تعرفين، بحكمتك وحصافتك، الاسم الذي يطلق على رجل من هذا القبيل<sup>(١)</sup>.

ولما كان «بلوتارك» كاتب السير اليوناني المعروف قد مات قبل أن تولد «جوليا» بنصف قرن، فقد تشكك البعض في صحة الرسالة، غير أن «فلوستراتوس» عندما يطلب من «جوليا» أن تتحدث إلى رجل ميت، فإنه يستخدم عامداً - فيما يبدو - ضرباً من الفن الأدبي القديم، ولا سيما أن «جوليا» كانت على علم تام بفلسفة «جورجياس» وغيره من السوفسطائيين القدامى<sup>(٢)</sup>.

وبالإضافة إلى معرفة «جوليا» بالسوفسطائيين القدماء، فإن كتاب «فلوستراتوس» يساعدنا في معرفة «السوفسطائيين» في القرنين الثاني والثالث الميلاديين الذين عرفتهم جوليا معرفة شخصية، ومنهم الأسماء الآتية:

---

١ - Qouted by Beatrice H. Zedler: Op. Cit. p.125-126.

٢ - لاحظ أن السوفسطائيين القدامى كانوا أول واضعين حقيقيين لعلم الخطابة. ولقد كان هذا العلم هو العلم الذي يجب أن يوضع في هذا العصر من حيث إنه الممثل الحقيقي لروح العصر، كما أنه المعبر عن إحدى خصائص الروح اليوناني، وهي الميل إلى النضال الذي ظهر أولاً في الحياة الجسمية (الألعاب الرياضية في بلاد اليونان) ثم انتقلت المنافسة في القرن الخامس إلى الميدان الفكري، وأصبحت أداة المنافسة هي الكلام أو الخطابة، ولذا كان للخطابة المكان الأول في الحياة الروحية اليونانية - انظر في ذلك د. عبد الرحمن بدوي «موسوعة الفلسفة» المجلد الأول ص ٥٨٨ - ٥٨٩ المؤسسة العربية للدراسات والنشر - بيروت عام ١٩٨٤.

\* «أبو للونيوس Apollonius، الأثيني (وهو غير أبو للونيوس الطياني الفيثاغوري الذي سنتحدث عنه بعد قليل)، الذي كان في زيارة للإمبراطور سفيروس عام ١٩٦ أو ١٩٧، ودخل في منافسة خطابية وظفر فيها.

\* «هيراقليدس .. Heracleides، الكاهن الأكبر في لقيا-Ly cia<sup>(١)</sup> الذي اشتهر بأنه سوفسطائي. وله حادثة معروفة هي أنه انهار وهو يرتجل خطاباً أمام الإمبراطور سفيروس.

\* «إيليان .. Aelian» وهو مفكر روماني عاش في عهد سفيروس، وكان يتحدث اليونانية بطلاقة، وقد ألف في التاريخ، كما أنه كتب عن طبيعة الحيوان.

\* وهناك سوفسطائي آخر كان معروفاً جيداً للإمبراطور وزوجته جوليا وهو «انتيباتر Antipater، الذي كان معلماً خصوصياً لابنيهما، كما أنه عمل وزيراً لدى سفيروس. وكتب مراثية بعد مقتل جيتا .. Geta أغضبت شقيقه، ومات في الثامنة والستين من عمره «بأن أمسك، إرادياً، عن الطعام»!

\* ويقول «فلوستراتوس» أن هموكراتس Hemocrates كان عضواً في الحلقة السوفسطائية، كما أن هليودورس Heliodorus كان أيضاً من بين الحلقة السوفسطائية.

---

١ - كانت لقيا Lycia مقاطعة بحرية قديمة في الجزء الجنوبي الغربي من آسيا الصغرى، ثم أصبحت ولاية رومانية.

\* ويقول أيضاً عن فلسكس.. Philiscus من تساليا إنه عندما كان فى روما: «التحق بحلقة چوليا التى تضم مجموعة من الفلاسفة وعلماء الرياضيات، وحصل منها - برعاية الإمبراطور - على كرسى الخطابة فى أثينا»، ولقد استمر يشغل كرسى الخطابة فى أثينا لمدة سبع سنوات.

\* كما كان «فلوستراتوس» نفسه أحد الأعضاء البارزين فى صالون چوليا الأدبى أو حلقتها الفلسفية، كما كان من المقربين إليها، ولهذا نراه بعد أن يذكر «چوليا» بالاسم يقول: «كنت أنتمى إلى حلقة الإمبراطورة التى كانت معجبة للغاية بممارسة البيان والخطابة»، وهو فى نهاية كتابه «حياة السوفسطائيين» يعتبر نفسه واحداً من السوفسطائيين. يقول:

«أما عن فلوسترأتوس، وعن قدراته فى القانون والمحاكم، والبلاغة، والسياسة، وكتابة البحوث، وإلقاء الخطب الحماسية - وأخيراً: موهبته فى الحديث المرتجل - فليس لى أن أتحدث عن ذلك»<sup>(١)</sup>.

وهناك كاتب من المحدثين فَحَصَ حَلَقَةَ «چوليا» أو صالونها

---

1 - Beatrice H. Zedler: Op. Cit. p.126.

الأدبي فحماً دقيقاً، ثم قال فى النهاية :

«لقد كانت هناك حلقة من السوفسطائيين والفلاسفة تشارك فيها «جوليا» بنفسها فى المناقشات، وتستمتع بما يدور فيها من حوار، كما كان فلوستراتوس، وفلسكس السوفسطائيين عضوان فيها...»<sup>(١)</sup>.

---

l-Ibid. P126.

### خامساً : ما هي الفلسفة التي درستها جوليا...؟

لا تقدم لنا نصوص المعاصرين «لجوليا» إجابة واضحة ومباشرة عن هذا السؤال. فهذا هو «فلوستراتوس» في كتابه «حياة السوفسطائيين» يشدد على أسلوب البيان، والخطابة عند من كان يحضر الحلقة من الرجال، كما كان هناك بعض السوفسطائيين الذين اهتموا بأفلاطون والأكاديمية، ونحن نعرف أيضاً من كتابه أنه جرت العادة في زمن ماركوس أورليوس أن يعين الإمبراطور لافقط أساتذة كراسى البيان والخطابة في أثينا وروما، بل أيضاً أساتذة: الأفلاطونية، والأرسطية، والرواقية، والأبيقورية. وربما ظل هذا التقليد حتى زمن «جوليا». وعلى كل حال فإن «فلوستراتوس» يشير إلى الأنواع الأساسية من الفلسفة في القرنين الثاني والثالث الميلاديين التي ربما رغب الطالب في معرفتها. لكن الواقع أننا إذا أردنا أن نعرف اهتمامات «جوليا» الفلسفية فربما كان الأفضل أن نبحث عنها في الكتب التي أمرت بتأليفها؛ فهي تدل، بالقطع على منحى التفكير عندها.

## سادساً: الفلسفة التي اهتمت بها جوليا:

قلنا إنه ربما كان لـ«جوليا» اهتمامات فلسفية رئيسية، ويمكن أن نجدها في الكتب التي تم تأليفها بأمر من الإمبراطورة، فما هي هذه الكتب؟! من الثابت أن «جوليا» أمرت فلوستراتوس بتأليف كتاب عن سيرة حياة أبو- للونيوس الطياني - فمن هو هذا الفيلسوف؟ وما الذي جذب انتباهها إليه؟

### ١ - أبولونيوس الطياني Appollonius of Tyana

هو فيلسوف يوناني من الفيثاغورية المحدث في القرن الأول الميلادي (ولد قبل المسيح بأربعة أعوام)، وكان بمثابة «مسيح وثني»، درس في طرطوس وفي أجيا في معبد اسكليوس، ووقف نفسه على مذهب فيثاغورس، سافر إلى الهند، وزار بابل ونيينوى وهو في طريقه إليها، كما زار اليونان وإيطاليا وأسبانيا. وقصة حياته مليئة بالخوارق والمعجزات حتى عده الناس ساحراً، ولكنه كان يؤكد أنه لا يملك سوى عطية الاستبصار والتنبؤ. وبعد أن نجا بأعجوبة من نيرون ودومشيان، مات عن مائة عام في أفسس حيث أسس مدرسة فيثاغورية، وقد بلغ حد القداسة في هذه المدينة، حتى أن صوره كانت ترفع في كثير من المعابد. وقد ابتنى له «كاراكلا» معبداً، ونحن نعرف من كتبه «حياة فيثاغورس» وقد اعتمد عليه فريريوس ويامبليخوس، ونحن نعرف أن

من تأليفه أيضاً «رسالة فى العرافة»... إلخ إلخ<sup>(١)</sup>.

٢ - تلك كانت فكرة سريعة وعمامة عن هذا الفيلسوف الذى اهتمت به «چوليا» وأمرت بتأليف كتاب عنه. فما الذى شد انتباهها إليه؟! لقد شد انتباهها فى الواقع بعض الذكريات عن «أبولونيوس» رواها تلميذه «داميس .. Damis»، وعرضها بأسلوب شيق قائلاً إنه: «يأمل أن يكون كتابه على شرف أبولونيوس، وأن تكون فيه فائدة لأولئك الذين يحبون العلم»<sup>(٢)</sup>.

لقد نظر بعض الناس إلى «أبولونيوس» على أنه ساحر وعراف، ويروى فلوستراتوس بعض الروايات عن قدرته السحرية، حتى أننا لا نستطيع أن نفرق فى أنشطته العادية بين الواقع والخيال، لكن الحقيقة أن أبولونيوس كان فيلسوفاً من المدرسة الفيثاغورية المحدثه، ولد فى طيانا Tayana فى إقليم كابادوسيا Cappadocia فى الجزء الشرقى من آسيا الصغرى، ودرس فى شبابه: فلسفة أفلاطون، والمدرسة المشائية، والرواقية، والأبيقورية، وفيثاغورس. وفى السادسة عشرة من عمره اعتنق حياة الزهد الفيثاغورية ومارسها، فامتنع عن تناول اللحم، وشرب الخمر، وأدان التضحية بالحيوانات كقربان للآلهة، ولم يكن يرتدى من الملابس سوى المصنوعة من الكتان، كما كان طويل الشعر، ملتحمياً، وباختصار: عاش حياة الفقر والزهد والعفة، ومارس

---

١ - قارن حياته بالتفصيل: جورج طرابيشى «معجم الفلاسفة»، ص ٣٦ دار الطليعة - بيروت.

٢ - اقتبسته بيراتس زدلر فى بحثها «چوليا دومنا» السالف الذكر ص ١٢٨.

طقوس المدرسة الفيثاغورية ومنها «الصمت»، إذ يروى عنه أنه ظل خمس سنوات في صمت مطبق، وتعلم كثيراً من الكهنة ورجال الدين في جميع البلدان، فعندما سافر إلى فارس - وهو في طريقه إلى الهند - التقى «بالمجوس» - كهنة الزرادشتية - كما التقى في الهند برجال الدين البراهمة وحاورهم في الهندوسية والتقى بالفلاسفة «العراة»، كما سافر إلى مصر وتعلم من كهنة وادي النيل. ثم اليونان، وإيطاليا، وأسبانيا... إلخ، كما سبق أن ذكرنا. ولقد اتهمه الإمبراطور نيرون .. Neron اتهاماً باطلاً بأنه خائن - وكذلك فعل الإمبراطور دوميشيان .. Domitian واستطاع الإفلات من الموت باعجوبة، ومات خلال حكم نيرفا Nerva، أعني فيما بين ٩٦ و ٩٨ م<sup>(١)</sup>.

وكان فيثاغورس الذي يعتبره «أبولونيوس» ملهمه الروحي، قد أسس في القرن السادس قبل الميلاد جماعة دينية - كما سبق أن ذكرنا في الفصل الأول من هذا الكتاب، كانت تدرس العلوم ولاسيما الرياضيات - سارت على قواعد صارمة في حياتها كوسيلة للتطهر والعمل على خلود النفس، وهي قواعد فصلنا فيها القول فيما سبق. وكانت الفيثاغورية المحدثّة إحياءاً للتعاليم الفيثاغورية القديمة ممزوجة ببعض العناصر الأفلاطونية والصوفية. وكان مودراتوس - Modera-tus، وأبولونيوس Appollonius أعظم ممثليها في القرن الأول الميلادي.

---

١- الإمبراطور الروماني ماركوس نيرفا (٢٥ - ٩٨) كان إمبراطوراً لروما لمدة عامين فقط من ٩٦ حتى ٩٨ .

لقد نظر بعض الباحثين إلى كتاب فلوستراتوس عن «حياة أبولونيوس» على أنه رواية، أو قصة خيالية. لكن بغض النظر عن دقة الكتاب من الناحية التاريخية، فهو كتاب هام بالنسبة لنا «بوصفه سجلاً للمبادئ التي أحييتها «جوليا الفيلسوفة» ولإسيما وأننا لا نعلم عن كُتب «جوليا» نفسها شيئاً، ومن ثم قفى غيبة تأليف «جوليا» فإننا سوف ننظر إلى هذا الكتاب لا على أنه كتب بتكليف منها فحسب، بل على أنه يكشف كذلك عن الأفكار الأساسية التي اهتمت بها، وأرادت تنميتها وتطويرها، ولقد دارت هذه الأفكار حول موضوعات متنوعة وهامة منها: الله، والإنسان، والخلود، والأخلاق الشخصية، والفلسفة السياسية... إلخ<sup>(١)</sup>.

ومن الواضح أن «أبولونيوس» عبر عن ميله لفلسفة فيثاغورس حيث يقول: «مذهبى الخاص فى الحكمة هو نفسه مذهب فيثاغورس فيلسوف ساموس.. Samos»، كما أنه تعلم من فيثاغورس الشيء الكثير حول السلوك العملى فى الحياة: ضبط النفس، والسيطرة على رغباتها، والسير بقواعد حكيمة. كما تعلم منه ضرورة عبادة الآلهة: «وأن يعترف بوجودها سواء أكانت مرئية أم لا»، وهكذا تعرف على الله خالق العالم الذى أخرج الأشياء جميعاً إلى الوجود؛ لأنه إله خير<sup>(٢)</sup>.

وكان أسلوب العبادة الذى يسير عليه أبولونيوس هو نفسه أسلوب العبادة عند «جوليا»، إبنة الكاهن الأكبر لإله الجبل الذى عرفته

---

1-Beatrice H. Zedler Op. Cit. p.128.

2-Idid, P.129.

منذ نعومة أظافرهما، عندما كانت تصلى لإله الشمس الذى كان يتحكم فى الفصول الأربعة وبذلك كان مصدر: الضوء والنور والنار، وانضاج المحاصيل، كما أن أبوللونىوس - مثل جوليا - دعا إلى إقامة تماثيل للآلهة فى المعابد، وأعتقد أن هذه التماثيل - سواء أكانت لأبوللو، أو زيوس، أو أثينا - تمثل جهد العقل البشرى لتصوير الحقيقة المثالية. ولكنه نقد التراث المصرى الذى كان يصور الآلهة فى صورة حيوانات<sup>(١)</sup>، ففى رأى أبوللونىوس أن:

«هناك تشابهاً معيناً بين الآلهة والإنسان، ولقد مكّن هذا التشابه الإنسان من دون جنس الحيوان أن يتعرف على الآلهة، وأن ينظر فى الطبيعة والطريقة التى تشارك بها فى الجوهر الإلهى... إن الناس الطيبين الخيرين يحملون فى أعماقهم شيئاً من هذا الجوهر الإلهى»<sup>(٢)</sup>.

وهو يرى أن كل شئ يحمل فى داخله نفساً خالدة، ومصدر وجود هذه النفس هو «ما لا ينسل»، كما أنه اعتقد، مثل أفلاطون، أن

---

١ - يعتقد هيجل على العكس أن عبادة الحيوان تمثل الارتباط بين ما هو روحى وما هو طبيعى، ومن ثم فإن العبادة المصرية التى هى أساساً عبادة الحيوان هى الأكثر تطوراً ورقياً، ويقول أيضاً: «من المؤكد أن الأمم التى عبدت الشمس والنجوم ليست أعلى قدراً من تلك الأمم التى عبدت الحيوانات، بل العكس هو الصحيح، لقد تصور المصريون فى عالم الحيوان الشئ الباطنى، وما هو غير قابل للإدراك...» محاضرات فى فلسفة التاريخ «العالم الشرقى» ترجمة إمام عبد الفتاح إمام ص ٢٠٣ - ٢٠٤ مكتبة مدبولى بالقاهرة.

2-Beatrice H. Zedler: Op. Cit. P.130.

النفس بما أنها مقيدة بجسدٍ فإنّ فهي مسجونة، ومن ثم فقد قارن بين حياة النفس في البدن وحياة الإنسان داخل السجن، واعتبر الموت هو الخلاص أو الفرار من هذا السجن. غير أن أبولونيوس كان على وعى بأن هناك آراء مختلفة ومتنوعة عن النفس، ويعتقد فلوستراتوس أننا لو أخذنا بتعاليم أبولونيوس عن النفس «فإننا نستطيع - بفرح ومتعة، وبمعرفة جديدة بطبيعتنا البشرية - أن نشق طريقنا إلى الهدف الذي رسمته لنا ربّات القدر Fates»<sup>(١)</sup>.

أما هو هذا الطريق الذي رسمته لنا ربّات القدر، فذلك ما يتضح من نصوص كثيرة من سيرة حياة أبولونيوس، على الرغم من أنه لا يعرض بحوثاً نظرية في فلسفة الأخلاق، فإننا نجد تشديداً وتركيزاً عن حاجتنا إلى تحصيل فضائل: الحكمة، والشجاعة، والعدالة، والاعتدال، وضبط النفس. ولقد اعتقد أبولونيوس أن الإنسان الذي يعشق الحكمة هو أعظم من كولوسس رودس.. Colossus of Rhodes<sup>(٢)</sup>. أما بالنسبة للشجاعة فقد شدد أبولونيوس على أنه لا يكفي أن تمتلك الفضيلة كصفة، بل لا بد للمرء أن يمارسها أيضاً.

وكان أبولونيوس يُعلم تلاميذه فضيلة العفة، والاعتدال، وضبط النفس، ولهذا فقد حصر نفسه - بالنسبة لاستخدام الأمور المادية - في

---

١ - ربّات القدر Fates : ثلاث ربّات في الأساطير الرومانية وهن: فاني، ولاكسيس، وكلوثو. ولكل واحدة منهن وظيفة خاصة تقوم بها في حياة الإنسان. راجع إمام عبد الفتاح إمام «معجم ديانات وأساطير العالم» مكتبة مدبولي بالقاهرة.

٢ - تمثال ضخّم لإله الشمس هليوس Helios، كان ارتفاعه يزيد عن ٣٠ متراً، أقيم حوالي ٢٨٠ ق. م. ويعتبر هذا التمثال إحدى عجائب الدنيا السبع.

الضرورات الأساسية، لأنه اعتقد أن أسوأ الرذائل جميعاً هي رذيلة الجشع والشر! وفضلاً عن ذلك فقد انتقد السكر والنهم في تناول الطعام. كما اعتقد أنه لكي نبقى على ذهن الإنسان صافياً، فمن الأفضل أن يبقى «مرحاً في رصانة واتزان» وها هنا نراه يفضل أن تشرب الماء بدلاً من الخمر، وإن كان لا يطلب من أصحابه أو من الملوك الامتناع الكامل عن تناول الخمر، بل فقط الاعتدال في تناولها. يقول:

«... الفلسفة بالنسبة للملك هي أن يندمج الاعتدال والانغماس معا بنسب معقولة، أو هي الإفراط والصرامة معاً... لكي يكون لديه الكبرياء وعزة النفس».

ولقد دار النقاش حول موضوع العفة عندما تساءل داميس .. Da-mis تلميذ أبولونيوس: هل يمكن أن توجد فضيلة العفة لدى الخصى...؟ ولقد أجاب أبولونيوس بقوله: «إن فضيلة العفة لا يمكن أن توجد لدى الخصى، طالما أن العفة الجنسية لا ترجع إليه هو، بمعنى أنه لم يختَر ذلك وإنما جاء رغماً عنه، وهو يذهب إلى أن العفة الحقيقية – مثلها مثل الاعتدال – لا تعنى العجز عن الإفراط أو الإقلال في أفعالك أو رغباتك، بل هي تنبع من القرار الذي تتخذه وتسير عليه، بحيث تجعل أفعالك ورغباتك تحت سيطرتك<sup>(١)</sup>».

وفي مناقشة أبولونيوس للعدالة نراه يشدد أيضاً على المعنى الإيجابي للفضيلة، ويطرح السؤال الآتي: هل مجرد الامتناع عن الظلم يشكل العدل...؟ لقد تعلم أبولونيوس من براهمة الهند أن العدالة هي

---

1-Beatrice H.Zedler: Julia Domna P.130.

أكثر كثيراً من أن تعنى اللا ظلم، أو عدم ارتكاب أفعال ظالمة؛ ذلك لأنها تتطلب من المرء أن يكون إيجابياً فى فعل ما هو عدل، وأن يحث الآخرين على عدم ارتكاب الظلم<sup>(١)</sup>.

ولم يكن «أبولونيوس» مهتماً بأخلاق الفرد فحسب، بل أيضاً بأخلاق المجتمع، فقد كان مهتماً، بصفة خاصة، بالطريقة التى تحقق بها الانسجام فى المجتمع، وكيف يمكن للفلسفة أن تعين الحاكم وتساعده فى أفعاله، وتقف بجواره وترشده فى سلوكه. وهو يعترف من الناحية الواقعية بوجود منافسة بين المدن (أو الدول)، لكنه يعتقد أن هذه المنافسة ينبغى أن توجه نحو إبراز ما هى المدينة التى تقوم بأداء واجباتها على خير وجه، وتحقق بالتالى مانسميه بالصالح العام. وكثيراً ما نراه يردد ما يقوله أفلاطون فى «الجمهورية»: «...يبدو لى أنه من الأفضل لكل مرء أن يفعل ما يفهمه أحسن من غيره، وأن يفعل الفعل الذى يمكن أن يفعله أفضل من غيره...».

أما من حيث الفلسفة السياسية فقد اعتقد أبولونيوس أن النظام الملكى هو أفضل صور الحكم، ولا سيما إذا كان حاكم القطيع البشرى راعياً عادلاً ولقد عاش هو نفسه تحت حكم العديد من الأباطرة الرومان، ذكر منهما اثنين على أنهما حاربا الفلسفة والفلاسفة، فقد أصدر

---

1-Ibid, P.131.

الإمبراطور نيرون .. Neron<sup>(١)</sup>، مرسوماً بتحريم الفلسفة، فلا يجوز لأحد في روما أن يقوم بتدريسها أو دراستها، وكذلك فعل الإمبراطور الثانى وهو دومشيان Domitian<sup>(٢)</sup> الذى جعل مجرد كلمة «الحكمة» إهانة أو إساءة يستوجب صاحبها العقاب، كما أصدر مرسوماً يعاقب الفلاسفة ويتعقبهم، فى الوقت الذى نجد فيه أباطرة رومان آخرين، من أمثال فسبازيان Vespasian<sup>(٣)</sup>، وتيطس Titus<sup>(٤)</sup> - يطلبون العون من أبولونيوس ويسألونه المشورة، ولقد قال فى معرض رده على فسبازيان: «إن جلالة الملك لا يعلمه أحد، بل أقصى ما يستطيع أن يفعله

---

١ - نيرون Neron (٣٧ - ٨٦) إمبراطور روما ٥٤ - ٨٦ م تميز عهده بالطغيان والوحشية. أقنعت عشيقته أن أمه تتآمر عليه لتسقطه، فرضى أن يقتل المرأة التى حملته فى بطنها، قطاردها رجاله حتى قصرها ولما قبضوا عليها خلعت ثيابها وقالت لهم «ادفعوا سيوفكم فى رحمى»، واحتاج قتلها عدة طعنات، ولما رأى الإمبراطور جثتها العارية كان كل ما قاله «لم أعرف أن لى أمّاً بمثل هذا الجمال»، وكان نيرون يومها شاباً فى الثانية والعشرين من عمره (عام ٥٩ م) مغرماً بالشعر والموسيقى، والفنون الجميلة، والتمثيل، أحرق روما عام ٦٤ م، واتهم المسيحيين بذلك واضطهدهم، وانتحر بعد أن ثار عليه القادة العسكريون فى إفريقيا، وأسبانيا وبلاد الغال (فرنسا).

٢ - دومشيان Domitian (٥١ - ٩٦ م) إمبراطور رومانى (٨١ - ٩٦) ابن الإمبراطور فسبازيان. رقى العرش خلفاً لأخيه الإمبراطور تيطس Titus، كان حكمه استبدادياً يتسم بالقسوة والوحشية، حارب الفلسفة، وتعقب الفلاسفة.

٣ - فسبازيان Vespasian (٩ - ٧٩ م) إمبراطور رومانى (٦٩ - ٧٩ م) حاول القضاء على تمرد اليهود بمحاصرة اورشليم (القدس)، ثم ترك الحصار لابنه تيطس Titus وهرع إلى روما لكى يقر النظام فيها بعد انتحار «نيرون».

٤ - تيطس Titus (٣٩ - ٨١ م) إمبراطور رومانى (٧٩ - ٨١ م) ابن الإمبراطور فسبازيان وخليفته أعاد بناء روما بعد أن أحرقها نيرون.

أن يقدم له مجموعة من النصائح والإرشادات العامة منها:

\* مارس سلطتك باعتدال.

\* دع القانون يحكمك أنت قبل أن يحكم رعيته.

\* احترم الآلهة.

\* لتكن عاهلاً خيراً وصالحاً.

فما الذى يمكن أن يهتم الإمبراطورة «جوليا» من ذلك كله؟! لا شك أنها اهتمت بالجوانب الأخلاقية والسياسية معاً: الأخلاق الشخصية التى تهتم الفرد فى سلوكه، والأخلاق الاجتماعية التى تساعد فى تحقيق الانسجام فى المجتمع. ومن ثم فقد اقتنعت تماماً بأن الفلسفة يمكن أن تكون مرشدة لا فى حياة المرء الشخصية فحسب، بل فى ممارسة السلطة السياسية أيضاً.

على الرغم من أن «فلوستراتوس» لم يكن قد انتهى بعد من تأليف كتابه عن «حياة أبولونيوس» عندما ماتت جوليا عام ٢١٧ م - فإنها بغير شك كانت على علم بمضمونه، فهى التى أمرت بتأليفه وعاصرت مراحل هذا التأليف، وشجعت «فلوستراتوس» وساندته فى كل مرحلة. ومن ثم فقد ذهب أحد الكتاب، بحق، إلى أن هذا الكتاب: «يقدم لمحات مضيئة لذهن امرأة لعبت دوراً رائداً فى فترة حاسمة من التاريخ الرومانى»، وذلك بسبب أنها هى نفسها كانت عاشقة للفلسفة، كما كانت تؤمن بخلود النفس، وحاجة الإنسان إلى الفضائل العقلية والخلقية، بقدر حاجته إلى الإرشاد والتوجيه الذى يمكن أن تقدمه الفلسفة لأولئك الذين لديهم سلطة سياسية ويمارسونها.

وعلى الرغم من أن المذهب الفيثاغورى الجديد نسخته الأفلاطونية  
المحدثة، فلاشك أن «جوليا» قد وجدت الكثير من الموضوعات التي  
اهتمت بها عند أبولونيوس، وكانت جديرة بأن تعجب بها، كما وجدت  
الكثير من التعاليم الفلسفية المألوفة في الفلسفة الكلاسيكية.

## الخاتمة:

تلك هي المرأة اللامعة التي كانت شعلة مضيئة في مدينة روما، فلماذا أطلق عليها المؤرخون في القرن الثالث الميلادي لقب «جوليا... الفيلسوفة»؟

في استطاعتنا أن نجيب، في إيجاز، أن سبب التمسسية يرجع لانشغالها بالفلسفة، ودراساتها لكثير من الموضوعات والمشكلات الفلسفية، كما أنها أمرت بتأليف كتاب عن فيلسوف من الفيثاغورية الحديثة، رأت أن أفكاره لا بد أن يعرفها الناس لما لها من أهمية، كما أنها كانت على علم، وصلة مباشرة، بأفكار السوفسطائيين القدماء، وبمعلمي الخطابة من السوفسطائية الثانية في عصرها، وفضلاً عن ذلك كله فقد تعلمت هي نفسها من خلال صالونها الأدبي، وحلقتها الفلسفية، كما شجعت هي نفسها الآخرين أن يتعلموا، أما واقعة أنها كانت إمبراطورة، فقد كانت ذات مغزى خاص، لقد سبق أن رأينا أن بعض الحكام السابقين من الرجال الأشداء من أمثال «نيرون» و«دومشيان» قد حرموا الفلسفة دراسةً وتدریساً، واضطهدوا الفلاسفة ونفوههم خارج البلاد، وأعدموا أساتذتهم على نحو ما فعل «نيرون» مع سنكا الفيلسوف الرواقى الكبير، عندما أمره بالانتحار، فقطع الرجل شرايينه وترك الدماء تسيل حتى قضى نحبه! أما «جوليا دونا» فقد استخدمت سلطتها الإمبراطورية في حماية الفلسفة، كما أنها ساعدت على ازدهار الفلاسفة، وأعطتهم المكانة التي يستحقونها، وأمرت بتأليف

الكتب عنهم، وتحليل أفكارهم، ومناقشة فلسفاتهم... وليس ذلك  
بالإنجاز الهين<sup>(١)</sup>!

وتقول إثيل كيرزى... Ethel M. Kersey إن «جوليا دونا» .. أو  
«جوليا الفيلسوفة» هي المرأة التي أهدى إليها ديوجنز اللايرتى Dio-  
Laertius كتابه الشهير «حياة مشاهير الفلاسفة»<sup>(٢)</sup>.

---

1-Beatrice H.Zedler: Julia Domna p.123 in"A History of Women Philoso-  
phers" Vol I.,

2 - Ethel M.Kersey: "Women Philosophers A Biocritical Source Book"  
Greenwood Press, New Yourk, 1989, p.137.



# الفصل السابع

« ماكرينا ... Makrina »

« جوهر النفس هو قدرتها على التفكير العقلي،

ولا فرق في ذلك بين الرجل والمرأة... »

ماكرينا ... Makrian

## أولاً: حياتها ومؤلفاتها:

ماكرينا Makrina (٣٣٠ - ٣٧٩ م) قديسة، وفيلسوفة يونانية، وصاحبة أقدم نظام ديني لزهد النساء وتنسكهن، نقل إلينا حياتها شقيقها جريجورى Gregory (٣٣١ - ٣٩٦ م) أسقف نيسا.. Nyssa من (٣٧ - ٣٧٦). وأحد آباء الكنيسة الشرقية، وأحد أبطال مجمع القسطنطينية (استانبول حالياً) .

ولدت فى قيصريّة الجديدة عام ٣٣٠ فى القرن الرابع الميلادى، وهى تنحدر من أسرة أرستقراطية، كان والداها - باسيلىوس وإيميليا - ينتميان إلى الطبقة الأرستقراطية، حيث كانت الأسرة تملك أراضى شاسعة يعمل فيها العبيد. صحيح أن أملاك الأسرة صودرت، لكن من المحتمل أنها عادت إليها عند تولى الإمبراطور قسطنطين الحكم. كان جدها لأمها فقيهاً فى الديانة المسيحية، وضليعاً فى الفلسفة اليونانية على حدٍ سواء. ويخبرنا شقيقها جريجورى كيف أن شقيقته «ماكرينا» عاشت حياة زهد وتنسك. ولقد اختار شقيقها «باسليوس»، و«بتروس» حياة الزهد أيضاً، ولقد خلدها شقيقها الثالث «جريجورى» الذى امتدحها فى كتاب ألفه عنها بعنوان «حياة ماكرينا Vita Makrina»، ويذكر جريجورى أنه كان بينه وبين شقيقته مناقشات فلسفية حول خلود النفس والبعث والقيامة، حتى وهى على فراش الموت.

ولقد دون جريجورى هذه المناقشات فى محاورّة جعل عنوانها «فى النفس والقيامة. De Anima et Resurrectione»، بعد موتها مباشرة. ويتضح من هذه المحاورّة أن «ماكرينا» كانت مثقفة ثقافة رفيعة، وأنها

كانت على دراية ممتازة بالفلسفة اليونانية، فقد علمتها أمها «إميليا Em-melia» لكنها لم تتلق أى تعليم رسمى، على نحو ما تعلم شقيقاتها فى أثينا. ولقد برهنت «ماكريينا» على عقلية ممتازة وعلم واسع بالموضوعات التى ناقشتها الفلسفة اليونانية منذ أفلاطون، ويذهب الباحثون فى حياتها إلى أن محاوره « فى النفس والقيامة» هى الشطر الثانى من محاوره فيدون لأفلاطون<sup>(١)</sup>.

---

1 - Ethel M. Kersey: Women Philosophers: A Bio-Critical Source Book, "P. 146, Green Wood.

## ثانياً : ماكرينا ... والقرات الروحي:

### ١ - وحدة النفس وخلودها

تدافع ماكرينا في محاوره «في النفس والقيامه» عن خلود النفس، في حين يلعب جريجوري دور الخصم، لكي تزداد الحقيقة وضوحاً وتلقاً، وتقلب القضية من جميع الجوانب. أما وجود النفس فهو أمر مسلم به طوال المحاوره على نحو ما جرت العاده في العالم القديم كله. وتصف ماكرينا طبيعة النفس على النحو التالي:

«النفس جوهر مخلوق حي وعقلاني تتغلغل فيه قوة الحياة، والقدرة على إدراك الموضوعات الحسية، وهي توجد في جسم عضوي مزود بالحواس، على قدر ما تهب الطبيعة هذه القوى»<sup>(١)</sup>.

ويذكرنا وصفها للكات النفس بوصف أفلاطون في محاوره «فيدون»، فيما عدا أن ماكرينا تسمى النفس «بالجوهر المخلوق». أما في محاوره فيدون فإن أفلاطون يضع النفس في مرتبة وسطى بين العالم الحسي المرئي وعالم المثل، أو العالم العقلي، وهو يقول في محاوره «طيمائوس... Timaeus» إن النفس خلقها الصانع Demiurgos ولاسيما الجزء الأعلى منها، وهو الجزء العقلي...<sup>(٢)</sup> وتذهب ماكرينا إلى أن النفس هي مبدأ الحياة والحركة، لأن بقايا الجسد الميت ومخلفاته

---

1 - Quoted By: Cornelia W. Wolfske L: Makrina, p.140.

2 - Plato: Timaeus 69. C.

عندما تصبح أشلاء هى نثرات تختفى عند الموت، والتصور الذى يقول إن النفس هى مبدأ الحياة موجود عند أفلاطون فى محاوره فيدون<sup>(١)</sup> بوصفه التصور الذى يذهب إلى أن النفس هى ملكة الإدراك والتفكير، ولا يمكن أن تكون شيئاً مادياً.

غير أن برهان ماكرينا على خلود النفس ليس هو نفسه برهان أفلاطون فى «فيدون»؛ فعندها أنه لا بد أن تكون هناك قوة عقلية وروحية قادرة على التوفيق والتنسيق، وتفسير نتائج كل فعل من أفعال الإدراك الحسى. وهذه القوة الروحية هى: النفس التى هى واحدة، وبسبب هذه الواحدية فإن النفس تبقى بعد فناء الجسد؛ لأن البسيط غير المركب لن يفنى عندما يتلاشى المركب، وهذا يعنى أن النفس التى هى مبدأ الحياة: خالدة. ويظهر هذا البرهان فى الفصل السابع من محاورتها مع شقيقها جريجورى، ويعارض شقيقها فكرتها التى تقول إن النفس تبقى أيضاً مع العناصر التى يعود فيها الجسد الميت. غير أن «ماكرينا» تدافع عن قضيتها: ففى رأيها أن النفس واحدة، وروحية، وغير قابلة للفناء، ولا يمكن أن تنقسم إلى أجزاء مهما يكن نوعها<sup>(٢)</sup>، إن النفس لا يمكن أن تكون مع عنصر - كما يقترح جريجورى - وتترك بقية العناصر، فواحدية النفس وعدم قابليتها للقسمة، يضمنان عدم فناءها.

سوف نتحدث فيما يلى عن زهد «ماكرينا» وتنسكها، لكن لما كان

---

1-Phaedo,105.C.

2-Cornelia W. Wolfskeel Op. Cit. P.141.

هذا الزهد يمكن أن يفهم أفضل فى ضوء تراث الزهد المسيحى، وغير المسيحى، الذى استمر قرونا طويلة، فإنه يبدو من الأفضل أن نصف بإيجاز الحياة العقلية والروحية فى القرن الرابع قبل أن نناقش فلسفة ماكرينا فى شئ من التفصيل.

## ٢ - الزهد أو التنسك Asceticism

الزهد أو التنسك، بصفة عامة، هو كبح الرغبات الجسدية والنفسية وقهرها؛ تحقيقاً لهدف دينى أو مثل أعلى روحى. وهى عملية روحية قديمة مارسها كثير من أتباع الديانات المختلفة، لكن يتخذ الزهد نظاماً أشد صرامة - فى مظهره - فى المسيحية التى قالت إن جسد الإنسان والأرض التى هو جزء منها مأخوذان بخطيئة آدم، فهما لا يستحقان من المسيحى الصحيح سوى الازدراء، وأن الشئ الوحيد ذا القيمة هو الروح. ومن هنا نشأت ظاهرة الرهبانية Monasticism المسيحية التى تحتم على أصحابها الاعتزال فى الأديرة والعيش فيها عيشاً قوامه: العزوبة، والعبادة، والفقر والصبر، والطاعة العمياء. وهذه الظاهرة ليست وفقاً على المسيحية، فللبوذية أيضاً رهبانيتها التى لا تقل صرامة عن رهبانية المسيحية.

ويلاحظ دودز.. Dodds أن القرن الرابع الميلادى شهد ميلاً قوياً نحو الزهد - سواء فى الديانة المسيحية أو غيرها - حتى أصبح ذلك الميل من السمات العامة لذلك العصر، وربما بدأ هذا الميل - فى القرن الأول قبل المسيح - على يد الأفلاطونية المصدثة المبكرة التى نظرت إلى الحياة على هذه الأرض على أنها أدنى من الحياة العليا، وقد تحررت

النفس من البدن وما يحيط به من عالم مادي. أما الأفلاطونية المتأخرة فقد ذهبت إلى أن «نفس» الإنسان هي الوسيط بين العالم العقلي والعالم الحسي الذي ينتمي إليه جسده. ومن ثم فإن الإنسان لا يشعر أنه في بيته، وهو على هذه الأرض، وهو يريد أن يتجاوز هذه الحياة الأرضية. وهناك سمة رئيسية وجوهرية في نفس الإنسان هي أنها تحاول باستمرار أن تبقى على اتصال بالعالم العقلي، حتى أن هدف الإنسان أثناء وجوده على الأرض هو الوصول إلى «عالم المثل» بأن تعيش حياة زهد وتقشف، وعفة، وطهارة، ونقاء. وبمعنى آخر: على الإنسان أن يحيى حياة يقوم العقل بتوجيهها إلى العالم العقلي؛ حتى يحمي نفسه من تجسد جديد بعد الموت. فلا بد أن يكون ذلك هو الهدف الرئيسي لحياة الإنسان على الأرض. وتقوم النفس البشرية بمهمة مزدوجة في المذهب الأفلاطوني Platonism أثناء حياة الإنسان على الأرض، وتكشف هذه المهمة المزدوجة عن تناقض في «النفس»؛ لأنها تجد نفسها في مرتبة وسطى بين العالم المعقول والعالم المحسوس، أما عند أفلوطين Plotinus (٢٠٤ - ٢٧٠ م) وتلميذه فرفوريوس Porphyry (٢٣٢ - ٣٠٤ م)، فإن المرتبة الوسطى للنفس تؤدي إلى ظهور الزهد والتنسك نتيجة للإفراط في التأمل المجرد.

وهكذا ظهرت سمة عامة للأفلاطونية المحدثّة هي الحط من كل ما هو مادي، والتطلع - في شوق عارم - لتجاوز هذه الحياة الأرضية عن طريق الزهد والتنسك. ولهذا قيل إن التصوف عند أفلوطين كان

تصوفاً من نوع خاص، إنه «تصوف عقلى»<sup>(١)</sup>، فقد نظر إلى الفضيلة الأخلاقية وحياة الزهد والتأمل العقلى على أنها وسائل أساسية، وجهود ضرورية تبذلها النفس البشرية، حتى تتحرر من قيود الحياة الجسدية. وهكذا لا تكون الحياة الفاضلة ممكنة بدون درجة معينة من الزهد، أو قل إن حياة الزهد ضرورية لكى نصل إلى العالم العقلى، عالم المثل الذى توحد الأفلاطونية المحدثة بينه وبين العقل الألهى أو النوس..Nous، وتنظر إليه على أنه المثال الحق للفضيلة.

ولقد كتب «فريريوس» إلى زوجته مارسلا.. Marcella يقول إن التطهر والزهد يكمنان خلف توظيف العقل، وذلك هو الطريق الوحيد للوصول إلى الله، ولهذا فإنه ينظر إلى الرجل والمرأة على أنهما متساويان من حيث «النفس»، وهما معاً قادران على الدخول فى حياة الزهد والتنسك، والقيام بالممارسة العقلية التى تحقق الهدف النهائى للحياة، ألا وهو الاتحاد بالله<sup>(٢)</sup>.

### ٣ - الغنوصية ... Gnosticism<sup>(٣)</sup>

الغنوصية، أو مذهب العرفان، مذهب عقلى نشأ فى نطاق

---

١ - التساعية الرابعة لأفلوطين - دراسة وترجمة للدكتور فؤاد زكريا - وزارة الثقافة بمصر - الهيئة المصرية عام ١٩٧٠ ص ٥٢.

2 - Cornelia W. Wolfskeel: Makrina, P.142.

٣ - مصطلح الغنوصية .. Gnosticism مشتق من الكلمة اليونانية «غنوص» Gnosis ومعناها: المعرفة.

الكنيسة المسيحية خلال القرن الأول الميلادي، وازدهر بصفة خاصة خلال القرن الثاني للميلاد، أكد أصحابه أهمية المعرفة الروحية بأكثر مما أكدوا أهمية الإيمان، كما حاولوا التوفيق بين تعاليم المسيح والفلسفات الإغريقية والشرقية، وأنكروا التفسير الحرفي للكتاب المقدس. ومن أجل ذلك اعتبرتهم الكنيسة هرطقة.. Heretics. ومارقين عن الدين.

وتوجد خصائص الزهد أيضاً في الغنوصية التي تنظر إلى العالم الحسى باحتقار، وتعتبره شراً في ذاته، فقد اعتبرت المادة مبدأ مستقلاً، ومصدر كل شر. وهذا ما نجده في مذهب «باسيليدس.. Basilides»<sup>(١)</sup> أحد أتباعها. كما أن العالم الحسى لم يخلقه الله العلى العظيم في مذهب «فالنتينوس.. Valentinus»<sup>(٢)</sup>، بل خلقه «الصانع» ومساعدوه، وهى كائنات شريرة وأرواح دنسة عن طريقها تدلف إلى الخليقة الانفعالات والأهواء. وهذه الخليقة هى نفسها التي أضاف إليها الله العلى العظيم بذرة من الجوهر العلوى هى: الروح. وكل تاريخ العالم هو تاريخ الكفاح ضد جماعة الشياطين التي تحاول القضاء على هذه البذرة. ويمكن للقارئ أن يلحظ بوضوح ما فى الغنوصية من ثنائية مانوية، فقد كان

---

١ - غنوصى مصرى سكندرى من النصف الأول من القرن الثانى الميلادى، وهو مؤسس إحدى عبادات الأسرار التي استمرت قروناً بعده.

٢ - غنوصى مصرى كتب باليونانية - ولد فى أواخر القرن الأول الميلادى ومات حوالى ١٦٦ م. أصله من مصر درس فى الإسكندرية، وطاف حول البحر الأبيض، عكف فى روما على دراسة النصرانية، وانتهى به الأمر إلى اعتناقها، اتهم بالهرطقة بسبب أفكاره الغنوصية، ولم يحل ذلك دون انتشارها والتأثير فى كثرة من التلاميذ الذين انقسموا بعد وفاته فئتين: المدرسة الأناضولية، والمدرسة الإيطالية.

العالم - والمادة فى ذاتها - شرفى مذهب مانى Mani<sup>(١)</sup>، والخيط المشترك بين جميع المذاهب الغنوصية هو أنه لا بد من إنقاذ الإنسان من هذا العالم، واحتقار الجسد والمادة والأمور الدنيوية، وهذه الخاصية موجودة فى الغنوصية منذ سيمون Simon المجوسى<sup>(٢)</sup> الذى قام بكثير من الأعمال السحرية التى تشبه ما تدعو إليه الغنوصية - أدت إلى الزهد الذى تغلغل فى المسيحية المبكرة. غير أن هذا التشابه لا يقدم لنا رابطة أساسية بين الغنوصية والمسيحية.

#### ٤ - الغنوصية، والمسيحية، ودونية المرأة

كانت الغنوصية، إذن، تعتقد أن الشر الأصلى لهذا العالم حقيقة واحدة، وهى تفسر وجود هذا الشر بسبب أن هناك «صانعاً» هو الذى أوجده من مادة شريرة، وليس الخالق العظيم. أما المسيحية فهى، من ناحية أخرى، تؤكد خيرية العالم، وخيرية الله، فالعالم خلقه الله العلى العظيم وهو إله خير، ولهذا جاء العالم خيراً فى أصله، لكنه أصبح شريراً عندما عصى الإنسان إرادة الله، ولهذا تجاذب الموقف المسيحى بين رفض العالم وقبوله، ولاسيما فى بداية المسيحية. فالكون الذى

---

١ - مانى بن فاتك (٢١٦ - ٢٧٤ م) من أنبياء الفرس، جاء ليتم عمل زرادشت وبوذا والمسيح، وتكمن الثنائية Dualism: قاله العلى العظيم يعارضه أمير الظلام، والاثنان عنصران أوليان والعالم مخلوق من أجسام حكام الظلام ولهذا فهو شر. راجع فى ذلك كله «المعتقدات الدينية لدى الشعوب» ترجمة د. إمام عبد الفتاح إمام ص ١٥٠ وما بعدها، مكتبة مديولى، بالقاهرة.

٢ - أعمال الرسل: الإصحاح الثامن: ٩ - ١٠.

نراه لا بد من قبوله على اعتبار أنه خير أو حسن: «ورأى الله كل ما عمله فإذا هو حسن جداً» (سفر التكوين الإصحاح الأول: ٣١) لكن بسبب واقعة أنه «شر» لا بد من رفضه. ويبدو أن تيارات الزهد التي كانت قائمة في القرن الأول الميلادي - انعكس أثرها على الزواج، متأثرة في ذلك بما جاء على لسان القديس بولس - مؤلف سفر الرؤيا - والنظر إلى العذرية على أنها أفضل من الزواج<sup>(١)</sup>.

ويشير بعض الباحثين إلى أن الإنسان قد شعر بعدم الأمان، في العصر القديم في عالم يسوده التغيير المستمر، فحاول أن يهرب من هذه المشاعر المقلقة، وأن يبحث لنفسه عن مأمّن في نوع من «الغنوص..» Gnosis وهو استبطان المرء، وضياع ذاته في المناطق المجهولة من النفس، وفي كراهية هذا العالم. وانحطت المرأة التي كان ينظر إليها على أنها مجرد جسد مادي - إلى مرتبة أدنى من الرجل في جميع المذاهب الغنوصية، وهكذا اعتبرت المرأة خطراً على الرجل، وتجسدت المشاعر التي يهرب منها حتى دفعته إلى أن يسلك في حياة الزهد والتسلط<sup>(٢)</sup>.

---

١ - قارن «حسن للرجل الا يمس امرأة». رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس الإصحاح السابع: ١. وأيضاً: «أقول لغير المتزوجين والأرامل أنه حسن لهم إذا لبثوا لما أنا، - ٨ من نفس الإصحاح. وانظر أيضاً: هؤلاء هم الذين لم يتجسسوا مع النساء لأنهم أطهار...» رؤيا يوحنا اللاهوتي الإصحاح الرابع عشر: ٤.

2 - Cornelia W. Wolfskeel: Makrina, P.143-144

### ثالثاً: ماكرينا ... وروح المرأة:

يروى جريجورى شقيق «ماكرينا» تعريفها للنفس «فى محاوره فى النفس والقيامه»، لكنه يعتقد أن هذا التعريف غير كافٍ فى تفسير ملكات النفس، فهو يعتقد أن هناك ملكات أكثر من ملكات التفكير، وإعطاء الحياة، والإدراك الحسى، فهناك أيضاً ملكات خاصة بالرغبة والغضب التى يمكن النظر إليها كدوافع لكثير من الانفعالات، ومن الواضح أنها ليست جسدية، ومن ثم لا بد أن تنتمى إلى النفس أكثر من أن تنتمى إلى البدن. أو أن نقول بوجود نفس أخرى. وهاتان الفكرتان مستبعدتان عند ماكرينا مادامت ماهية النفس هى ملكة التفكير، فالانفعالات - من ناحية - لا يمكن أن تنتمى إليها، كما أننا لا نستطيع أن نفترض وجود فى نفس أخرى بداخلنا - من ناحية أخرى.

وأجابت ماكرينا أن اعتراضات «جريجورى» وجيهة، فلاشك أن بداخلنا انفعالات كالجوع والرغبة، لكن هل هذه الانفعالات تنتمى إلى ماهية النفس؟ أم أنها أضيفت إليها بعد ذلك؟ تلك أسئلة ينبغى بحثها والإجابة عنها، ولتعتقد ماكرينا أن على أولئك الذين يتحدثون عن النفس أن يضعوا الكتاب المقدس فى أذهانهم. فالكتاب المقدس يقول إن النفس مخلوقة على «صورة الله»، فهى إذن تشبه الله، وعلى ذلك فلا يمكن أن تكون فيها انفعالات ولا أشجان!

غير أن «جريجورى» يعود إلى السؤال: وماذا تظنين فى أمر الانفعالات: الرغبة، والغضب، والجوع، وما إلى ذلك؟ وتجيب ماكرينا: إن هذه حركات داخلية لا تنتمى إلى ماهية النفس، وإنما هى فقط مجرد

قشور Incrustation للنفس؛ لأننا، جميعاً، قادرون على محاربة هذه الانفعالات والانتصار عليها، وهى قدرة تكون فى بعض الأحيان عظيمة النفع لنا.

عرضنا بإيجاز أهم سمات النقاش بين ماكرينا وجريجورى. حيث تظهرنا ماكرينا على إلمام بالفلسفة اليونانية، بما فى ذلك محاوره «فيدون» لأفلاطون، وكتاب النفس De Anima.. لأرسطو، ثم يتصل الحوار بينها بعد ذلك نتيجة لتعليق ماكرينا القائل بأن جميع الانفعالات يمكن ردها إلى انفعالى: الرغبة والغضب، دون أن نعتبرهما ينتميان إلى ماهية النفس، لأن ملكة التفكير هى جهد النفس. ويعترض «جريجورى» على استبعاد الانفعالات من طبيعة النفس رغم أن الكتاب المقدس لا يعتبر الانفعالات سيئة باستمرار، ومن ثم فهى ليست دائماً مما يجدر استبعاده والتخلص منه. وتوافق «ماكرينا» على ذلك، لكنها تعود فتقول إننا نحن الذين نوجه الانفعالات فنجعلها أحياناً حسنة وأحياناً سيئة. كما أنها تشدد على واحدة النفس، وعدم قابليتها للفناء، وخلودها بفضل هذه الواحدة، والنفس البشرية الخالدة تبقى بعد موت البدن.

لا تتابع «ماكرينا» تعريف أرسطو للنفس من «أن النفس كمال أول لجسم طبيعى ذى حياة بالقوة»<sup>(١)</sup>، فهو يرى أن النفس هى

---

١ - أرسطو «كتاب النفس» ٤١٢ ظ - ترجمة الدكتور أحمد فؤاد الأهوانى - مراجعة على اليونانية الأب جورج قنواتى، الطبعة الأولى ١٩٤٩، دار إحياء الكتب العربية، ص ٤٢ - ٤٣.

«صورة» أو ماهية الجسم الطبيعي، ولهذا فلا يمكن فصلها عن البدن، ومن هنا فإن النفس تموت بموت البدن - وينطبق ذلك على النفس النباتية والحيوانية، بقدر ما ينطبق على النفس البشرية. غير أن النفس البشرية عند «ماكريينا» تمتلك أيضاً ملكة التفكير أو النوس.. Nous، وهى تأتى من الخارج وغير قابلة للفناء. وتلاحظ «ماكريينا» أن ملكات النفس هى القوة التى تهب الحياة والتفكير، والقدرة على الخلق والإبداع فى المادة. وعلى الرغم من أن أرسطو بحث جميع مظاهر النفس، فإنه ذهب إلى أن النفس فانية، ولهذا فإن «ماكريينا» تلوم أرسطو لأنه لم ينته من هذه الوقائع إلى إدراك وحدانية النفس وبالتالي خلودها. ويكمن تصور «ماكريينا» لوحدة النفس خلف نقدها لوجهة نظر أفلاطون فى الانفعالات، حيث يقول فى محاوره «فايدروس» بالتشبيه المجازى الشهير للنفس بالعربة يجرها جوادان جامحان مسئولان عن الانفعالات. وترفض «ماكريينا» هذا التصور؛ لأن النفس، عندها، واحدة وشبيهة بالله، وهى أساساً «بلا انفعالات»<sup>(١)</sup>.

ولقد أصبح من الواضح من مناقشة «ماكريينا» لطبيعة النفس وللخلق البشرى، أنها لا ترى فروقاً جوهرية بين نفس الرجل ونفس المرأة، فجوهر النفس عندها، هو قدرتها على التفكير العقلى، ولا فرق فى ذلك بين الرجل والمرأة، وليست الانفعالات أجزاء جوهرية من النفس. ولا تلوم «ماكريينا» النساء - كما فعل كلمنت السكندرى - على

---

1- Cornelia W. Wolfskeel: Makrina, P.145.

الانفعالات الشريرة أو الرذائل المختلفة<sup>(١)</sup>؛ ذلك لأن «ماكرينا» كما رأينا لا تذهب إلى أن الانفعالات جزء من ماهية النفس بحيث تصبح جزءاً من طبيعة المرأة «بقدر ما يعود إلى الاختيار الحر لدى كل امرأة وهنا، تقع المسؤولية على عاتق النساء فرادى، ولكنها لا ترجع إلى الطبيعة الجوهرية للنفس عند المرأة - وهو فهم أعمق كثيراً من تصور كلمنت السكندري الذي اعتبر طبيعة المرأة بما هي كذلك «.. شيئاً مخزياً ومخجلاً حقاً»<sup>(٢)</sup>، أما «ماكرينا» فتري أن طبيعة النفس واحدة، وهي سواء عند الرجال أو النساء، وهي مخلوقة على «صورة الله» وشبيهة به...!

ويبدو أن شقيقها باسيليوس Basilus الملقب بالأكبر، وأحد «الأقمار الثلاثة»<sup>(٣)</sup> - كما قيل عنه - وهو من معلمى الكنيسة - كان يشاركها هذه النظرية. فنحن نراه يشرح الإصحاح الأول من سفر التكوين بقوله:

---

١ - قارن رأى كلنت السكندري في المرأة كتابنا «الفيلسوف المسيحى ... والمرأة» ص: ٦٦ وما بعدها، مكتبة مديولى بالقاهرة (العدد الثالث من سلسلة الفيلسوف والمرأة).

٢ - المرجع السابق ص: ٦٨.

٣ - هو الأخ الأكبر لماكرينا (٣٢٩ - ٣٧٩ م) درس أولاً فى القسطنطينية ثم فى أثينا، وعندما توفى والده عام ٣٥٦ م عاد إلى قيصرية ليعلم فيها البيان. تنصر ثم طاف بمراكز التنسك والزهد فى سوريا، وما بين النهرين، ومصر. وبعد هذه الرحلة باع أملاكه ووزع ثمنها على الفقراء، وعاش متوحداً فى الريف بعيداً عن المدينة.

«تمتلك المرأة أيضاً خصائص الموجود الذى خلق على صورة الله بنفس الطريقة التى يمتلك بها الرجل هذه الخصائص، فطبيعتيهما واحدة، ومتساوية فى الشرف، متساوية فى الفضائل، متساوية فى المنافع، متشابهة وقت الإدانة...»<sup>(١)</sup> ومعنى ذلك أن «باسليوس» ينظر إلى النفس - أو الذهن أو العقل - عند الرجال والنساء على أنه واحد، وعلى أنه صورة لله، أو هو قبس إلهى. وهما معاً - الرجل والمرأة - قادران على تحقيق التشبه بالله عن طريق الفضائل المختلفة، وإن كان التشبه الكامل لا يحققه - فى رأيه - سوى المسيح نفسه الذى كان كاملاً من كل وجه. وهكذا ينظر باسليوس إلى المرأة على أنها مساوية للرجل فيما يتعلق بقدرتها العقلية والروحية: «وذلك لأنها خلقت على صورة الله، فلها نفس العقل - أو الذهن - ومن ثم فلها الغلبة والسيطرة، كالرجل، على المخلوقات الأخرى (الدواب) وعلى رغباتها الدنيا...»<sup>(٢)</sup>.

---

1-Quoted by Cornelia W. Wolfskeel: Makrina, P.147

٢- أفلوطين «التساعية الرابعة» ترجمة ودراسة بقلم د. قواد زكريا ص ١٨٠، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، عام ١٩٧٠.

## رابعاً: ماكرينا ... والخلق، والتجسيد، والقيامة

تنبع آراء ماكرينا عن «الخلق» من فكرتها عن الانفعالات: فالإنسان فى الكتاب المقدس يقف على رأس المخلوقات، ومن ثم كانت النباتات والحيوانات تلى الإنسان فى ترتيب الموجودات. وتذهب ماكرينا إلى أن النفس النباتية موجودة فى النبات، على حين أن النفس النباتية بوظائفها، وكذلك ملكات الإدراك الحسى فى أن واحد موجودة فى الحيوان. أما جوهر النفس البشرية فهو قدرتها على التفكير، غير أن النفس مرتبطة كذلك بالطبيعة الحيوانية. ولقد اقتنعت «ماكرينا» بأن النفس خالدة، وأنها هى الحارسة للعناصر التى يعود فيها الجسد بعد الموت. فالجسد، عندها، يعاد نسجه من العناصر القديمة فى بدن أشد دقة، وسوف يشبه هذا البدن الروحى الجديد الجسد السابق، حتى أن النفس سوف يسهل عليها أن تتعرف عليه.

### ١ - ماكرينا وتراث أفلوطين

يبدو أن توحيد «ماكرينا» بين الله والخير والجميل، له أصول فى الأفلاطونية المحدثه، ولاسيما التساعية الأولى، والسادسة لأفلوطين. فضلاً عن أن أفلوطين يؤكد فى التساعية الرابعة أن للنفس البشرية مهمة مزدوجة وإن كانت واحدة: «النفس واحدة وإن اختلفت الملكة التى تعمل فى كلتا الحالتين. جميع الملكات الأخرى توجد فى كل من هاتين

الملكتين..»<sup>(١)</sup>، ويقول إن الجمال الموجود فى العالم الحسى هو حث للنفس البشرية للسعى نحو جمال العالم المعقول الذى يكون العلم المحسوس نسخة أو صورة أو شبيه له، ويتساءل أفلوطين فى التساعية الخامسة: لم تركت الأنفس الله والدها؟ لقد تجسدت فى البدن لكنها تتطلع شوقاً تجاه العالم المعقول، أعنى تجاه الله، وهو يذهب إلى أن العالم المعقول لا شرف فيه، وإذا كان العالم المحسوس صورة أو نسخة منه فإن ذلك يعنى أن هذا العالم المرئى يشارك بدرجة ما فى ضروب من «الخيرية»، رغم وجود العنصر المظلم فى ذلك العالم ألا وهو «الهيولى» أو المادة. وعند أفلوطين أن النفس البشرية أثناء وجودها فى البدن عليها مهمة المحافظة عليه، لكن عليها أيضاً مهمة أخرى هى البحث عن طريق للعودة إلى العالم العقلى الذى جاءت منه، وهو يعتقد مثل أفلاطون فى (طيمائوس ٨٧هـ) أن الإنسان مركب من نفس وبدن (التساعية الأولى) وهذا يعنى أن الجسد الثانى هو أنسب جسد لطبيعة الإنسان، ولا علاقة لفتائه بسقوط النفس، فالنفس المتجسدة فى بدن هى وحدها التى يمكن أن تخطئ. لكن ليس جسد الإنسان مما يمكن استعادته فى نهاية الزمان إلى العالم المرئى المحسوس، وهو جزء من مسار أزلى للفيض.

وعلى العكس من ذلك تذهب ماكرينا إلى أن قناء جسد الإنسان الحالى سببه «السقوط»، أعنى سقوط الإنسان فى الخطيئة الأولى، فقد كان لدى الإنسان، قبل الخطيئة، جسد بلا انفعالات (انظر كتابها فى

---

١ - أفلوطين «التساعية الرابعة» ترجمة ودراسة بقلم د. فؤاد زكريا، ص ١٨٠، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر عام ١٩٧٠.

## النفس والقيامة الفصل الثامن عشر<sup>(١)</sup>.

وتعتقد «ماكريتا» أن الجسد الروحي الذي يخلو من العواطف والانفعالات سوف تسترده النفس يوم القيامة. لقد كان أفلاطون في محاورة «طيمائوس» يذهب إلى أن فناء الجسم البشري ينتمى أيضاً إلى طبيعة الإنسان، وقد صنعه الآلهة الميثية، في حين أن نفس الإنسان قد خلقها الصانع .. Demiurgos بنفسه، وهكذا كان الإنسان مركباً من النفس والبدن، وأصبحت مهمته الحياة في هذا العالم – كما جاء في محاورة طيمائوس (٤١ هـ و ٤٢ هـ)، وقد يقلت الإنسان من التجسيد أو التناسخ إذا ما عاش في البدن حياة حسنة مستقيمة. أما «ماكريتا» فمن الواضح أنها تختلف عن أفلاطون في تفكيرها فهي تذهب إلى أن الجسد البشري سوف تكون له قيامة، وسوف تسترده النفس في نهاية الزمان بطريقة خاصة.

تقول:

«سوف ترى، عندئذ، أن هذا الثوب البدني الذي تحلل الآن عن طريق الموت، سوف ينسج من جديد من العناصر ذاتها، لابتداء على تركيبه الحالي الثقيل، وإنما سوف يغزل من خيوط أكثر رقة وأشد دقة...»<sup>(٢)</sup>.

وعلينا أن نلاحظ أن «القيامة» فكرة مسيحية قلباً وقالباً، وأن

---

1- Cornelia W. Wolfskeel: Makrina P.157.

2- De Anima et Resurrectione "Quoted by Cornelia, Ibid, P.158.

«ماكرينا» تعتمد فى هذه الفكرة على الكتاب المقدس، على نحو ما سوف يتضح فيما بعد.

## ٢ - ماكرينا... وفورفوريوس

توجد عند فيلسوف الأفلاطونية المحدقة «فورفوريوس» - تلميذ أفلوطين - وجهة نظر يمكن أن نقارنها بأفكار أستاذه، فالتلميذ لا يعتقد أن الأشياء المادية أو الجسمية Corporeal سيئة أو شريرة، على الرغم من أنه، يعتقد أن من الضروري للنفس أن تهرب من جميع الأشياء الجسمية، لكى تبلغ هدفها الحقيقى فى العالم العلوى. إن على البشر أن يتصوروا الله حاضراً فى كل ما يقومون به من أفعال؛ فهو يراقب تصرفاتهم وأفعالهم. والله هو علّة كل ما هو جميل وخير فى العالم، فى حين أن أفعال البشر هى علّة الشر الأخلاقى. لقد كان أفلاطين يعتقد أن الخطيئة فى العالم سببها أن الإنسان يستسلم لأشياء هى أدنى من النفس، وعنده أنه عندما يولد المرء (وهو هنا يتابع أفلاطون فى طيماوس ٤١ - م) يضاف إليه نوع آخر من النفس تنتمى إليها الانفعالات المرعبة، وذلك إضافة إلى النفس العاقلة العليا فى الإنسان، وهكذا تصبح النفس البشرية مركبة، وهذه «التركيبة» هى التى يمكن أن ترتكب الخطايا، فى الوقت الذى تظل فيه النفس العليا للإنسان - التى هى الذات الحقة - كما هى لا تمس. أما فورفوريوس فهو يقول صراحة إن علّة الخطايا الكبرى ينبغى ألا يبحث عنها داخل البدن، بل داخل النفس، وهو يرى أن الفضيلة هى الطريق الوحيد إلى الله، والإنسان الذى يلهث وراء اللذة يتعارض تعارضاً مطلقاً مع حبه لله. إن على المرء أن يتخلى عن

الانفعالات ويكبح جماح الإحساسات التى تثيرها، وهو يرى مثل أستاذه أفلاطون أن النفس يمكن أن تتجسد مرة أخرى بعد الموت، رغم أنه يرفض صراحة تصور أفلاطون الذى عرضه فى طيماوس والذى يقول إن النفس يمكن أن تتجسد مرة أخرى فى جسد حيوان. والمرء خلال حياته على هذه الأرض يمكن أن يجد ثراءه الروحى داخل نفسه، ويمكن أن يعمل العقل؛ لأن عقل الرجل الحكيم (أو المرأة الحكيمة) هو معبد لله، والله هو الموجود الوحيد الذى يحتاج إليه الرجل الحكيم أو المرأة الحكيمة. ويعارض فورفوريوس فى كتابه «ضد المسيحيين Kata Christianoon» الذى وضعه فى خمسة عشر باباً - عارض العقيدة المسيحية فى قيامة الجسد. فعنده أن فكرة القيامة تتناقض مع تصور أزلية العالم. غير أنه يذهب إلى أن روح الإنسان الطيب لا يمكن أن تهبط من جديد أبداً، مادامت الحكمة الكاملة لا يمكن أن توجد فى هذه الحياة الدنيا، والحياة بعد الموت لا بد أن تكتمل عن طريق الوجود الإلهى.

### ٣ - ماكرينا... وتراث فيلو السكندرى

فيلو السكندرى (٢٠ ق.م - ٥٠ م) فيلسوف يهودى، أكبر ممثل للفكر اليهودى المثقف باليونانية فى ذلك العصر، أثر تأثيراً قوياً فى فكر الآباء (آباء الكنسية)، كما أدخل عنصراً جديداً فى تاريخ الفلسفة هو الوحى. كان يسمى بأفلاطون اليهود؛ لأنه حاول أن يوفق بين اليهودية والأفلاطونية. درس «فيلو» موضوع خلق الإنسان فى كتابه «فى الخلق» وأماكن أخرى، وشرح عقيدة «صورة الله» الواردة فى الإصحاح الأول من سفر التكوين، غير أن شرحه معقد وقد أسىء فهمه.

فهو فى بعض الفقرات يتحدث عن المرأة بوصفها موجوداً أدنى من الرجل، ويعتبرها مسئولة عما فى العالم من شرور، وفى أحيان أخرى يتحدث عنها على أنها صورة الله، وأن الله خلقها على صورته. أما النفس العاقلة عند الإنسان، التى هى نسخة من العقل الإلهى Divine.. Logos لا جنس لها، فالتعارض بين الجنسين الذكر والأنثى ينتمى إلى العالم الحسى المرئى، فلم يفكر «فيلو»، من الناحية النظرية، أن لدى الرجل والمرأة معاً نفساً عاقلة، ولهذا فهما معاً «مخلوقان على صورة الله»، لكنه - رغم ذلك - يعتبر المرأة الموجودة فعلاً أدنى من الرجل، وهى علة الشرور فى هذا العالم. وكان «فيلو» أول فيلسوف قدم تفسيراً فلسفياً للإصحاح الأول من سفر التكوين، ولقد اقتنع فيلو - مثل أفلاطون - أن الله لا يمكن أن يخلق أى نوع من أنواع الشر، كما أنه يفسر قصة السقوط فى سفر التكوين على أنها رمز لسقوط العقل عندما أغوته الحواس والعواطف والانفعالات، لكن الإنسان قادر بواسطة هذا العقل نفسه على العودة إلى حالته الأصلية، وهو يرى أن الله الذى لا يمكن أن يضع الشر، ولا يمكن أن يكون علة لأى نوع من أنواع الشر فى العالم، خلق هذا العالم المرئى بإرادته الخيرة، وهدف الإنسان على الأرض هو ممارسة الفضائل المختلفة مع جيرانه. وهذا هو معنى الاتحاد بالله، والنفس التى تتطلع شوقاً إلى الله سوف تحقق هدفها بهذه الطريقة.

#### ٤ - ماكرينا... ونظريات التجسيد

درست «ماكرينا» النظريات المختلفة للتجسيد التي كانت معروفة بين فلاسفة اليونان<sup>(١)</sup>، ورفضتها جميعاً؛ لأن هذه النظريات تعنى وجود حركة دائرية للأرواح بين السماء والأرض، وهذه الحركة فى عودتها، تفترض سلفاً سقوط النفس كسبب لظهورها على الأرض من جديد. وتعتقد ماكرينا أن هذه الفكرة تتناقض مع خيرية الله ومع العناية الإلهية، فإذا كان وجود الإنسان سببه الخطيئة، فإن ذلك يعنى أنه لن يكون صالحاً للفضيلة، وفى الفقرة الرابعة من كتابها فى «النفس والقيامة» ترفض ماكرينا، بوضوح، الفكرة التى تقول إن نفوس البشر العاملة يمكن أن تتجسد أو تتناسخ من جديد فى أجساد الحيوانات والنباتات كنوع من أنواع العقاب عما ارتكبه من خطايا، فلقد صور أفلاطون حياة النفوس المختلفة وهى تتجسد فى حيوانات مختلفة: فهذه نفس تتجسد فى صورة بجعة، و«نفس» المغنى والشاعر «ثاميريس Thameris.. تتجسد فى بلبل، وغيرها فى صورة أسد وهكذا<sup>(٢)</sup> كما أن «أفلوطين» لم يستبعد تماماً إمكان تجسد النفس البشرية فى أجسام الحيوانات والنباتات، ومعنى ذلك أن النفس البشرية عند هذين الفيلسوفين يمكن أن تفقد خاصيتها «العاقلة» كنتيجة لارتكابها للأفعال

---

١ - كانت الآية الواردة فى «سفر التكوين»: «خلق الله الإنسان على صورته، على صورة الله خلقه، ذكر وأنثى خلقهم» - مصدر إرياك كبير لاعداء المرأة، كما كانت موضوع مناقشات لا حصر لها، انظر كتابنا «الفيلسوف المسيحى.. والمرأة» العدد الثالث من سلسلة «الفيلسوف... والمرأة» مكتبة مدبولى بالقاهرة.

٢ - انظر «فى النفس والقيامة» الفصل الرابع عشر فقرة ٣.

الشريرة، ومن ثم تتجسد لهذا السبب فى موجودات أدنى، ولقد سبق أن رأينا أن «فورفوريوس» هو الذى رفض هذه النظرية، ورأى أن النفس البشرية لا يمكن أن تفقد أبداً خاصيتها العقلية، ومن ثم رفض إمكان أن تتجسد فى أجسام الحيوانات.

أما «ماكرينا» فقد عارضت فكرة التجسد بوضوح، ولا سيما إمكان تجسد النفس البشرية فى النباتات والحيوانات. وذهبت إلى أن ذلك سوف يعنى تدمير التفرقة بين الإنسان والحيوان، وفضلاً عن ذلك فإن الحركة الدائرية للأنفس البشرية مرفوضة؛ لأنها تتضمن خلطاً بين الخير والشر. إن الحركة الدائرية فى تفسير «ماكرينا» تبدأ من السماء وتسببها سقوط النفس، وتنتقد «ماكرينا» هذه الفكرة، لأنها قد تعنى أن الخطيئة هى سبب الوجود البشرى الأرضى، وفضلاً عن ذلك فمادامت السماء ينظر إليها على أنها ثابتة لا تتغير بواسطة الوثنيين، فليس من الممكن أن نفسر كيف حدث سقوط النفس. ولا تذكر «ماكرينا» أسماء الفلاسفة الذين تنتقدهم، لكنها عندما ترفض نظرية سقوط النفس فى السماء، فمن الواضح أنها ترفض نظرية أوريجين Origen الفيلسوف اللاهوتى السكندرى المعروف (١٨٥ - ٢٥٢) الذى كان يذهب إلى أن سقوط الموجودات الحرة العاقلة هو الذى تسبب فى الحياة البشرية على الأرض. أما «ماكرينا» فهى تذهب إلى أن النفس والبدن معاً خلقهما الله بإرادته الحرة، ولم تظهر النفس إلى الوجود قبل البدن كما يذهب بعض الفلاسفة. وقل مثل ذلك فى التناسل: فالنفس والبدن يظهران معاً إلى الوجود أثناء الحمل. وهذا يعنى، عند «ماكرينا» أن النفس حاضرة فى الحيوان المنوى الذى يبدأ منه تشكيل الكائن الحى. وعندما تحقق البشرية مسيرتها فسوف تختفى عملية الكون والفساد،

أو الظهور والاختفاء، وسيكون ذلك يوم البعث والقيامة. وهنا سوف تشارك البشرية - بالنفس والبدن - فى الحياة الأزلية، وفى يوم القيامة سوف يسترد الجسد البشرى الفانى بنيته الخالدة التى كان يمتلكها قبل السقوط؛ ذلك لأن «ماكرينا» تعتقد أن صفة الفناء لجسد الإنسان اكتسبها نتيجة لسقوطه فى الخطيئة الأولى، لكن القول بأن للإنسان جسد لا علاقة له بالسقوط على الإطلاق، بل على العكس وجود بدن للإنسان هو جزء من طبيعته ذاتها. والخلاف واضح بينها وبين أوريجين عند هذه النقطة، فالجسد الروحانى الموجود عند أوريجين - يقوم القيامة لا يستبعد إمكان اختفائه أيضاً، أما «ماكرينا» فهى تقيم فكرتها عن القيامة والبعث على أساس الكتاب المقدس. فكما جاء فى مزامير داود أنه سيكون هناك استرداد لجميع الأشياء يوم القيامة، فإنها تنظر إلى استرداد الحياة البشرية كجزء من هذا الاسترداد الشامل.

وتنتهى المحاوره بين «ماكرينا وشقيقتها» جريجورى بالدفاع عن النظرية المسيحية فى البعث والقيامة وهى تستمد معظم أدلتها من الكتاب المقدس، ولهذا فنحن نجد فى نهاية الحوار جوانب لاهوتية ممتعة، وأفكار كثيرة عبّر عنها شقيقتها بعد ذلك فى كتابه «خلق الإنسان» - كانت شقيقته العظيمة قد عرضتها ودافع عنها، وربما اقتضى الإنصاف أن يقوم باحث بالكتابة المفصلة عن هذه المفكرة التى تعد من أعظم نساء القرن الرابع الميلادى، لما كان لها من ذهن ثاقب، وفكر فلسفى عميق؛ ولهذا احتلت مكانة رفيعة بين «النساء... الفلاسفة» فى العالم القديم.



# الفصل الثامن

«هيباشيا ... فيلسوفة»

الإسكندرية»

«عند السُّكر تنال الحقيقة... In Vino Veritas»

## هيباشيا: الميلاد والنشأة:

فى هذا الجو ولدت «هيباشيا» فيلسوفة الإسكندرية عام ٣٧٠م، ابنة ثيون Theon أستاذ الرياضيات فى المتحف، وآخر عالم عظيم من علمائه الذين سجلت أسماؤهم فى سجل أساتذة متحف الإسكندرية<sup>(١)</sup>.

ولست هناك وثائق عن تعليمها المبكر، رغم أن معظم المؤرخين يذهبون إلى أنها قد تعلمت ودرست فى البداية على يد والدها الذى كان يقوم بتدريس الرياضيات والفلك فى المتحف، ولكن بما أنه لم يرد ما يؤكد لنا أن أبها درس الفلسفة، ومادامت «هيباشيا» قد درست الفلسفة ثم حاضرت فيها بعد ذلك فى مدينة الإسكندرية (داخل المتحف وخارجه) - فلا بد لنا من أن نفترض - على أقل تقدير أنها درست الفلسفة على يد فلاسفة من مدرسة الأفلاطونية المحدثة، وهى الفلسفة السائدة فى المدينة فى ذلك الوقت، أو أنها قد ثقفت نفسها بنفسها، بقراءة تاريخ الفلسفة، ولا سيما مؤلفات أفلاطون وأرسطو أولاً، ثم أفلوطين والأفلاطونية الجديدة بعد ذلك<sup>(٢)</sup>.

---

١ - ول ديوارنت «قصة الحضارة» المجلد الثانى عشر ص ٣٤٦ ترجمة محمد بدران - دار الجيل للطبع والنشر - بيروت.

2- Ethel M. Kersey: «Women Philosophers» P.134 Greenwood press N.Y. 1989.

وهناك رأى ضعيف يقول به معجم سويداس Suidas Lexicon<sup>(١)</sup> مفاده أن هيباشيا قد درست الفلسفة فى أثينا. ويتشكك معظم المؤرخين فى هذه الرواية، ويؤكدون أنها تعلمت على يد علماء الرياضة فى متحف الإسكندرية، كما درست الفلسفة على يد باحثين آخرين (ربما كانوا من فلاسفة المكتبة). ومما يثير الشك فى رواية سويداس قوله: «إن علية القوم فى مدينة أثينا قد عرّهوا إلى هيباشيا عندما وصلت إليها» - ولو صح ذلك لكان معناه أنها كانت شخصية مرموقة ومعروفة، وليست طالبة عندما زارت المدينة، ويبدو أن القول بأن «علية القوم فى مدينة أثينا قد قاموا بزيارتها، يعنى أن عظماء الفلاسفة كانوا يعاملون معاملة حسنة من الشخصيات العامة فى أثينا عندما يأتون لزيارتها، أو أن هيباشيا لما لها من مكانة رفيعة قد زارها علية القوم فى أثينا - على نحو ما كان يزورها علية القوم فى مدينة الإسكندرية<sup>(٢)</sup>.

الأرجح، إذن، أن هيباشيا قضت فترة التلمذة فى مدينة الإسكندرية كما جاء فى دائرة المعارف البريطانية: «فيلسوفة مصرية وعالمة فى الرياضيات ولدت بالإسكندرية عام ٣٧٠، وماتت بالإسكندرية فى مارس عام ٤١٥.. كانت المرأة الأولى التى لمعت فى ميدان الرياضيات

---

١ - سويداس Suidas مؤلف معاجم يونانى من مدينة القسطنطينية. كتب معجمه الشهير Suda, Isuidas Lexicon فى أواخر القرن العاشر الميلادى، ويعد من أغنى مصادر التراث اليونانى حتى ذلك التاريخ.

2- Mary Ellen Waithe: A History of Women Philosophers Vol. P.177 Kluwer Academic Publishers, 1992.

واشتهرت بكونها عالمة فيها<sup>(١)</sup>.. بل إن العبارة توحي بأنها لم تترك الإسكندرية قط. وعلى كل حال فالثابت أنها قضت فترة الطلب على الأقل فى هذه المدينة، وأنها كانت طالبة مجدة ومتميزة، وذات قدرات عالية؛ وذلك لسببين على الأقل:

الأول: أن الثابت أنها تعلمت على نفقة الدولة، فقد دفعت لها نفقات التعليم من الموارد العامة<sup>(٢)</sup>، وذلك شىء فريد أو هو استثناء له دلالة هامة، ولا سيما إذا عرفنا أن النساء بصفة خاصة لم يكن يتم اختيارهن لينفق عليهن من الموارد الرسمية<sup>(٣)</sup>.

والثاني: أنه قرب نهاية عام ٤٠٠م. تم تعيينها فى المتحف، وكانت فى الخامسة والعشرين (أو الثلاثين على الأكثر) من عمرها. ويظهر هنا الإستثناء واضحاً أيضاً، ولا سيما إذا عرفنا أن حكومة الإسكندرية كانت مسيحية (أو شبه مسيحية) فى ذلك الوقت، فى حين كانت هيباشيا لا تزال على ديانة اليونان. ويرى بعض المؤرخين أنه ما دامت التعيينات فى المتحف كانت تتم بأمر من الإمبراطور أو نوابه، فلا بد أن تكون هيباشيا أستاذة متفوقة حتى تنعم بمميزات علماء المتحف (كالراتب، والسكن، والمكانة... إلخ)، فى هذه السن الصغيرة<sup>(٤)</sup>. كانت هيباشيا تلقى محاضراتها فى المتحف (وربما فى المكتبة).

---

1- Encyclopedia Britannica Vol.O.P.200.

2- Mary E. Waithe: Op. Cit. P.170.

3- Ibid, P.171.

4- Ibid.

ويقول سقراط - المؤرخ المسيحي - إنها بزت أهل زمانها من الفلاسفة عندما عينت أستاذة للفلسفة بالإسكندرية، فقد هرع لسماع محاضراتها عدد كبير من الناس من شتى الأقطار النائية، وكان الطلاب يتزاحمون ويحتشدون أفواجاً إليها من كل مكان، وكانت الخطابات توجه إليها باسم «الربة Muse» أو «الفيلسوفة»، وعندما كانت هيباشيا تقوم بشرح مذهب أفلاطون أو أرسطو - كانت قاعة درسها تكتظ بأثرياء الإسكندرية وأكابرها... كانوا يختلفون إلى قاعاتها ليستمعوا إليها، وهى تبحث فى هذه الموضوعات التى أثارت الجدل منذ زمن: من أنا؟ وإلى أين مصيرى؟ وماذا فى استطاعتى أن أفعل أو أن أعرف؟ أين مكانى فى نظام الأشياء؟ ما طبيعة الإله؟ ما طبيعة الخير والشر...؟<sup>(١)</sup>.

ولما كانت هيباشيا معروفة بجمالها الأسطورى<sup>(٢)</sup>، وكانت قد عزفت عن الزواج وتفرغت للفكر، فقد كان من الطبيعى أن تتعرض لبعض المضايقات من طلاب تقدموا للزواج منها، ولألوان أخرى من الغزل من شباب لا يأخذ الدراسة مأخذ الجد، ويروى المؤرخون نماذج من هذه المضايقات: فقد ظل أحد الطلاب يطارها، وتعهد أن يلاحقها بعد انتهاءها من دروسها، لكنها لقنت هذا الشاب الوسيم «زير النساء» درساً بأن قذفت فى وجهه «بفوطه» مستعملة، وإن كانت نظيفة، وهى تصيح «إن الاستمتاع بالجنس هو هدفك أيها الشاب الأحمق، لا

---

1- Ethel M, Kersey: «Women Philosophers» P.134 Greenwood press. N.Y. 1989.

2- Ibid.

الاستمتاع بالفلسفة<sup>(١)</sup>» ويروى بعض المؤرخين أنها حاولت علاج الانفعالات الطاغية عند الشباب «بمناهج الفلسفة وتعاليمها»... غير أن زير النساء لم يرتدع، فأخذت منديلاً كانت قد استعملته، وقذفت به فى وجهه وهى تقول: «هذا هو ما تحب، أيها الشاب الأحمق، وهو ليس شيئاً جميلاً» ذلك أن الأفلاطونيين، وهى منهم، يعتقدون أن الخير والحكمة والفضيلة وغيرها تحمل فى داخلها قيمتها، ولهذا فإن الناس يرغبون فيها لذاتها، أما أن يكون الشخص جميل الطلعة، جذاب المحيّا، متناسق الجسد.. إلخ، فتلك ليست قيمة إنسانية ذات جدارة خاصة، وهى لا ترتبط بالقيم إلا بتشابهات سطحية. ولقد كانت «هيباشيا» تدرس الفكرة الحقّة عن الحب الأفلاطونى وتمارسها، وهكذا استطاعت أن تصل بواحد من طلاب الفلسفة فى الإسكندرية إلى مرحلة يشعر فيها بالخل من نفسه، وكانت تلك هى أفضل طريقة لعلاجها أيضاً<sup>(٢)</sup>.

ويروى لنا «ول ديورانت»، نقلاً عن سويداس Suidas فى معجمه - قصة أخرى فيها الكثير من المغالاة، فضلاً عما تنم عنه من سلوك شائن يصعب على المرء أن يصدق أن تقوم به العذراء الفاضلة «هيباشيا»، كما كانوا يطلقون عليها، ومضمون القصة: «أن شاباً راح يضايقها بالحاحه المستمر حتى عيل صبرها، فما كان منها إلا أن رفعت ثيابها، وقالت له: إن الذى تحبه هو هذا الذى يرمز إلى التناسل، وليس هو شيئاً جميلاً قط»<sup>(٣)</sup>، وأكبر الظن أن هذه القصة مختلقة، بدليل أن

---

1- Mary E. Waithe: Op. Cit. P.172.

2 -Ibid.

٣ - ول ديورانت: مرجع سابق ص ٢٤٧.

ديورانت نفسه يتشكك فيها ويقول: «لعل أعداءها هم مخترعوها»<sup>(١)</sup>؛ ذلك لأن المؤرخين الذين كتبوا عنها مجمعون على أنها كانت شخصية محترمة، على خلق رفيع، ولذا فمن المستبعد جداً أن يكون السلوك السابق هو ردها على الشاب الأحمق.

ومهما يمكن من شيء فالثابت أنها رفضت الزواج من كل من تقدم طالباً أن تقترب به.. وظلت عذراء طوال حياتها، كما كانت قوية الشخصية تفرض احترامها على الجميع، ويصفها إدوارد جيبون E.gibbon (١٧٣٧ - ١٧٩٤) - وهو أعظم المؤرخين الإنجليز في عصره - في عبارة موجزة بقوله: «رغم أن هذه العذراء المتواضعة كانت بارعة الجمال، ناضجة الحكمة، فإنها رفضت عشاقها، وعلمت تلاميذها دروساً، ولذا تلهف أشهر الناس مقاماً وجدارة على زيارة تلك الفيلسوفة»<sup>(٢)</sup>. وجاء في دائرة المعارف البريطانية.. «اجتمعت لها الفصاحة والتواضع والجمال مع قدراتها العقلية الممتازة، فجذبت عدداً هائلاً من التلاميذ»<sup>(٣)</sup>. ويقول سقراط المؤرخ إنه «بلغ من رباطة جأشها، ودمائة أخلاقها الناشئين عن عقلها المثقف، أن كانت في كثير من الأحيان تقف أمام قضاة المدينة، وحكامها، دون أن تفقد - وهي في

---

١ - نفس المرجع في نفس الصفحة.

٢ - إدوارد جيبون «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» المجلد الثاني ص ٥٠٠ ترجمة لويس اسكندر، ومراجعة أحمد نجيب هاشم - الهيئة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة عام ١٩٦٩.

3- The New Encyclopedia Britannica Vol. 6. P.200.

حضرة الرجال - مسلكها المتواضع المهيب، الذى امتازت به عن غيرها،  
والذى أكسبها احترام الناس جميعاً، وإعجابهم بها..(١).

غير أن هذا الإعجاب لم يكن - فى واقع الأمر - يشمل الناس  
جميعاً، فما من شك أن مسيحيى الإسكندرية كانوا ينظرون إليها بقدر  
غير قليل من الكراهية؛ وذلك لأسباب متعددة منها:

**أولاً:** أنها ظلت على ديانة اليونان الوثنية.

**ثانياً:** كان المسيحيون الأول ينظرون إلى «هيباشيا» على أنها  
تجسيد للعلم والفلسفة والثقافة بصفة عامة، وهى أمور تتحد فى  
نظرهم مع الوثنية فى هوية واحدة. يقول أ.ولف. A-Wolf:

«لقد كان العداء عنيفاً بين المسيحية فى عهدها الأول وبين  
الفلسفة والعلم، ولقد تجلى هذا العداء فى موقف الاحتقار الذى كانت  
تقفه متهما(٢). وهو ما كان يترجم على الصعيد العملى فى اضطهاد  
المفكرين الوثنيين، وتدمير معابدهم، وإحراق كتبهم، وهدم دور العلم  
الذى يترددون عليها، ونهب ما يجدونه فيها - وهو ما كان يقوده  
«توفيلوس» كبير الأساقفة كما سبق أن ذكرنا.

**ثالثاً:** كانت «هيباشيا» فى رأيهم ترتبط بعلاقة صداقة وطيدة  
مع حاكم المدينة الوثنى أورستيس Orestes، الذى كان يستشيرها فى

---

١ - ول ديورانت: مرجع سابق ص ٢٤٧.

٢ - نقلاً عن د. توفيق الطويل فى كتابه «قصة الصراع بين الدين والفلسفة ص ٩٤  
(من الطبعة الثالثة) دار النهضة العربية ١٩٧٩.

كثير من المسائل الفلسفية، ولما كانت الخلافات مستمرة بين هذا الحاكم وكبير الأساقفة، فقد حملوها مسؤولية هذه الخلافات، وأصبحت بما هي كذلك النقطة المحورية فى التوترات وأمور الشغب التى وقعت بين المسيحيين وأعدائهم، والتى اجتاحت مدينة الإسكندرية أكثر من مرة»<sup>(١)</sup>.

ولابد لنا أن نتوقف قليلاً عند رئيس الأساقفة الذى عاصرته فيلسوفة الإسكندرية، ونعنى به «القديس كيرلس»، وهو الذى نال لقب «القديس» لقاء ما ارتكبه من جرائم فى حق الطوائف الأخرى انتصاراً للمسيحية، كما يقول جيبون: «يعتبر لقب القديس الذى لقب به دليلاً على أن أراءه وفريقه كُتبت لهم الغلبة فى نهاية الأمر...»<sup>(٢)</sup>.

تولى كيرلس السكندري منصب رئيس أساقفة المدينة عام ٤١٢ م خلفاً لعمه توفيلوس Theophillus بعد أن تشرب فى منزل هذا العم دروس الغيرة والحق والهُوس الدينى، صحيح أنه كان قد قضى خمس سنوات من شبابه فى أديرة صحراء النطرون مع مجموعة من الرهبان عندما ظهر نظام الرهبنة المسيحية أول ما ظهر فى مصر، وفى مدينة

---

1 - The New Encyclopedia Britannica Vol,6,P.200.

٢ - إدوارد جيبون «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها» المجلد الثانى ص ٤٩٧.

الإسكندرية على وجه التحديد<sup>(١)</sup>، لكنه رغم ذلك كانت تسيطر عليه «قيم الحياة الدنيا ومباهجها». أو بعبارة إدوارد جيبيون «كان كيرلس يؤدى الصلاة والصيام خلال إقامته فى الصحراء، غير أن أفكاره (وهذا تقرير من صديق له) ظلت عالقة بالدنيا»<sup>(٢)</sup>، ولهذا فسرعان ما لبى الدعوى فى شوق ولهفة، عندما استدعاه عمه «توفيلوس إلى جلبة المدينة وضجيجها حيث: المناصب، والأضواء، والأنصار، وزخارف الحياة، فبادر الناسك الطموح إلى الاستجابة لتلك الدعوة، وشجعه عمه على تقلد منصب «واعظ الشعب»، وحقق فى هذا الميدان الصيت والشهرة التى كان يرجوها، وامتلاً المنبر بجسده الضخم المهيّب، ودوى صوته الرخيم فى أرجاء الكاتدرائية. وكان الأصدقاء والأنصار والمعارف يجلسون هنا وهناك ليكونوا فى مقدمة المصفقين المهللين من بين المجتمعين.. بينما راح الكتبة يدونون أحاديثه ومواعظه فى مذكرات سريعة لتوزيعها على الجمهور.

وعندما تربع كيرلس على عرش الأسقفية، استغل بُعْدَه عن البلاط الإمبراطورى، ورئاسته الدينية لعاصمة ضخمة فى العالم القديم هى مدينة الإسكندرية، وراح يغتصب شيئاً فشيئاً مكانه حكامها المدنى

---

١ - يذهب المؤرخون إلى أن نظام الرهبنة المسيحى نظام مصرى أساساً، فهو امتداد لنظام الرهبنة أو النسك الذى عرف فى عبادة سارابيس Sarapis، فى منف وغيرها. هـ - إيدرس بل «مصر من الإسكندر الأكبر حتى الفتح العربى» ص ١٦٤ - ١٦٥ ترجمة د. عبد اللطيف أحمد على، دار النهضة العربية بيروت عام ١٩٨٨.

٢ - إدوارد جيبيون: «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»، المجلد الثانى ص ٤٩٧.

«أورستيس.. Orestes : وسلطته، فتصرف بمحض إرادته فى صدقات المدينة العامة والخاصة، وكان صوته يلهب مشاعر الجماهير التى تحولت حديثاً إلى المسيحية. وهكذا كثر الأتباع والأنصار، بل تعصب لأرائه وأفكاره كثيرون ممن ألفوا مشاهد الموت، فكانوا يطيعون أوامره طاعة عمياء(١).

واشتد حماس كيرلس لمحاربة «الهرطقة» التى اتسع مفهومها عنده حتى شمل كل من ليس مسيحياً يدين بأفكار كبير الأساقفة. فاليهود الذين زاد عددهم حتى بلغ أكثر من أربعين ألفاً (٢) - بل يرى البعض أن عدد أفراد الجالية اليهودية فى الإسكندرية تجاوز يهود أورشليم نفسها فى ذلك الوقت(٣) - كانوا يعيشون فى جو من التسامح كفله القياصرة، والبطالمة من «الوثنيين»، وإقامة طويلة قدرها سبعمائة سنة منذ تأسيس الإسكندرية. غير أن كيرلس، ودون أى سند قانونى، ودون أى تفويض ملكى، ودون أن تكون له أدنى سلطة سياسية قاد - مثلما فعل عمه من قبل - مجموعة من «الغوفاء» من الجمهور المتمرد، ومن مثيرى الشغب والفتنة، فى فجر أحد الأيام

---

١ - المرجع السابق.

٢ - المرجع السابق ص ٤٩٩.

٣ - فيليب حتى «خمسة آلاف سنة من تاريخ الشرق الأدنى» ص ١٨٣. وانظر أيضاً غسان خالدي: «أفلوطين: رائد الوحدة» ص ٢٠ منشورات عويدان عام ١٩٨٣، ويرى آخرون «إن عدد سكان مدينة الاسكندرية بلغ ما يقرب من نصف مليون نسمة كان خمسهم من اليهود» د. أحمد صبحى فى «فلسفة الحضارة» (الحضارة الإغريقية ص ٢١٧)، حاشية مؤسسة الثقافة الجامعية بالإسكندرية.

لمهاجمة معابدهم. وعجز اليهود عن المقاومة، وهم عُرِّل، ولم يأخذوا للأمر عدته، فهدمت أماكن عبادتهم وسويت بالأرض، ثم كافأ الأسقف المناضل قواته الظافرة بأن سمح لها بنهب ممتلكات اليهود، ثم طرد من المدينة من تبقى من أبناء «الشعب الكافر» مبررا عمله هذا بأنهم كانوا مسفين فى الثراء، وأنهم كانوا يكرهون المسيحيين.

ولقد شكأ أورستيس Orestes حاكم مصر إلى الإمبراطور ما يرتكبه كيرلس من جرائم، غير أن شكواه العادلة ضاعت أدراج الرياح؛ إذ لم تقابل من وزراء «ثيودسيوس» إلا بالنسيان السريع، ولا سيما أن رئيس الأساقفة كان يلجأ إلى الهدايا القيمة التى تساعد الذاكرة على النسيان، لكنه، مع ذلك، ظل فى أعماقه يضممر المقت والكراهية لهذا الحاكم، ويتربص به، حتى وافته القرصة: «فعندما كانت عربة الحاكم تخترق شوارع المدينة هاجمها فريق مكون من خمسمائة راهب من رهبان صحراء النطرون، فهرب حارسه أمام وحوش الصحراء، وقوبلت احتجاجاته بأنه مسيحى وكاثوليكي بسيل من الحجارة، فسالت الدماء من وجهه، وسارع مواطنو الإسكندرية المخلصون إلى نجدة(١)». وعلينا أن نتذكر جيداً هذه القصة التى رواها «جيبون»؛ لأنها ستتكرر مرة أخرى مع فيلسوفة الاسكندرية بطريقة أكثر إحكاماً ووحشية.

كانت «هيباشيا» تعيش للفكر وحده، بعد أن رفضت الزواج كما ذكرنا، وترهينت فى محراب الفلسفة، بطريقة تختلف كثيراً عن طريقة

---

١ - إدوارد جيبون «اضمحلال الإمبراطورية الرومانية» المجلد الثانى ص ٤٤٩ - ٥٠٠.

الرهبان سالفة الذكر، فقد عاشت العذراء حياة روحية حقيقية تستهدف البحث عن الحقيقة، وبلغ من حبها للفلسفة أنها كانت تقف فى الشارع وتشرح لكل من يسألها عن النقاط الصعبة فى مؤلفات أفلاطون أو أرسطو فيما يقول ديورانت<sup>(١)</sup>، كما درست أفلوطين، والأفلاطونية المحدثة، وشددت على الحب الروحى لا الجسدى الذى يتفق بالطبع مع المذهب الأفلاطونى عمومًا، والأفلاطونية الجديدة بصفة خاصة<sup>(٢)</sup>. ولك أن تقارن بين المحبة الوثنية وأفكار «الرهبان» فى وادى النطرون.

تلهم الناس لسماع «هذه العذراء المتواضعة، بارعة الجمال»، كما سعى عليه القوم فى المدينة لزيارة تلك الفيلسوفة الشابة فيما يروى «جيبون».. وكان كيرلس يشاهد بعين الحقد والحسد ذلك الرتل الضخم من الجياد الذين اصطفوا على باب أكاديميتها... فسرت إشاعة - كان هو نفسه مصدرها على الأرجح - تقول إن «ابنة ثيون» هى العقبة الوحيدة فى طريق التوفيق بين الحاكم «أورستس»، ورئيس الأساقفة كيرلس. كما لو أن العذراء المتواضعة كانت هى المصدر الذى أوحى لرئيس الأساقفة بأن يبدأ عهده بالتنكيل بأتباع نوفاشيانوس - وهم أكثر أبناء الطوائف براءة وبعدًا عن الأذى<sup>(٤)</sup> - أو أنها هى التى أشارت عليه بمهاجمة حى اليهود فى المدينة، ونهب ما فيه ، وطرد من

١ - ول ديورانت: «قصة الحضارة» المجلد الثانى عشر ص ٢٤٧.

2 - Ethel M. Kersey: Op. Cit. P.135.

٣ - إدوارد جيبون - مرجع سابق ص ٥٠٠ - ٥٠١.

٤ - المرجع السابق ص ٤٩٩.

فيه، أو أنها هى التى رتبت قيام خمسمائة من الرهبان باعتراض طريق الحاكم ومهاجمته.

لم يكن شىء من ذلك صحيحاً، لكن رئيس الأساقفة كان يمهّد لجريمة جديدة. ففي يوم مشئوم من فصل الصيام الكبير «المقدس»، وعلى وجه التحديد فى ليلة مظلمة من ليالى مارس ٤١٥ م، ولسبب مجهول حتى الآن احتار فيه المؤرخون لما نثره المغرضون من أسباب وحجج - اعترضت جماعة من رهبان صحراء النطرون - الذين قضوا فى الصحراء سنوات طويلة «يصارعون قوى الشر مجتمعة» كما يقولون، ويديرون معركة «صراع باطنى ضد شهوات الجسد، ووسائل النفس الأمارة بالسوء»<sup>(١)</sup> - اعترض هؤلاء الرهبان طريق عربة «هيباشيا» بإيعاز من كبيرهم كيرلس، فأوقفوها، وأنزلوا الفيلسوفة الشابة الجميلة - كما فعلوا مع حاكم المدينة من قبل - ثم جروها إلى كنيسة قيصرين Caesarun، حيث تقدمت مجموعة من هؤلاء الرهبان وقاموا بنزع ثيابها واحداً واحداً حتى تجردت من ملابسها لتصبح عارية كما ولدتها أمها<sup>(٢)</sup> - مشهد بالغ الغرابة يقوم به النساك الأظهارة! - المهم أنه تقدم بعد ذلك بطرس القارىء Peter The Reader (وهو قارىء الصلوات فى الكنيسة) وقام بذبحها، وهى عارية، وقد أمسك بها

١ - هـ . أيدرس بل «مرجع سابق» ص ١٦٦.

٢ - قارن التصوير الأدبى الرائع لقصة اغتيالها - كتاب أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود «فى مفترق الطرق» ص ٥٨ وما بعدها دار الشروق عام ١٩٨٥، وتاريخ الفلسفة الغربية لرسيل ج ٢، ص ١٠٣، وديورانت مرجع سابق ص ٢٤٨.. إلخ.

مجموعة من الرهبان ليتمكن قارئ الصلوات من ذبحها ذبح الشاه، ثم عكف الرهبان «الأنقياء القلب» على مهمة بالغة الغرابة، وهى تقطيع جسدها إلى أشلاء مستمتعين بما يفعلون، ثم أمسكت كل مجموعة شلوا بعد شلورواحت تكشط اللحم عن العظم بمحار حاد الأطراف. وفى شارع سينارون Cinaron أوقدوا ناراً ذات لهب «وقذفوا فى النار بأعضاء جسدها، وهى ترتعش بالحياة» فيما يقول رسل، حتى تحول الجسد إلى رماد، وهم يتحلقون حوله «فى مرح وحشى شنيع» على حد تعبير «ديورانت».

أيمكن أن يكون هؤلاء الوحوش من تلامذة المسيح؟ أيمكن أن نقول إنهم «نور العالم» و«ملح الأرض» كما كان يصف حواريه؟ المسيح الذى عفا عن مريم المجدلية الزانية «وقال لها مغفور لك خطاياك» لوقا ٧: ٤٨ - وقال عن زانية أخرى «من كان منكم بلا خطيئة فليرمها أولاً بحجر..» يوحنا ٨: ٧ - هل يمكن لمن ذبح فيلسوفة شهد لها أهل زمانها، أن يكون تلميذاً «لابن الإنسان» الذى رفع شعاره فى موعظة الجبل بعدم مقاومة الشر بالشر: «لا تقاوموا الشر بالشر، بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضاً..» متى ٥: ٩.

غير أننا لا بد أن نسأل - قبل ذلك كله - لماذا جردها الرهبان من ملابسها قبل اغتيالها؟ فما دام «الذبح» فى نيتهم فلم يكون وهى عارية تماماً؟ ألا يمكن أن يقول لنا علم النفس الشئ الكثير عن هذا الموقف الغريب؟ أليست هناك علاقة بين هذا الموقف، وما قاله صديق كرلس عنه من أن «فكره ظل عالقاً بالدنيا؟» ألا يعنى ذلك أن الرهبان عندما دخلوا فى معركة مع شهوات الجسد لم ينتصروا فيها، بل كان

انتصارهم ظاهرياً، فى حين ظلت الغلبة لهذه الشهوات؟ أياكون تجريدها من ملابسها قد تم حتى يتمكن الرهبان «أنقياء القلب» من «معاينة» جسد العذراء، وهو عار تماماً قبل الذبح؟ لقد سبق أن رأينا كيف حدث هذا المشهد نفسه مع «أورستيس» حاكم المدينة، وكاد الرهبان أن يفتكوا به لولا أن أنقذه المخلصون من أبناء الإسكندرية: ترى أكانوا يقومون بتجريده هو الآخر من ملابس قبل اغتياله لو حدث أن تمكنوا منه؟ ربما ارتسمت ابتسامة عريضة على وجه القارئ لهذا السؤال، مما يجعلنا نكرر السؤال الأول: لماذا، إذن، جردوا «العذراء» من ثيابها، اللهم إلا إذا كانت شهوات الجسد لا تزال طاغية، فأرادوا أن يمتعوا القلب النقى بمشهد الجسد الجميل العارى، ولما كان يصعب على الرهبان أن يصلوا إليه، فإنه يسهل عليهم تمزيقه!

## أعمالها : الأنشطة التعليمية

جاءت معلوماتنا عن الأنشطة التعليمية والثقافية التي قامت بها «هيباشيا» من عدد من المصادر بما فى ذلك بعض تلاميذها المشهورين، فالفيلسوف اليونانى دمشيوس Damascius – وكان من أتباع الأفلاطونية الجديدة – يروى أنها كانت تحاضر فى علم الهندسة والرياضيات، ويخبرنا «فلوستجوريوس Philostogorius، أنها بذت فى الرياضيات والدها ثيون Theon أشهر علماء متحف الإسكندرية فى هذا العلم، ويروى هسيخيوس Hesychius عالم النحو السكندرى فى أواخر القرن الرابع الميلادى، وصاحب معجم الكلمات اليونانية – أن «هيباشيا» كانت عالمة فلك ممتازة مثل والدها، ولقد تأكدت شهرتها فى هذه المجالات كلها فى الخطابات التى تبادلتها مع تلميذها سينسيوس Syne-sius أشهر تلاميذها على الإطلاق، وهو يحتاج إلى أن نقف عنده قليلاً:

«ولد سينسيوس بقورينا (إقليم برقة الآن) وهو لهذا كثيراً ما ينسب إليه فيقال سينسيوس القورينائى – ولد حوالى عام ٣٦٥. ولقد حضر فى عام ٣٩٣ من بنتابوليس Pentapolis – أى المدن الخمسة ببرقة – إلى الإسكندرية ليدرس على يد فيلسوفة شهيرة فى الثالثة والعشرين من عمرها. وفى نفس التاريخ تقريباً الذى رحل فيه سينسيوس إلى الإسكندرية ليدرس على «هيباشيا» – كان الإمبراطور الرومانى ثيودوسوس Theodosius قد منع ممارسة الشعائر الدينية الوثنية فى مصر؛ حيث كانت أعمال الشغب قد انتشرت بالفعل بين الوثنيين والمسيحيين<sup>(١)</sup>.

حضر سينسيوس إلى الإسكندرية ليدرس الرياضيات والفلسفة على «هيباشيا»، لكنه ظل حتى آخر حياته صديقها الوفي، وكان يسميها «الشارحة الحقة للفلسفة الحقة»، ثم زار أثينا وقويت عقيدته الوثنية، ولكنه تزوج بامرأة مسيحية عام ٤٠٣، واعتنق على أثر ذلك الديانة المسيحية، وحول ثالوث الأفلاطونية المحدثة المؤلف من: الواحد، والعقل، والنفس - إلى: الأب، والروح، الابن. وكتب كثيراً في المسيحية منها: كتاب عنوانه: «فى انعدام النوم Deinsommis» وكتاب عنوانه: «ديون Dion»<sup>(١)</sup> وسوف نعود إليها بعد قليل.

والملاحظ أنه على الرغم من تحول سينسيوس القورينائى من الوثنية إلى المسيحية، فإن أستاذه «هيباشيا» بقيت على ديانة اليونان، ولكنها مع ذلك لم تغضب عليه، ولم تتحول مشاعرها نحوه على الإطلاق، وعندما عين بعد ذلك «أسقفًا فى كنيسة كاثوليكية من كنائس بطليمية»، لم يقل حبها له، ولم تأكل الغيرة قلبها عندما كانوا يصفونه بأنه «الأسقف الفيلسوف». ولك أن تقارن ذلك بالموقف السالف الذكر للقديس كيرلس من «هيباشيا» سواء من حيث موقفه من العقيدة، أو من حيث المكانة.. فى آن واحد. وظلت العلاقة بينهما قائمة على المحبة والاحترام المتبادل. ويقول جورج سارتون «... وصلنا ١٥٩ خطاباً تمتد تواريخها من سنة ٣٩٤ إلى سنة ٤١٣.. وهو يسألها فى الخطاب

---

١ - قارن التصوير الأدبى الرائع لقصة اغتيالها - كتاب أستاذنا الدكتور زكى نجيب محمود «فى مفترق الطرق»، ص ٥ وما بعدها، دار الشروق عام ١٩٨٥، وتاريخ الفلسفة الغربية راسل ج ٢ ص ١٠٣. وديورانت مرجع سابق ص ٢٤٨... إلخ.

2- Mary Ellen Waither: Op. Cit. P.173.

الخامس عشر أن تصنع له جهازاً لقياس الوزن النوعى للسوائل Baiyilion، وهو نوع من الهيدرومتر - فى هذا الخطاب أول وصف وصل إليها لهذا الجهاز»<sup>(١)</sup>.

ويذكر «سينسيوس» فى خطابه أنه كان «لهيباشيا» الفضل فى تثقيفه ثقافة شاملة، فقد درست له - مع شروح وافية - مؤلفات أفلاطون وأرسطو، كما درس على يدها ميتافيزيقا الأفلاطونية المحدثة وأسرارها، فضلاً عن بعض العلوم الطبيعية مثل: علم الفلك، والميكانيكا، والرياضيات<sup>(٢)</sup>، ونحن نعلم من مصادر أخرى أن سينسيوس درس على يد «هيباشيا» فلسفة أفلوطين، والفلسفة الدينية الوثنية التى تعارض - إلى حد ما - الفلسفة المسيحية، ولقد أصبحت فلسفة أفلوطين بصفة عامة، جانباً متكاملاً فى عملية الانتقال العقلى من الفلسفة اليونانية الوثنية إلى المسيحية، ولقد كانت دراسة سينسيوس لأفلوطين على يد «هيباشيا» هى التى أدت به إلى اعتناق المسيحية، ثم إلى أن يصبح بعد ذلك أسقفاً فى إحدى الكنائس الكاثوليكية - كما سبق أن ذكرنا - وهو يقول فى أحد خطابه إن الناس، فى ذلك العصر، لم ينظرون إلى «هيباشيا» على أنها فقط أعظم شارحة على قيد الحياة لفلسفة أفلاطون وأرسطو، بل إن تلاميذها كانوا يأتون إليها من أماكن نائية ليدرسوا على يدها الحكمة والفلسفة الحقة. وفى خطاب من سينسيوس عام ٣٩٥ إلى هيركيولانوس... Herculianus يقول لقد

---

1- Ibid. P.174.

٢ - جورج ساتون «العلم القديم والمدينة الحديثة»، ص٦٧، ترجمة د. عبد الحميد صبرة.

سافر الشباب من قورينا Cyrene إلى الإسكندرية ليدرسوا على يد:

«... شخصية معروفة تماماً ويبدو أن شهرتها كانت تفوق الوصف. لقد رأيناها بأنفسنا، بعد أن سمعنا عن تلك المرأة التي تتربع، بشرف، على قمة الأسرار الفلسفية...»<sup>(١)</sup>.

فى عام ٤٠٤ أرسل سينسيوس إلى «هيباشيا» كتابين من تأليفه هما: «فى انعدام النوم» و«ديون»، وكانت قد عينت فى ذلك الوقت رئيسة للمدرسة الأفلاطونية الجديدة فى الإسكندرية - وهو فى هذا الخطاب يسألها أن تكتب تعليقاتها على الكتابين. ولقد لاحظ «سينسيوس» نفسه أنه ربما كان كتاب «فى انعدام النوم» وحياً إلهياً، وهو لهذا عازم على نشره مهما اختلفت فيه الآراء. وليس فى استطاعتنا أن نستنتج من خطابه أن آراء «هيباشيا» الإيستمولوجية كانت تنكر الإيمان بالوحى الإلهى كمصدر من مصادر المعرفة. وأغلب الظن أنها لم تناقشه فى المقدمات التى بدأ منها. أما الكتاب الثانى فوضعه مختلف؛ إذ تذكر رسالة سينسيوس أنه لن ينشر كتاب ديون Dion إلا بعد أن تكتب له «هيباشيا» رأيها فيه، وتوافق على نشره. وبما أن الكتاب قد تم نشره بالفعل فإن لنا أن نستنتج من ذلك أن «هيباشيا» قد وافقت عليه، وكتاب «ديون Dion»، فى جانب منه دفاع عن الفلسفة ضد الخطباء الذين صنفوا أنفسهم على أنهم فلاسفة، ويتحدث فيه «الأسقف الفيلسوف» عن الأفلاطونية الجديدة التى تعلمها على يد «هيباشيا» وهو مزيج من الصوفية والمذهب الكلبى، قاله ليس موجوداً متعالياً

---

1- Mary Ellen Waithe; Op. Cit. P.173.

فحسب، وإنما هو واحد أيضاً، ولا يمكن للإنسان أن يعرفه معرفة مباشرة بأية طريقة. ومن الواحد المتعالى المفارق يفيض النوس الكلى Nous (العقل) الذى تشبه أفكاره النظرية مثل أفلاطون. ومن النوس Nous نفسه تفيض المادة ماهية الكون المادى، والسبب المباشر للكون، ولموجوداته الحسية. ولما كانت المادة «شراً» والنوس هو المقدس، ومادام الإنسان فى جانب منه مادة، وفى الجانب الآخر روحاً وعقلاً، فإن الإنسان فى جانب منه شرير، وفى الجانب الآخر روح مقدس، وفى استطاعة الإنسان من خلال ضبط النفس، والإخضاع الكلى للحواس أن يصبح قادراً على تلقى الوحي المباشر عن الحقيقة الإلهية من النوس أعنى من العقل الكلى. ولقد قاربت هذه الفلسفة ذات الأبيستمولوجية الدينية بين «سينسيوس» و«هيباشيا»، فهى تتفق تماماً مع وثنية «هيباشيا» ومسيحية «سينسيوس»<sup>(١)</sup>.

ومن الأنشطة التعليمية التى قامت بها «هيباشيا»، أنها كانت تدرس - كما سبق أن ذكرنا - مؤلفات عمالقة الفلاسفة الوثنيين: أفلاطون وأرسطو، كما أنها قامت بتدريس فلسفة فيثاغورس وزينوفان، والمدرسة الكلبية، ويضيف بعض المؤرخين المدرسة الرواقية أيضاً، كما وضع شروحاً على فلسفة أفلوطين. ولما كانت مهتمة مثل أبيها بالرياضيات والعلوم، فربما ركزت بعض الوقت على أن تدريس تلك المؤلفات القديمة التى تتعلق بالميتافيزيقا، والكسمولوجيا، والأبيستمولوجيا - أكثر من اهتمامها بالفلسفة السياسية والأخلاقية.

---

1- Ibid.

ومن المحتمل كذلك أن تكون قد قامت بتدريس كتاب «ديوفنطس Diophantus علم الحساب... Arithmeticorum»<sup>(١)</sup>.

ومن السهل أن نتبين كيف أن ثقافة «هيباشيا» الفلسفية قد ساعدتها في تشكيل الأساس الطبيعي لما أصبح اهتمامها العقلي الأول، وأعنى به: علم الفلك. فقد كانت، مثل والدها «ثيون.. Theon» عالمة فلك، وعالمة رياضية، (فالملك كان فرعاً من الرياضيات) ولقد كان علم الفلك في بداية القرن الخامس الميلادي من أهم العلوم في الدراسات الفلسفية التي كانت تشمل في جوفها الأفرع المختلفة من المعرفة البشرية، حيث كانت الفلسفة أم المعارف، أو ملكة العلوم Regina scientiarum. ومن هنا فقد سعى العلماء التجريبيون وعلماء الرياضة في آن واحد إلى فهم ميتافيزيقا أرسطو، فضلاً عن الفيزيقا والكسمولوجيا، وتطبيقاتها. كذلك إبستمولوجيا أفلاطون وتطبيقاتها على الكون المرئي مستخدمين نظريات الرياضة والهندسة، والأدوات والأجهزة العلمية للإجابة عن أسئلة فلسفية أساسية مثل من نحن؟ وما هو مصيرنا؟ وأين مكان الإنسان في نظام الأشياء؟... إلخ<sup>(٢)</sup>.

---

1- Ibid. P.174.

2- Ibid. P.175.

## الشروح ...

قامت «هيباشيا» - على ما يروى سويداس فى معجمه - بتأليف ثلاثة كتب هامة هى:-

١ - شرح على كتاب «ديفونطس Diophantus» السكندرى المسمى «علم الحساب Arithmeticon»، أو «الآرتمطيقا» ... كما كان يسميه العرب.

٢ - شرح على كتاب بطليموس المجموع الرياضى أو المركب الرياضى Syntax. Mathematica (وهو العنوان الأسمى اليونانى للكتاب المعروف فى التراث العربى باسم «المجسطى»، حيث كان يطلق على الكتاب أحيانا اسم Megiste Syntax، أى المركب العظيم أو المجموع العظيم، فأخذ العرب كلمة Megiste - أى العظيم - وأضافوا إليها أداة التعريف Al فأصبحت المجسطى، أو الكتاب العظيم!).

٣ - شروح على كتاب «قطوع المخروط Conic Sections»، لأبولونيوس البرجى Apollouins Pergaeus .

وعلى الرغم من أن سويداس يروى أن الكتب الثلاثة قد فقدت، فإن «مارى إيلين ويث» كشفت عن وجود كتابين منهما على الأقل، وهما الكتاب الأول والثانى، أما الثالث فمن المحتمل أن يكون قد بقى أيضاً باسم شروح على النظريات الهندسية للبرجى Pergaeus.

ويجدر بنا أن نسوق كلمة موجزة عن هذه المؤلفات:

## أولاً: شرح على كتاب ديفونطس ... Arithmeticon

لقد كان ديفونطس السكندري الذى إزدهر حوالى عام ٢٥٠ م - عالم رياضة مرموقاً فى النصف الثانى من القرن الثالث للميلاد؛ فهو صاحب الكتاب المعروف باسم أرتمطيقا أى «علم الحساب»، وكان يقع فى ثلاثة عشر كتاباً (أو مقالة)، لم يبق منها سوى ستة كتب فحسب، ولقد اختلف الباحثون حول المقالات أو الكتب التى فقدت من كتاب ديفونطس، والمقالات أو الكتب التى ظلت موجودة حتى الآن، لكنهم، مع ذلك، متفقون على أن «هيباشيا» كانت أعظم، وأشهر شارحة لهذا الكتاب فى العالم القديم. كما أننا نعرف من بعض المصادر الحديثة أن التنقيحات والتعديلات التى أدخلتها «هيباشيا» على كتاب علم الحساب هى - فيما يبدو - أقدر وأعمق نسخة من هذه المخطوطة<sup>(١)</sup>.

وترجع أهمية «ديفونطس» وكتابه (وبالتالى شروح «هيباشيا» عليه) إلى أن هذا العالم كان أول من بذر البذور التى أثمرت علم الجبر فيما بعد، وإن كان هناك إجماع على أن أثر المصريين والبابليين فى أعماله الرياضية كان بارزاً جداً، إذ ظل يحل كل مسألة تُعرض عليه حلاً مستقلاً دون أن يرجع إلى طريقة علمية، ولا إلى قاعدة عامة. لكنه مع ذلك كان أول من تعرض لفكرة إيجاد كم مجهول له نسبة ما إلى كميات أخرى معلومة. وإن كان قد وقف فى معالجته لهذه الفكرة التى أثمرت

---

1 - Mary Ellen Waithe: "A history of Women Philosophers" Vol. 1. P.178.

الجبر عند الطرق الفيثاغورية التي كانت ترمز لكل عدد بخط أو شكل هندسى أكثر تعقيداً، والتي كانت تحل البراهين الهندسية محل العمليات الحسابية المعهودة الآن<sup>(١)</sup>.

وحتى نتبين جيداً مدى أهمية شروح «هيباشيا» على هذا الكتاب فلا بد أن نضع فى ذهننا التفرقة التي ساقها أفلاطون فى محاوره جورجياس Gorgias بين العلم النظرى المجرد الذى يدرس موضوعات عامة بغير تخصيص، وبين الفن التطبيقي لهذا العلم، فلقد ميز سقراط فى هذه المحاوره بين علم الحساب Arithmetic، وبين فن العد Calcula- tion (بين الجانب النظرى المجرد والجانب العملى التطبيقي للحساب) ملاحظاً «أن علم الحساب يبحث فى العدد الزوجى والعدد الفردى بغض النظر عن كمية كل منهما أو مقدارهما...»، بينما فن العد «يبحث فى الكمية أو كيف يرتبط العدد الزوجى أو الفردى بنفسه من حيث الكمية، من ناحية، وبعضهما البعض الآخر من ناحية أخرى»<sup>(٢)</sup>.

غير أن التفرقة بين الأعداد المجردة - كالأعداد الزوجية والفردية بصفة عامة (أعنى علم الحساب) - وبين الأعداد الخاصة أو النوعية أو المحددة (فن العد) كثيراً ما كانت تختفى عند «ديفونطس»؛ وذلك بسبب أن «فن العد» عنده كثيراً ما كان يتخذ شكلاً مجرداً، فكان دور «هيباشيا» أن شرحت أولاً هذه التفرقة، ثم أدخلت ثانياً مشكلات

---

١ - قارن عمر فروخ: «تاريخ العلوم عند العرب» ص ٢٦ - ٢٨، دار العلم للملايين، الطبعة الرابعة بيروت عام ١٩٨٤. ود محمد ثابت الفندى «فلسفة الرياضات»، ص ٨٣ - ٨٤، دار النهضة العربية الطبعة الأولى بيروت، ١٩٦٩.

2- Plato: Gorgias. 451 - B.

جديدة، كما أسهمت فى التوصل إلى بعض الحلول البديلة للمشكلات الأصلية عند ديفونطس، مما أدى إلى توضيح الطابع المجرد، فضلاً عن توضيح طبيعة علم الحساب بصفة عامة، وأبرزت إسهامات ديفونطس التى أثمرت نظرية الجبر بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

ولقد قامت «مارى إلين ويث Mary E.Waithe» فى كتابها «تاريخ الفلاسفة من النساء» المجلد الأول ص ١٨٢ - بترجمة ما أضافته «هيباشيا» من تعليقات وتنقيحات. كما قامت بترجمة جانب من الشروح المتبقية التى اشتهرت بها «هيباشيا» فى العالم القديم. وذلك فى ص ١٧٨ و ص ١٧٩، و ص ١٨٠، نقلاً عما نشره «بول تانرى Paul Tan- nery» الذى نشر النص اليونانى، وفى مقابله «النص اللاتينى» لكتاب ديفونطس علم الحساب، كما نشر القس أ. روم A.Rome النص نفسه مع مراجعة ثيون Theon والد «هيباشيا» له<sup>(٢)</sup>.

---

1- Mary Ellen Waithe: Op. Cit. P.177.

2- Ibid. P.183.

## ثانياً: شرح على كتاب بطليموس

### «المجموع الرياضى Syntaxis Mathematica»

كان «بطليموس كلوديوس Ptolemy Claudius» وهو الملقب عند العرب ببطليموس القلوذى، أشهر العلماء فى هذه الحقبة، ومن أشدهم تأثيراً فى الشرق والغرب بعد أرسطو، وقد ظل كذلك حتى كوبرنيكس Copernicus وهو عالم فلك، ورياضة (وكان الفلك فرعاً من الرياضيات كما قلنا). وجغرافى وفيزيقي مصرى يونانى، ولد فى صعيد مصر، ونشأ فى مدينة الإسكندرية فى الربع الأخير من القرن الثانى الميلادى (حوالى عام ١٧٠م)<sup>(١)</sup>، وقد وضع بطليموس كتباً كثيرة كان أشهرها كتابه «المجموع أو المركب الرياضى» والمعروف فى اليونان باسم «التصنيف العظيم فى الرياضيات» وهو المعروف فى التراث العربى باسم «المجسطى Al Mageste» نحتاً من كلمة Megitse اليونانية التى تعنى «عظيم»، وإضافة أداة التعريف الـ Al» لنعنى كلمة - كما سبق أن ذكرنا - العظيم، فهو الكتاب العظيم؛ ذلك لأنه دائرة معارف فى علوم الفلك والمثلثات وموضوعاته: كروية العالم، وثبوت الأرض فى مركز العالم، والبروج، وعروض البلدان، وحركة الشمس، والانقلابان الربيعى والخريفى، والليل والنهار، وحركات القمر وحسابه، والخسوف والكسوف، والنجوم الثابتة، والكواكب المتحركة<sup>(١)</sup>.

---

١- Ethel M. Kersey: Women Philosophers P.135.

وأكثر ما شغل بال بطليموس الكواكب المتحيرة وحركاتها (فى رأى العين) فإذا كانت الأرض ثابتة فى مركز العالم، والشمس والقمر والنجوم والكواكب تدور حولها من المشرق إلى المغرب، فلماذا نرى القمر والكواكب الخمسة (عطارد والزهرة والمريخ والمشتري وزُحل) تتحير فى اسماء: تتقدم حيناً على الشمس وتتأخر عنها حيناً، ويتقدم بعضها على بعض مرة بعد مرة وتختلف مواقعها فى السماء بين حين وآخر، بالإضافة إلى النجوم الثوابت؟

والواقع أن مشكلة الكواكب المتحيرة كانت ترجع إلى الاعتقاد بأن الأرض ثابتة فى مركز العالم، وليست كوكباً يدور حول الشمس التى هى مركز نظامنا الشمسى<sup>(٢)</sup>.

ولقد كان «بابوس Pappus»، و«ثيون.. Theon». والد «هيباشيا» - هما أعظم شراح كتاب «المجسطى» لبطليموس فى ذلك الوقت. غير أن «هيباشيا» اشتهرت بأنها كانت منقحة لعلم الفلك عند بطليموس، وهو ما يرويه المؤرخون من أمثال «فابريقيوس Fabricius»، وسقراط المؤرخ و«سويداس Suidas»، وغيرهم. وقد افترضوا أن ما قامت به هذه الفيلسوفة قد فقد. غير أن مجموعة من الكتب بقيت لنا من أواخر القرن الرابع وأوائل القرن الخامس، بما فى ذلك العديد من النسخ من شروح «ثيون» على كتاب المجموع الرياضى لبطليموس،

---

١ - عمر فروخ «تاريخ العلوم عند العرب» ص ٤٨، دار العلم للملايين بيروت عام ١٩٨٤.

٢ - المرجع نفسه ص ٤٩.

والجداول الفلكية التى يرجح الباحثون أنها من تأليف «هيباشيا». ويلاحظ بول تانرى Paul Tannery.. أن ترديد الدعوى التى روج لها المؤرخ «فابريقوس» والتى تقول إن شروح هيباشيا» قد فقدت - جعل مؤرخى الرياضيات يفشلون فى التعرف على اختلاف مزدوج: ظهور جداول فلكية جديدة فى عصر الشراح، تماثل العمل الأسمى من ناحية، ثم اختفاء عمل هام (شروح «هيباشيا») دون أن يكون له أثر... وهكذا ينتهى تانرى إلى أن الجداول الفلكية هى من تأليف «هيباشيا»، كما ينتهى باحث آخر إلى أن مؤلفاتها وشروحها على كتاب بطليموس لم تفقد كلها، إذ يلاحظ ج.ف. مونتوكلا J.F. Montucla بقاء:

«الكتاب الثالث من الشروح (على المجسطى.. Almageste) وهى الشروح التى ينسبها إليها سراحة والدها «ثيون...»، والظاهر أن ثيون كان يقوم بإعداد شروح على كتاب بطليموس، وأنه طلب من «هيباشيا» مراجعة المخطوطة ومسائل رياضية، ومنهجية، وعقلية، عديدة - لم يقف عندها أحد من قبل: لا «ثيون» ولا بطليموس نفسه، فبدأت هى فى دراستها ومواجهتها. لكنها أثناء تحليلها لهذه المسائل، أعادت دراسة القيم الرياضية للأحداث السماوية التى وصفها علماء الفلك القدامى بما فيهم «بطليموس»، كما وضعت الجداول الفلكية التى جاءت كنتائج لهذه الدراسة. ولقد كانت شروحها على الكتاب الثالث من «المجسطى» (وربما الكتب التالية أيضاً) هى التى جعلت تحليلاتها للموضوعات الفلسفية والرياضية أكثر ثراءً وقوة - وهى الموضوعات التى أوحى بها والدها «ثيون» فى شروحه الأصلية. وعندما تطورت هذه التحليلات أصبحت الشروح، شروحها هى، ولهذا السبب فإننا نرى المؤرخين يقولون إن

والدها ينسب إليها هذه الشروح.

وتقع شروح «هيباشيا» على الكتاب الثالث من كتاب بطليموس «المجسطى» أو المجموع الرياضى - فى الصفحات من ٨٠٧ حتى ٩٤٢ فى المجلد الثالث من الطبعة التى قام بنشرها الأب روم.. A.Rom. ولم تظهر لهذه الشروح حتى الآن أية ترجمة بلغة حديثة؛ لأن هذا الكتاب مازال يتحدى المترجمين بصعوبته، وتعقيداته؛ لأن فهم النص لا يحتاج فحسب إلى معرفة باللغة اليونانية السكندرية التى كانت سائدة فى القرن الخامس الميلادى، بل يتطلب كذلك إماماً دقيقاً بالطبعات المبكرة لمؤلفات بطليموس، كما يتطلب أيضاً معرفة بالرياضيات والفلك المصرى القديم.

والواقع أننا إذا أردنا أن نقدر شروح «هيباشيا» على الكتاب الثالث من المجسطى فإن علينا أن نضع هذه الشروح فى سياقها التاريخي. لقد وضع بطليموس نظاماً لعلم الفلك مكتملاً إلى حد ما، فكان التخطيط الهندسى للسماء كما يراه علماء الفلك يناظر تقريباً النظرية الهندسية، أما التعارضات بين النظرية والملاحظات الفلكية، فقد فسرها بطليموس بافتراضه البسيط الذى جعل الأرض مركزاً للكون، وظلت تلك هى النظرية المعتمدة حتى جاء كوبرنيكس Copernicus (١٤٧٣ - ١٥٤) عالم الفلك البولندى الشهير، فذهب إلى أن الأرض وسائر الكواكب السيارة تدور حول الشمس وحول نفسها. فهل قرأ كوبرنيكس تعليقات «هيباشيا» على الكتاب الثالث؟! أكان على علم بالانتقادات المنهجية التى وجهتها إلى بطليموس؟! الثابت، تاريخياً، أن كوبرنيكس ذهب إلى إيطاليا لدراسة علم الفلك، وأنه كان شغوفاً بقراءة

كل ما تستطيع يده أن تصل إليه عن علماء الفلك القدامى، ولا سيما بطليموس، كما أنه قرأ بإمعان الشروح التي كتبت عن بطليموس، أكان يمكن ألا يقرأ ما أسماه البعض أعظم شروح وصلت إلينا عن بطليموس، وأهمها، شروح ثيون وابنته «هيباشيا»؟! إن الثابت تاريخياً أيضاً أن كوبرنيكس سافر إلى فلورنسا في الوقت الذي كانت فيه هذه الشروح مصنفة في مكتبة لورنزودى مديتشى renzo di Midicilau برقم ١٨٠٢٨، فهل يمكن أن يكون قد زار فلورنسا، لكنه لم يتوقف عند مكتبة تضم أعظم النصوص القديمة وأشهرها في إيطاليا؟! أيمن ألا يكون قد قرأ «هيباشيا»؟!

## ثالثاً: شروح على كتاب

### القطوع المخروطية Conic Section

يذكر «معجم سويداس» وكذلك سقراط المؤرخ، وفابريقيوس وغيرهم - أن «هيباشيا» ألقت كتاباً عنوانه شروح على كتاب «القطوع المخروطية» لأبولونيوس البرجي Apolonius of Pergaeus، والظاهر أن هذا الكتاب هو الوحيد الذي فقد من مؤلفات «هيباشيا» الثلاثة. ولقد قام عالم الفلك الإنجليزى الشهير إدموند هالى Edmund Halley (١٦٥٦ - ١٧٤٢)، فى نهاية القرن السابع عشر بتجميع النسخ العربية واللاتينية القديمة من كتاب «القطوع المخروطية» فى محاولة لإعادة تجميع النص الأصيل، وما كتب عليه من شروح، وتعليقات، وقد تعرف على شروح «هيباشيا» من بين ما جمعه من شروح، وإن كان قد وجد صفحة العنوان فقط دون أن يجد نص الكتاب نفسه، كذلك لم تنجح «مارى ويت»، فى العثور على المادة العلمية التى كان «هالى» يشتغل عليها، ومازال الأمل ضعيفاً فى العثور على هذا الكتاب الذى يتضمن شروح «هيباشيا» على النص الأصيل<sup>(١)</sup>.

بقى أن نشير إلى اختراعين كثيراً ما ينسبهما المؤرخون إلى «هيباشيا»:

الاختراع الأول:

---

1- Ibid. P.191.

البلانسفير Plansisphere، وهي خريطة ذات ثلاثة أبعاد لنصف الكرة السماوية، ذات أداة تشير إلى الجزء المنظور منه فى وقت معين. أو الآلة الفلكية القديمة المسماة «الأسطرلاب.. Astrolabe» التى طلبها منها تلميذها سينسيوس Synesius، وقد أهداها سينسيوس بعد ذلك إلى باينوسوس Paeonius، وهو نبيل فى بلاط الإمبراطور فى القسطنطينية<sup>(١)</sup>.

الاختراع الثانى:

يسألها سينسيوس فى الخطاب الخامس عشر إليها - أن تصنع له جهازاً لقياس الوزن النوعى للسوائل Baryllio، وهو نوع من الهيدرومتر terHydrome، وفى هذا الخطاب أول وصف وصل إلينا لهذا الجهاز<sup>(٢)</sup>، ويقول «تأمرى» إن هذا الجهاز الذى ابتكرته «هيباشيا» كان يستخدم لمعرفة الأوزان المختلفة للسوائل التى يستخدمها المرضى بوجه خاص، حيث كان الطب القديم ينصح المرضى بتناول السوائل الأخف وزناً لأنها أفضل<sup>(٣)</sup>.

---

1- Ibid. P.192.

١ - جورج سارتون: «العلم القديم والمدينة» ص ١٦٧.

3- Mary E. Waithe. Op. Cit. P.192.

## خاتمة...

تلك نبذة موجزة عن «هيباشيا» فيلسوفة الإسكندرية التى ولدت فى جو ثقافى حرص عليه الملوك البطالمة، فدرست الفلسفة والرياضة والفلك وبزت أهل العصر فى هذه المعارف، فقد تمكنت من الفلسفة ولا سيما عمالقة الفكر اليونانى زينوفان وفيثاغورس وأفلاطون وأرسوط، ثم أفلوطين والأفلاطونية الجديدة، وحاضرت فى الميافيزيقا والإبستمولوجيا، وأمدتها الفكرة بالأسس النظرية التى استخدمتها فى تقييم النظريات الفلكية والهندسية، وكانت عقلاً ناضجاً شهيراً حتى قبل أن تصل إلى سن الثلاثين. لقد عاشت فى بيئة عقلية كانت تستبعد منها النساء، وعينت فى منصب لم تسبقها إليه امرأة قط: رئيسة لمدرسة الأفلاطونية الجديدة، وعرفت فى عصرها بالفيلسوفة العظيمة<sup>(١)</sup>.

هذه «الفيلسوفة العظيمة» تعرضت للاضطهاد من جانب التعصب الدينى، أو الهوى الدينى بمعنى أدق، فتمزقت أشلاء، وألقيت أطرافها المرتعدة - فيما يقول جيبون - فى لهب النار «... ثم أوقف البطريرك أو كبير الأساقفة سير التحقيق والعقاب العادل بالهدايا المناسبة. غير أن مقتل هيباشيا وصم أخلاق كيرلس السكندرى وديانته وصمة عار لا تزول ولا تمحى...»<sup>(٢)</sup>. ويقول رسل: «وبعدئذ لم يعكر

---

1- Ibid. P.193

٢ - إدوارد جيبون «اضمحلال الامبراطورية الرومانية» - المجلد الثانى ص ٥٠١.

الفلاسفة صفو الاسكندرية أبدأ...»<sup>(١)</sup>. فقد رحل أساتذة الفلسفة الوثنيون بعد موت «هيباشيا» إلى أثينا ليتقوا فيها الأذى. وكان التعليم غير المسيحي لا يزال حراً نسبياً، ولا يزال معلموه آمنين على أنفسهم من غيرهم في المدن الأخرى<sup>(٢)</sup>.

غير أن الاهتمام بهذه المرأة الممتازة استمر في الماضي وامتد، وإن كان على فترات متقطعة ولأسباب متنوعة، ففي القرن السابع عشر كتب الأديب الفرنسي Gille Menage في كتابه تاريخ الفلاسفة من النساء «قصيدة قصيرة عنوانها «في الحكمة» يقول فيها:

«لا بد لكل من يشاهد، ويتأمل بيتك الطاهر...

الخالى تماماً من كل زخرف أو زينة...

أن ينشغل بأمر الثقافة...

حقاً، لقد انشغلت أنت بالسما...

«هيباشيا»، أيتها المرأة الحكيمة...

لغتك عذبة... ونجمك متألّق في سماء الحكمة...»<sup>(٣)</sup>.

وفي القرن التاسع عشر استغل الروائي الإنجليزي تشارلز كنجزلى (١٨١٩ - ١٨٧٥) Charles Kingsley أحداث حياتها في رواية

---

١ - برتراندرسل: «تاريخ الفلسفة الغربية»، المجلد الثاني ١٠٣ ترجمة د. زكي نجيب محمود - لجنة التأليف والترجمة والنشر ط٢. عام ١٩٦٨.

٢ - ول ديورانت: «قصة الحضارة» - المجلد الثاني عشر ص ٢٤٨.

3- Ethel M. Kersey: Women Philosophers. P.16.

اسمها «هيباشيا». ولما كان قد عمل هو نفسه أستاذاً للتاريخ بجامعة كيمبردج فقد كان لديه حس تاريخي واضح - وإن لم يكن دقيقاً على الدوام - فأصدر «هيباشيا» عام ١٨٥٣ وفيها يعود بالزمن إلى الورا ليصور مدينة الإسكندرية في بداية القرن الخامس الميلادي حيث نرى شاباً مسيحياً اسمه فيلامون Philammon يأتي من الصحراء إلى المدينة منجذباً بقوة ليتعلم على يد «هيباشيا» في المتحف. وهنا يصور الكاتب مدينة الإسكندرية في شيء من التفصيل، ويقدم وصفاً وصوراً جيدة للمدينة وشوارعها المزدهمة، ومشاكل الحياة فيها في ذلك الوقت، كما يصور الأديب ثورة الجمهور الغاضب والقوى المترمة - وينتهي بتصوير اغتيال «هيباشيا». عندئذ يعود الشاب فيلامون مرة أخرى إلى الصحراء التي جاء منها.

والواقع أن الكاتب أراد تصوير الصراع الذي حدث بين المسيحية - وهي تمكن لنفسها في بداية عهدها - وبين الفلسفة اليونانية على نحو ما حدث في مدينة الإسكندرية في القرن الخامس الميلادي<sup>(١)</sup>.

وتزايد الاهتمام «بهيباشيا» مع نشأة الحركة النسائية، والبحث المتزايد عن الجهود النسائية في الماضي، وجمع الوثائق التي تثبت إسهامات النساء في النشاط الأدبي أو الفلسفي أو العلمي. وحديثاً ظهرت جريدة في الفلسفة النسائية تحمل اسم «هيباشيا» تكريماً

---

1- Chamber's Enceyclopedia Vol.8.

وانظر أيضاً الادب الإنجليزي - تأليف ج. ثورنلي، وترجمة أحمد الشويخات ص ١٨٤ - دار المريخ بالرياض.

للجدة الأولى<sup>(١)</sup>.

وهى «مجلة فلسفية» رئيسة تحريرها مارجريت سيمونز  
Maronsgarel Sim، وتصدرها جامعة الينوى فى الولايات المتحدة  
الأمريكية<sup>(٢)</sup>.

وفى النهاية لا بد أن نقول مع جورج سارتون إن هذه المرأة  
العظيمة. «كان لها شرف مزدوج: فهى أول من اشتغل بالرياضيات من  
النساء - وهى من أوائل الذين استشهدوا فى سبيل العلم...»<sup>(٣)</sup>.

---

1- Ethel M. Kersery: Op. Cit.

٢ - انظر الحركة النسائية والفلسفة - عدد أصدرته الجمعية الفلسفية الأمريكية فى نوفمبر  
١٩٨٧ «on Feminism and Philosophy».

٣ - جورج سارتون «العلم القديم والمدينة الحديثة» ص١٦٨.

## خاتمة البحث ...

عرضنا فى هذا الكتاب - على مدى ثمانية فصول - لمجموعة من «النساء ... الفلاسفة» فى العالم القديم، فى محاولة أردنا بها أن نرفع الغشاء عن عين المرأة التى تحجب عنها الرؤية ليكون بصرها اليوم حديداً، فتسترد ثقتها بنفسها، وتأخذ دورها فى بناء المجتمع مع الرجل جنباً إلى جنب. ولن يتم ذلك كله إلا إذا أثبتنا رجاحة عقل المرأة، وسديد رأيها، وقدرتها على التفكير العلمى التى لا تقل عن قدرة الرجل، ولا سيما فى مجال التفلسف الذى يبدو حقلاً مغلقاً مقتصرًا على الرجال وحدهم، وبذلك نهدم الفكرة السائدة والساذجة معاً عن «العقلية النسائية الضعيفة الناقصة»، وتنتهى إلى إلغاء تلك الفكرة العقيمة التى تشطر العقل البشرى شطرين «رجالى» و«نساءى».

ونود فى هذه الخاتمة أن نشير إلى أمرين هامين:

### الأمر الأول:

هو أنه من الطبيعى أن تكون البدايات الأولى للتفلسف عند المرأة بسيطة وساذجة، فقد تتألف من عبارات قليلة أو شذرات متناثرة هى التى بقيت لنا، وقد تدور حول موضوع بسيط، أو تكتفى بمد فكرة ما إلى مجالات أوسع كما حدث لنساء الفيثاغورية، لكن ينبغى ألا يخيب عن ذهنا عدة أمور:

١- أنه هكذا كانت بدايات التفلسف عند الفلاسفة الأول من الرجال بسيطة وساذجة، كالماء هو أصل الأشياء «مثلاً عند

طاليس أول الفلاسفة، بل إن العبارة نفسها مأخوذة من الفكرة المصرية عن النيل الذي كان يكون جزراً تخرج من جوفه باستمرار فضلاً عن الدلتا - وهى الفكرة التى نقلها طاليس عندما عاش فى مصر، وتعلم من كهنتها!

ب - عندما تتعدل الظروف الاجتماعية للمرأة فى العالم الحديث، فسوف نجد فكراً أوضح فى القرن السابع عشر حتى يصل إلى القمة فى القرن العشرين، وسوف نعرض فى الجزء الثانى من هذا الكتاب «نساء ... فلاسفة» فى العالم الحديث لفلاسفة من أمثال: «مارجريت كافنديش Margaret Cavendish» (١٦٢٣-١٦٧٣) الفيلسوفة الإنجليزية التى كتبت فى «الفلسفة الطبيعية»، و«كرستينا فازا Kristina Wasa» (١٦٢٦-١٦٨٩) ملكة السويد الشهيرة تلميذة ديكارت التى دعته إلى استكهولم عام ١٦٥٠، وتعلمت على بنية الفلسفة الديكارتية، و«آن فينش كونواى Anne Finch Conway» (١٦٣١ - ١٦٧٩) التى أثرت بقوة فى «ليبنتز»، حتى أن من الباحثين من يرد إليها فكرة «الموناد Monad» الشهيرة فى فلسفة ليبنتز! حتى نصل إلى أسماء لامعة فى القرن العشرين من أمثال: ماري وارنوك Mary Warnock، وسوزان ستينج، وسوزان لانجر، وسيمون دى بوفوار، وحنة أرندت وغيرهن.

ج - إن الهدف كما قلنا هو أن نثبت عن طريق تقديم أمثلة، من حقل الدراسات الفلسفية وهو أعلى درجات التجريد - أنه

كان للمرأة إسهامات فى هذا الحقل المجرد، وبالتالي أن عقلها لا يقل فى قدرته عن عقل الرجل، وإنما الأوضاع الاجتماعية، والاقتصادية، وسيطرة الرجل وطفيلانه هى التى منعت هذه القدرة من الظهور. وكما سبق أن ذكرنا فى المدخل فإن المثال «السلبى» الواحد - أى الذى يهدم دونية المرأة - يحطم عشرات الأمثلة الإيجابية - فمالك لو كان لدينا مئات من الأمثلة، طوال التاريخ، على قدرة المرأة!

د - أننا بذلك كله نثبت ما أكدته الآية الكريمة عن رجاحة العقل، وسداد الرأى، وقوة الحجة، وبراعة التفكير عند المرأة ممثلة فى بلقيس ملكة سبأ، والتى يتغاضى عنها كثير من الرجال. فنحن لا نخرج أبداً عما جاء به الإسلام، بل نؤكد به بشواهد من التاريخ، ونماذج من «النساء... الفلاسفة فى العالمين القديم والحديث».

أما الأمر الثانى الذى نود أن نشير إليه، بإيجاز، فى هذه الخاتمة فهو أننا لم نحاول فى هذا الكتاب، إجراء حصر شامل لكل «النساء... الفلاسفة فى العالم القديم»، وإنما أردنا فقط تقديم نماذج لقدرة المرأة على التفلسف. فلم نذكر، مثلاً، من النساء الفيثاغوريات سوى ثلاث نساء من الفيثاغورية المبكرة، وثلاث من الفيثاغورية المتأخرة، فى الوقت الذى يذكر فيه ميناج G.Menages فى كتابه تاريخ الفلاسفة من النساء «ست وعشرين فيلسوفة فيثاغورية»، ولم نذكر مثلاً امرأة واحدة من أهل الرواق، مع أنه يذكر أربع نساء رواقيات فى الفصل العاشر من كتابه. ولم نذكر شيئاً عن النساء الأبيقوريات، مع أنه يذكر

منهن ثلاث! ولم نذكر من النساء الأفلاطونيات سوى امرأة واحدة هي «هيباشيا» فيلسوفة الإسكندرية، مع أنه يذكر منهن سبع نساء في الفصل الثامن، أما الفصل الأول فهو يذكر عشرين فيلسوفة!

ومعنى ذلك كله أننا نقدم نماذج أو شواهد من تاريخ الفلسفة على قدرة المرأة على التفلسف لتكون شموعا أمام المرأة العربية تنير لها طريق التقدم والازدهار.

# مراجع البحث

## أولاً : المراجع العربية

- ١ - د. أحمد فؤاد الأهواني « فجر الفلسفة اليونانية قبل سقراط »  
عيسى البابى الحلبي، بالقاهرة، عام ١٩٥٤ .
- ٢ - إدوارد جيبون: اضمحلال الإمبراطورية الرومانية وسقوطها»  
ترجمة محمد على أبو درة، ومراجعة أحمد نجيب هاشم -  
المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والنشر.
- ٣ - د. إمام عبد الفتاح إمام: «أفلاطون ... والمرأة» العدد الأول من  
سلسلة «الفيلسوف ... والمرأة» - مكتبة مدبولي ط ٢ ، القاهرة  
١٩٩٦ .
- ٤ - د. إمام عبد الفتاح إمام: «أرسطو ... والمرأة» العدد الثاني من  
سلسلة «الفيلسوف ... والمرأة» - مكتبة مدبولي، بالقاهرة، الطبعة  
الأولى ١٩٩٦ .
- ٥ - د. إمام عبد الفتاح إمام: «الفيلسوف المسيحي ... والمرأة» - العدد  
الثالث من سلسلة «الفيلسوف ... والمرأة» مكتبة مدبولي،  
بالقاهرة، الطبعة الأولى عام ١٩٩٦ .
- ٦ - د. إمام عبد الفتاح إمام: «أفكار ... ومواقف» الطبعة الأولى، مكتبة  
مدبولي، بالقاهرة عام ١٩٩٦ .
- ٧ - د. إمام عبد الفتاح إمام: «الطاغية: دراسة فلسفية لصور من  
الإستبداد السياسى» عالم المعرفة عدد ١٨٣ .

٨ - د. إمام عبد الفتاح إمام: «مسيرة الديمقراطية... رؤية فلسفية» دراسة فى مجلة عالم الفكر، عدد خاص عن الديمقراطية، أصدره المجلس الوطنى للثقافة والفنون بالكويت. العدد الحادى والعشرون عام ١٩٩٣.

٩ - أرسطو «الخطابة» ترجمة. د. عبد الرحمن بدوى - دار الشئون الثقافية العامة - بغداد عام ١٩٨٦.

١٠ - أميرة حلمى مطر: «الفلسفة عند اليونان» دار الثقافة، بالقاهرة، عام ١٩٨٦.

١١ - أفلاطون «محاورة الجمهورية» ترجمة. د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة.

١٢ - أفلاطون «محاورات أفلاطون» ترجمة. د. زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر.

١٣ - أفلاطون: «المأدبة» ترجمة. د. وليم الميرى، دار المعارف بالقاهرة.

١٤ - أفلوطين: «التساعية الرابعة» ترجمة. د. فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة.

١٥ - أوفيد: «مسخ الكائنات» ترجمة. د. ثروت عكاشة، الهيئة المصرية العامة، عام ١٩٨٤.

١٦ - برتراند رسل: «تاريخ الفلسفة الغربية» الجزء الأول، ترجمة. د. زكى نجيب محمود، لجنة التأليف والترجمة والنشر بالقاهرة.

١٧ - تشارلز ألكسندر روبنصن: «أثينا فى عهد بركليس» ترجمة. د.

أنيس فريحة، مكتبة لبنان عام ١٩٦٦.

١٨- عباس محمود العقاد: «أثر العرب في الحضارة الأوروبية» دار المعارف، بمصر عام ١٩٤٦.

١٩- عبد الغفار مكاوي: «هلدرلين» نوابغ الفكر الغربي، العدد رقم ٢١، دار المعارف بمصر.

٢٠- سارتون (جورج): «العلم القديم والمدينة الحديثة» ترجمة. د. عبد الحميد صبره معاجم ودوائر معارف:

- عبد الرحمن بدوي: «موسوعة الفلسفة» مجلدات المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، عم ١٩٨٤.

- جورج طرابيشي: «معجم الفلاسفة» دار الطليعة، بيروت.

- «الموسوعة الفلسفية المختصرة» بإشراف د. زكي نجيب محمود، مكتبة الأنجلو المصرية.

## ثانياً: المراجع الأجنبية

- 1 - Peter Gorman: "Pythagoras: A Life" Routledge & Kegan Paul 1979, P.120.
- 2 - Diogenes Laertius: "Lives of Eminent Philosophers" Translated by R. D. Hicks, Harvard University Press, 1979, P.27.
- 3 - G. Menages: "The History of Women Philosophers" Eng. Trans. by Beatrice H. Zedler.
- 4 - Mary Ellen Waithe: "A History of Women Philosophers" Vol.1. Kluwer Academic Publishers.
- 5 - James Donaldson: Women: "Her Position and Her Influence in Ancient Greece and Rome, N.Y. 1973.
- 6 - Plato: Menexenus:
- 7 - Thucydides: History of The Peloponnesian War, Eng, Trans. By Rex Warner, 1954. Penguin Classics.
- 8 - The Dialogues of Plato, Vol.1. Trans. By R.E. Allen, Yale University Press. 1984.
- 9 - Stanley Rosen: Plato's Symposium, Yale Uni-

versity,1987.

10 - Mary Ellen Waithe: "A History of Women Philosophers",Vol.1.P.108.

11 - Xenophon: Memorabilia of Socrates Book 111,ch x1.

12 - A. E. Taylor: Plato: "The Man and His Work Methuen",1926, P.224.

13 - A. E. Taylor: Socrates, Greenwood Pres,1975 .

14 - Beatrice H. Zedler: "Julia Domna in A History of Women Philosophers" Vol.1.P.117.

15 - Ethel M. Kersey: "Women Philosophers".A Bio-Critical Source Book, Green Wood Press N.Y. 1989,P.137.

16 - Cornelia W. Walfskeel: Makrina.

17 - Plato : Timacus 69 - C.

18 - Phaedo, 105 - C.

## مؤلفات الأستاذ الدكتور

إمام عبد الفتاح إمام

### أولاً - التأليف:

- ١ - المنهج الجدلي عند هيجل « طبعة أولى دار المعارف بمصر عام ١٩٦٩ - طبعة رابعة دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (العدد الثانى من المكتبة الهيجيلية) مكتبة مدبولى بالقاهرة.
- ٢ - «مدخل إلى الفلسفة» طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام ١٩٧٢ - طبعة خامسة ١٩٨٢ - طبعة سادسة مؤسسة عالم الكتب بالكويت عام ١٩٩٣.
- ٣ - «كيركجور: رائد الوجودية» المجلد الأول (حياته وأعماله) طبعة أولى دار الثقافة ١٩٨٢ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت ١٩٨٣ العدد الثانى من سلسلة الفكر المعاصر.
- ٤ - «دراسات هيجيلية» طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ (سلسلة المكتبة الهيجيلية) - طبعة ثالثة، مكتبة مدبولى بالقاهرة.
- ٥ - «توماس هوبز: فيلسوف العقلانية» طبعة أولى دار الثقافة للنشر والتوزيع عام ١٩٨٤ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثالثة عام ١٩٩٣ - طبعة رابعة ١٩٩٦ مكتبة مدبولى.
- ٦ - «تطور الجدل بعد هيجل» المجلد الأول «جدل الفكر» دار التنوير عام

١٩٨٥ طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ٨ من سلسلة المكتبة الهيجيلية).

٧ - «تطور الجدل بعد هيجل» المجلد الثانى «جدل الطبيعة» دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ١٠ من سلسلة المكتبة الهيجيلية).

٨ - «تطور الجدل بعد هيجل» المجلد الثالث «جدل الإنسان» دار التنوير بيروت عام ١٩٨٥ - طبعة ثانية عام ١٩٩٣ (العدد ١٠ من سلسلة المكتبة الهيجيلية).

٩ - «دراسات فى الفلسفة السياسية عند هيجل» طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣ طبعة ثالثة - مكتبة مدبولى بالقاهرة.

١٠ - «كيركجور: رائد الوجودية» المجلد الثانى: فلسفته - طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٦ - طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣.

١١ - «أفلاطون... والمرأة» طبعة أولى حوليات كلية الآداب جامعة الكويت عام ١٩٩٢، طبعة ثانية مكتبة مدبولى بالقاهرة (سلسلة الفيلسوف والمرأة).

١٢ - «رحلة فى فكر زكى نجيب محمود» دار التنوير بيروت عام ١٩٩٣.

١٣ - «الطاغية: دراسة فلسفية لصور من الاستبداد السياسى» سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ١٨٣ - ١٩٩٤.

## ٧ ثانياً- بحوث ودراسات:

- ١ - «المقولات بين أرسطو وكايط وهيجل» ... دراسة بحوليات كلية التربية بجامعة الفاتح بليبيا عام ١٩٧٦ .
- ٢ - «مفهوم التهكم عند كيركجور» ... دراسة بحوليات كلية الآداب - جامعة الكويت عدد رقم ١٩ عام ١٩٨٣ .
- ٣ - «الهيغيلية» ... دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثاني) معهد الإنماء العربى بيروت.
- ٤ - «الهيغيلية الجديدة» ... دراسة للموسوعة الفلسفية (المجلد الثاني) معهد الإنماء العربى بيروت.
- ٥ - «الفلسفة الثنائية عند زكى نجيب محمود» ... عالم الفكر بالكويت المجلد العشرين العدد الرابع يناير ١٩٩٠ .
- ٦ - «مسيرة الديمقراطية : رؤية فلسفية» ... مجلة عالم الفكر بالكويت يناير عام ١٩٩٤ .
- ٧ - «هيباشيا : فيلسوفة الإسكندرية» ... مجلة عالم الفكر بالكويت المجلد الثانى والعشرين يونيو ١٩٩٤ .

## ٧ ثالثاً- الترجمة:

- ١ - « الجبر الذاتى » ... رسالة كتبها بالإنجليزية الدكتور زكى نجيب محمود -  
الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر عام ١٩٧٢ .
- ٢ - « العقل فى التاريخ » ... لهيجل - طبعة أولى دار الثقافة بالقاهرة عام  
١٩٧٢ ، وطبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٠ - وطبعة رابعة ١٩٩٣  
(العدد الأول فى سلسلة المكتبة الهيجيلية).
- ٣ - « روح الفلسفة المسيحية فى العصر الوسيط » ... اتين جيلسون - دار الثقافة  
عام ١٩٧٢ .
- ٤ - « فلسفة هيجل » ... تأليف ولتر ستيس المجلد الأول « المنطق وفلسفة  
الطبيعة » دار التنوير عام ١٩٨٣ وطبعة رابعة عام ١٩٩٣ (العدد الثالث من  
المكتبة الهيجيلية).
- ٥ - « فلسفة هيجل » ... تأليف ولتر ستيس المجلد الثانى « فلسفة الروح »  
الطبعة الثالثة عام ١٩٨٣ والرابعة ١٩٩٣ (العدد الرابع من المكتبة  
الهيجيلية).
- ٦ - « أصول فلسفة الحق » ... لهيجل المجلد الأول طبعة أولى دار الثقافة ١٩٨١  
- طبعة ثانية دار التنوير بيروت عام ١٩٨٣ . طبعة رابعة عام ١٩٩٣  
(العدد الخامس من المكتبة الهيجيلية)، طبعة خامسة - مكتبة مدبولى  
بالقاهرة .
- ٧ - « موسوعة العلوم الفلسفية لهيجل » ... طبعة أولى عام ١٩٨٣ دار التنوير

بيروت. طبعة الثالثة ١٩٩٣ (العدد السادس من سلسلة المكتبة الهيجيلية)  
طبعة رابعة - مكتبة مدبولى بالقاهرة.

٨ - «العالم الشرقى» ... المجلد الثانى من محاضرات فى فلسفة التاريخ لهيجل  
العدد التاسع من سلسلة المكتبة الهيجيلية طبعة أولى ١٩٨٥ - طبعة ثانية  
١٩٩٣.

٩ - «الوجودية» ... تأليف جون ماكورى سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد  
٥٨ أكتوبر ١٩٨٢ - طبعة ثانية دار الثقافة بالقاهرة ١٩٨٧.

١٠ - «أصول فلسفة الحق لهيجل» ... المجلد الثانى دار التنوير بيروت عام  
١٩٩٣ سلسلة المكتبة الهيجيلية - مكتبة مدبولى بالقاهرة.

١١ - «هيجل والديمقراطية» ... تأليف ميشيل متياس - دار الحداثة بيروت  
عام ١٩٩٠.

١٢ - «المعتقدات الدينية لدى الشعوب» ... تأليف جوفرى بارندر - سلسلة  
عالم المعرفة بالكويت عدد ١٧٣ مايو ١٩٩٣.

## رابعاً-مراجعة:

- ١ - « الموت فى الفكر الغربى » تأليف جاك شورون : ترجمة كامل يوسف حسين - سلسلة عالم المعرفة بالكويت عدد ٧٦ إبريل ١٩٨٤ .
- ٢ - « الفلاسفة الإغريق : من طاليس إلى أرسطو » تأليف وجنرى . ترجمة د . رأفت حليم سيف - دار الطليعة بالكويت عام ١٩٨٥ .
- ٣ - « الفكر الشرقى القديم » - تأليف جون كولر ، ترجمة كامل يوسف حسين - سلسلة عالم المعرفة بالكويت - عدد ١٩٩ .

## خامساً-التأليف بالاشتراك:

- ١ - « المنطق ومناهج البحث العلمى » للصف الثالث الثانوى بتكليف من وزارة التربية والتعليم بالجمهورية العربية الليبية عام ١٩٧٧ .
- ٢ - « دراسات فلسفية » للمستوى الرفيع بتكليف من وزارة التربية والتعليم بجمهورية مصر العربية عام ١٩٩٢ .

## سادساً- الترجمة بالاشتراك:

- ١ - « أسس الليبرالية السياسية » لجون ستيوارت مل ، بالاشتراك مع الأستاذ الدكتور ميشيل متياس المجلد الأول - مكتبة مدبولى بالقاهرة عام ١٩٩٦ .

## تسلسلـة «الفيلسوف... والمرأة»

بإشراف الأستاذ الدكتور

إمام عبد الفتاح إمام

تصدرها مكتبة مدبولي بالقاهرة

★★★ صدر منها :

- ١ - «أفلاطون ... والمرأة» بقلم. د/إمام عبد الفتاح إمام
- ٢ - «أرسطو ... والمرأة» بقلم. د/إمام عبد الفتاح إمام
- ٣ - «الفيلسوف المسيحي ... والمرأة» بقلم. د/إمام عبد الفتاح إمام
- ٤ - «نساء فلاسفة» .. في العالم القديم بقلم. د/إمام عبد الفتاح إمام

★★★ يصدر في الأعداد القادمة :

- \* «جون لوك ... والمرأة» بقلم. د/إمام عبد الفتاح إمام
- \* «نساء فلاسفة .. في العالم الحديث» بقلم. د/إمام عبد الفتاح إمام

## هذا الكتاب

هذا الكتاب - وهو العدد الرابع من سلسلة «الفيلسوف . .  
والمرأة» - دعوة إلى المرأة العربية لتستعيد الثقة بنفسها،  
وتنفض عنها غبار السنين الطويلة من الجهل والتخلف. إنه دعوة  
لنبذ فكرة أرسطو الساذجة التي تزعم « أن عقل المرأة أضعف من  
عقل الرجل»، وأن تفكيرها يغلب عليه العاطفة والانفعال، وأن  
أحكامها يسيطر عليها الاندفاع والتهور، وتنقصها الرؤية والتدبر.  
فلا الدين يقول شيئاً من ذلك، ولا العلم يعترف به، ولا التاريخ  
يشهد بصحة شيء منه!

وهو يعرض «لنساء فلاسفة. . من العالم القديم»: من  
الفيثاغورية المبكرة «ثيانو زوجة فيثاغورس التي تولت رئاسة  
المدرسة بعد وفاة زوجها، وأريجنوت، ومييا»، ومن الفيثاغورية  
المتأخرة «إيزارا، وفينتس، ثم إسبازيا، وديوتيميا معلمة سقراط،  
وماكرينا، وهيباشيا فيلسوفة الإسكندرية الشهيرة، وغيرهن.  
على أن يتلوه، بإذن الله، كتاب آخر يعرض لنماذج من «نساء  
فلاسفة . . في العالم الحديث»، من أمثال مارجريت كافنديش،  
وكريستينا قازا، وغيرهن في القرن السابع عشر حتى نصل إلى  
أسماء لامعة في القرن العشرين من أمثال: ماري وارنوك،  
وسوزان ستبنج، وسوزان لانجر، وسيمون دي بقوار وغيرهن.  
وسوف تشعر المرأة العربية بعد اطلاعها على هذين الكتابين  
أنَّ ضَعْفَ العقل عند الأنثى ليس سوى «خرافة» ابتكرها الرجل  
ليُحْكَمَ سيطرته عليها!.

الناشر

To: [www.al-mostafa.com](http://www.al-mostafa.com)